البرهان

البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع



Bibliotheca Alexandrina
0003952

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

في علوم القرآن

البرهان
في علوم القرآن

البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

منشورات المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقابلة الجمع بالجمع

تارة يقتضى مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا، كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[2]، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾[3]؛ فإن الصلاة والزكاة فى معنى الجمع، فيقتضى اللفظ ضرورة أنّ كل واحد مأمور بجميع الصلوات وبالاستباق إلى كلّ خير، كما يقال: لبس القوم ثيابهم، وركبوا دوابّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[4] أى لكل واحدة منهن.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[5]، لأنه لا يجوز أن يتذكر جميع المخاطبين بهذا القول فى مدة وعمر واحد.

وقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[6]، أى كل واحدة من هذا الشرر كالقصر، والقصر: البيت من أدَم، كان يضرب على الماء إذا نزلوا به، ولا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد؛ لأنه منافٍ للوعيد، فإنّ المعنى تعظيم الشرر؛ أىْ كلّ واحد من هذا الشرر كالقصر. ويؤكده قوله بعده: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ[6]﴾، فشبّه بالجماعة، أى فكل واحدة من هذا الشرز كالجمل لجماعته، إذ الجمالات الصُّفْر كذلك الأول؛ كلُّ شررة منه كالقصر. قاله ابن جنّى.

وقوله: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[7].

(*) من أساليب القرآن المندرجة تحت النوع السادس والأربعين، وأوله فى الجزء الثانى ص ٢٨٢

(١) سورة المائدة ٤٨ (٢) سورة البقرة ٤٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٨ (٤) سورة يوسف ٣١

(٥) سورة فاطر ٣٧ (٦) سورة المرسلات ٣٢

(٧) سورة نوح ٧

وقوله : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾(١) ؛ فإنّ كلّ واحد من المؤمنين آمن بكلّ واحد من الملائكة والكتب والرسل .

وقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . . . ﴾(٢) الآية ؛ فإنه لم يحرّم على كلّ واحد من المخاطبين جميع أمهات المخاطبين ، وإنما حرم على كلّ واحد أمّه وبنته .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾(٣) ؛ فإنه ليس لجميع الأزواج نصف ما ترك جميع النساء ؛ وإنما لكلّ واحد نصف ما تركت زوجُه فقط .

وكذا قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(٥) ؛ إنما معناه اتبع كلٌّ واحد ذريتَه ، وليس معناه أنّ كل واحد من الذرية اتبع كلّ واحد من الآباء .

وقوله : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾(٦) ، أى كلّ واحدة ترضع ولدها .

وكقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾(٧) فإنّ مقابلةَ الجمع أفادتْ المكْنة لكلّ واحد من المسلمين قَتْل مَن وجد من المشركين .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾(٨) .

وأماقوله تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾(٩) ، فذكر « المرافق » بلفظ الجمع، والكعبين بلفظ التثنية؛

---

(١) سورة البقرة ٢٨٥
(٢) سورة النساء ٢٣
(٣) سورة النساء ١٢
(٤) سورة النساء ١١
(٥) سورة الطور ٢١
(٦) سورة البقرة ٢٣٣
(٧) سورة التوبة ٥
(٨) سورة النور ٢٤
(٩) سورة المائدة ٦

لأنّ مقابلة الجمع تقتضى انقسام الآحاد على الآحاد ؛ ولكلّ يد مرفق ، فصحّت المقابلة . ولو قيل «إلى الكعاب» فُهم منه أنّ الواجب . . . .[1] ؛ فإن لكلّ رجل كعباً واحداً ، فذكر الكعبين بلفظ التثنية ، ليتناول الكعبين من كلّ رِجْل .

فإن قيل : فعلى هذا يلزم ألّا يجب إلا غسلُ يد واحدة ورجل واحدة ؟

قلنا : صدّنا عنه فعلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم والإجماع .

* * *

وتارة يقتضى مقابلة ثبوت الجمع لكلّ واحد من آحاد المحكوم عليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[2] .

وجعل منه الشيخ عز الدين : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[3] .

* * *

وتارة يحتمل الأمرين فيفتقر ذلك إلى دليل يعيّن أحدهما .

* * *

أمّا مقابلة الجمع بالمفرد ، فالغالب أنّه لا يقتضى تعميم المفرد ، وقد يقتضيه بحسب عموم الجمع المقابل له ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[4] ، المعنى كلّ واحد لكلّ يوم طعام مسكين .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[5] إنما هو على كلّ واحد منهم ذلك .

---

(١) بياض بالأصلين .

(٢) سورة النور ٤

(٣) سورة البقرة ٢٥

(٤) سورة البقرة ١٨٤

(٥) سورة النور ٤

قاعِدَة

فيما ورد فى القرآن مجموعا ومفردا ، والحكم فى ذلك

فمنه أنه حيث وَرَد ذكر « الأرض » فى القرآن فإنها مفردة ، كقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾(١) ، وحكمته أنها بمنزلة السُّفْل والتحت ، ولكن وصف بها هذا المكان المحسوس ، فجرتْ مجرى امرأة زَوْر وضيف ؛ فلا معنى لجمعها كما لا يجمع الفوق والتحت ، والعلوّ والسُّفْل ؛ فإن قَصَد المخبر إلى جزء من هذه الأرض الموطوءة وعيّن قطعة محدودة منها خرجت عن معنى السفل الذى هو فى مقابلة العلوّ ، فجاز أن تُثنَّى إذا ضمت إليها جزءا آخر. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « طُوِّقه من سبع أرضين » فجمعها لمّا اعتمد الكلام على ذات الأرض ، وأثبتها على التفصيل والتعيين لآحادها ، دون الوصف بكونها تحت أو سفل فى مقابلة علوّ ، وأما جمع السموات ، فإنّ المقصود بها ذاتها دون معنى الوصف ، فلهذا جُمعت جمع سلامة ؛ لأن العدد قليل ، وجمع القليل أوْلى به ، بخلاف الأرض ؛ فإن المقصودَ بها معنى التحت والسّفل ، دون الذات والعدد .

وحيث أريد بها الذات والعدد أُتِى بلفظٍ يدلّ على التعدد ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ .

وأيضا فإنّ الأرض لا نسبة إليها إلى السموات وسعتها ، بل هى بالنسبة إليها كحصاة فى صحراء ، فهى وإن تعددت ، كالواحد القليل ؛ فاختير لها اسم الجنس .

وأيضا فالأرض هى دار الدنيا التى بالنسبة إلى الآخرة ، كما يُدخل الإنسان إصبَعه فى اليمّ ، فما يعلق بها هو مثال الدنيا ؛ والله تعالى لم يذكر الدّنيا إلا مُقلّلا لها .

---

(١) سورة الطلاق ١٢

(٢) سورة الطلاق ١٢

وأما السموات فليست من الدنيا على أحد القولين، فإذا أريد الوصف الشامل للسموات؛ وهو معنى العلوّ والفوق أفردته كالأرض ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾(١) . ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾(١) فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل وليس المراد سماء معيّنة .

وكذا قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(٢)، بخلاف قوله فى سبأ : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(٣) ، فإنّ قبلها ذكر الله سبحانه سعةَ علمه(٤) ، وأنّ له ما فى السموات وما فى الأرض ، فاقتضى السياقُ أن يذكر سعة علمه ، وتعلّقه بمعلومات ملكه ؛ وهو السموات كلّها والأرض .

ولما لم يكن فى سورة يونس ما يقتضى ذلك أفردها إرادة للجنس .

وقال السُّهيليّ: لأن المخاطبين بالإفراد مقرّون بأن الرزق ينزل من السحاب وهو سماء، ولهذا قال فى آخر الآية : ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾(٥) ، وهم لا يُقرّون بما نزَلَ من فوق ذلك من الرحمة والرحمٰن وغيرها ، ولهذا قال فى آية سبأ : ﴿قُلِ اللَّهُ﴾(٦) ، أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بهذا القول ليعلم بحقيقته .

وكذا قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾(٧)

---

(١) سورة الملك ١٦ ، ١٧

(٢) سورة يونس ٦١

(٣) سورة سبأ ٣

(٤) وهو قوله تعالى فى الآية قبلها : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

(٥) سورة يونس ٣١

(٦) سورة سبأ ٢٤

(٧) سورة الأنعام ٣

فإنّها جاءت مجموعة لتعلّق الظرف بما فى اسم الله تبارك وتعالى من معنى الإلٰهيَّة ؛ فالمعنى : هو الإلٰه المعبود فى كلّ واحدة من السمٰوات ، فذكْر الجمع هنا أحسن . ولما خفِيَ هذا المعنى على بعض المجسّمة قال بالوقف على قوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ ﴾[١] ، ثم يبتدئ بقوله : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وتأمّل كيف جاءت مفردة فى قوله : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[٢] ، أراد لهذين الجنسين ، أى ربّ كلّ ما علا وسَفُل .

وجاءت مجموعة فى قوله : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣] فى جميع السور ؛ لما كان المراد الإخبار عن تسبيح سكانها على كثرتهم ، وتبايُن مراتبهم ؛ لم يكن بدٌّ من جمع محلّهم .

ونظير هـذا جمعها فى قوله : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[٤] .

وقوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ ﴾[٥] ، أى تسبِّح بذواتها وأنفسها على اختلاف عددها ؛ ولهذا صرّح بالعدد بقوله : ﴿ ٱلسَّبْعُ ﴾ .

وتأمّل كيف جاءت مفردةً فى قوله : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[٦] ، فـ « الرزق » المطر ، وما « تُوعَدون » الجنّة ، وكلاهما فى هذه الجهة ؛ لأنها فى كلّ واحدة واحدة من السمٰوات ، فكان لفظ الإفراد أليق .

وجاءت مجموعة فى قوله : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٧] لمّا كان المراد نفيَ علم الغيب عن كلّ مَنْ هو فى واحدة واحدة من السمٰوات أتى بها مجموعة ،

(١) سورة الأنعام ٣
(٢) سورة الذاريات ٢٣
(٣) سورة الحديد ١
(٤) سورة الأنبياء ١٩
(٥) سورة الإسراء ٤٤
(٦) سورة الذاريات ٢٢
(٧) سورة النمل ٦٥

ولم يجئ في سياق الإخبار بنزول الماء منها إلا مفردة حيث وقعت ، لمّا لم يكن المراد نزوله من ذاتها ؛ بل المراد الوصف .

فإن قيل : فهل يظهر فَرْق بين قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ ﴾(١) ، وبين قوله في سورة سبأ : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾(٢) ؟

قيل : السياق في كلٍّ منهما مُرْشِدٌ إلى الفرق ؛ فإنّ الآيات التي في يونس سيقت للاحتجاج عليهم بما أقرّوا به من كونه تعالى هو رازقهم، ومالك أسماعهم وأبصارهم، ومدبّر أمورهم ؛ بأنْ يُخرج الحيّ من الميت، ويخرج الميت من الحيّ ؛ فلما كانوا مقرّين بهذا كلّه، حَسُن الاحتجاج به عليهم ؛ إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره ، فكيف تعبدون معه غيره ! ولهذا قال بعده : ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾(٣) ، أي هم يُقرّون به ولا يجحدونه ، والمخاطَبون المحتجّ عليهم بهذه الآية إنما كانوا مُقرّين بنزول الرزق من قِبَل هذه السماء التي يشاهدونها، ولم يكونوا مقرّين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى ينتهي إليهم ، فأفردت لفظة « السماء » هنا لذلك .

وأما الآية التي في سبأ ؛ فإنه لم ينتظم لها ذكر إقرارهم بما ينزل من السماء ، ولهذا أمر رسوله بأنْ يجيب ، وأن يذكر عنهم أنهم هم المجيبون ، فقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾(٤) ، ولم يقل : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾(٣) ، أي الله وحده الذي يُنزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات .

***

ومنها ذكر الرياح في القرآن جَمْعاً ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جاءت

---

(١) سورة يونس ٣١
(٢) سورة سبأ ٢٤
(٣) سورة يونس ٣١
(٤) سورة سبأ ٢٤

مجموعة ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾(١) .

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾(٢) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾(٣) .

وحيثُ ذكرت فى سياق العذاب أتت مفردة، كقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾(٤) .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾(٥) .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾(٦) .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾(٧) .

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾(٨) .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجْعَلْها رياحاً ولا تجعلها ريحاً » ، والمعنى فيه أنّ رياح الرحمة مختلفة الصفات والماهيّات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة ، تنفع الحيوان والنبات . وكانت فى الرحمة رياحاً ، وأما فى العذاب فإنها تأتى من وجه واحد ، ولا معارض ولا دافع ؛ ولهذا وصفها الله بالعقيم فقال: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾(٨)، أى تَعقِم ما مرّت به .

وقد اطّردت هذه القاعدة إلا فى مواضع يسيرة لحكمة .

فمنها قوله سبحانه فى سورة يونس : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا

---

(١) سورة الروم ٤٨
(٢) سورة الحجر ٢٢
(٣) سورة الروم ٤٦
(٤) سورة فصلت ١٦
(٥) سورة الأحزاب ٩
(٦) سورة الحاقة ٦
(٧) سورة إبراهيم ١٨
(٨) سورة الذاريات ٤١

كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾(١)، فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد لوجهين :

أحدهما: لفظىّ، وهو المقابلة، فإنه ذكر مايقابلها ريح العذاب، وهى لا تكون إلا مفردة، وربّ شىء يجوز فى المقابلة ولا يجوز استقلالا ؛ نحو : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾(٢) .

الثانى : معنوىّ ، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ؛ فإنّ السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد ؛ فإن اختلفت عليها الرياح وتصادمت كان سبب الهلاك والغرق . فالمطلوب هناك ريح واحدة ، ولهذا أكّد هذا المعنى ، فوصفها بالطيب دفعًا لِتَوَهُّمِ أن تكون عاصفة ، بل هى ريح يُفْرَح بطيبها .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾(٣)، وهذا أورده ابن المنيِّر(٤) فى كتابه على الزمخشرىّ قال : الريح رحمة ونعمة، وسكونها شدة على أصحاب السفن .

قال الشيخ علم الدين(٥) العراقى: وكذا جاء فى القراءات السبع: ﴿ وَٱللهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيحَ ﴾(٦)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيحَ ﴾(٧) ، والمراد به الذى يَنشر السحاب .

* * *

(١) سورة يونس ٢٢　　(٢) سورة آل عمران ٥٤　　(٣) سورة الشورى ٣٣

(٤) هو كتابه المسمى الانتصاف ؛ طبع فى حواشى الكشاف ؛ وعبارة الزمخشرى : « رواكد : ثوابت ، لا تجرى على ظهره ، على ظهر البحر » ، وعبارة ابن المنير فى الرد عليه : « وهم يقولون : إن الريح لم ترد فى القرآن إلا عذابا ، بخلاف الرياح ؛ وهذه الآية تحرم الإطلاق ؛ فإن الريح المذكورة هنا نعمة ورحمة ؛ إذ بواسطتها يسير الله السفن فى البحر حتى لو سكنت لركدت ؛ ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة ما ذكروه ، وأما اطراده فلا » .

(٥) هو عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى الضرير ؛ له كتاب اليد الباسطة فى التفسير ، توفى سنة ١٢٩ (طبقات الشافعية ٦ : ١٢٩) .

(٦) سورة فاطر ٩ ، وهى قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وخلف . إتحاف فضلاء البشر ص ٣٦١

(٧) سورة الأعراف ٥٧ ، وفى فضلاء البشر ٢٢٥ : « وقرأ الرياح بالجمع نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب .

ومن ذلك جمع الظلمات والنور : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾(١).

ولذلك جُمع سبيل الباطل، وأفرد سبيل الحق، كقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾(٢) .

والجواب فى ذلك كله ، أنّ طريق الحق واحد، وأمّا الباطل فطرُقه متشعّبة متعددة ، ولما كانت الظُّلَم بمنزلة طريق الباطل ، وال . بمنزلة طريق الجنة ، بل هما هما ، أفرد النور وجمع الظلمات ؛ ولهذا وحّد الولىّ ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٣) لأنّه الواحد الأحد ، وَجمع أولياء الكفار لتعددهم ، وجمع الظلمات وهى طرق الضلال والغىّ لكثرتها واختلافها ، ووحّد النور وهو دين الحق .

* * *

ومن ذلك أفرد اليمين والشمال فى قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾(٤) ، وجمعها فى قوله : ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾(٥) ولا سؤالَ فيه ، إنما السؤالُ فى جمع أحدهما وإفراد الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾(٦) ، قال الفرّاء : كأنّه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظُّلْمة ، وإذا جُمع ذهب إلى كلّها ، والحكمة فى تخصيص اليمين بالإفراد ماسبق ؛ فإنّه لما كانت اليمين جهة الخير والصلاح، وأهلها هم الناجون أفردت، ولما كانت الشمال جهةَ أهل الباطل وهم أصحاب الشمال جمعت فى قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ ﴾(٦) .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٧
(٢) سورة الأنعام ١٥٣
(٣) سورة البقرة ٢٥٧
(٤) سورة المعارج ٣٧
(٥) سورة الأعراف ١٧
(٦) سورة النحل ٤٨

وفيه وجوه أُخَر :

أحدها : أن اليمين مقصود به الجمع أيضاً ، فإنّ الألف واللام فيه للجنس ، فقام العموم مقام الجمع . قاله ابن عطية .

الثانى : أن اليمين فعيل ، وهو مخصوص بالمبالغة،فسدّت مبالغتُهُ جمعَه ، كما سدّ مسدّ الشبه قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(١) ، قاله ابن بابشاذ .

الثالث : أن الظلّ حين ينشأ أولَ النهار يكون فى غاية الطّول ، ثم يبدو كذلك ظِلًّا واحدا من جهة اليمين ؛ ثم يأخذ فى النقصان، وإذا أخذ فى جهة الشمال فإنه يتزايد شيئا فشيئا ، والثانى فيه غير الأول، فكلما زاد فيه شيئا فهو غير ما كان قبله ، فصار كلّ جزء منه ظِلًّا فحسن جمع الشمائل فى مقابلة تعدد الظلال . قاله الرمانى وغيره .

قال ابن بابشاذ : وإنما يصحّ هذا ؛ إذا كانا متوجِّهَيْن نحو القبلة .

الرابع : أن اليمين يجمع على أيمن وأيمان ؛ فهو من أبنية جمع القلّة غالبا ، والشمال يجمع على شمائل وهو جمع كثرة والموطِنُ موطن تكثير ومبالغة ، فعدَل عن جمع اليمين إلى الألف واللام الدالّة على قصد التكثير . قاله السُّهَيْلى .

وأما إفرادها فى قوله:﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾(٢) فلأنّ المراد أهل هذه الجهة ومصيرهم إلى جهة واحدة ، وهى جهة أهل الشمال مستقرّ أهل النار ، فإنّها من جهة أهل الشمال فلا يحسن مجيئها مجموعة .

وإما إفرادهما فى قوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(١) فإن لكل عبد قعيدا، واحدا عن يمينه وآخر شماله ، يحصيان عليه الخير والشر ، فلا معنى للجمع بينهما ، وهذا بخلاف قوله تعالى ذاكرا عن إبليس : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

---

(١) سورة ق ١٧ (٢) سورة الواقعة ٤١

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[١] فإنّ الجمع هنالك يقابله كثير مما يريد إغواءهم، فجُمع لمقابلة الجملة بالجملة المقتضى لتوزيع الأفراد على الأفراد .

* * *

ومنها : حيث وقع فى القرآن ذكر الجنة فإنها تجىء تارة مجموعة ، وتارة غير مجموعة ، والنار لم تقع إلا مفردة ، وفى ذلك وجهان :

أحدهما : لما كانت الجنات مختلفة الأنواع ، حسن جمعها وإفرادها ، ولما كانت النار واحدة أفردت باعتبار الجنس ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾[٢] ، ولم يقل « وكؤوس » لما سنذكره .

الثانى : أنه لما كانت النار تعذيباً ، والجنة رَحْمة ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب ، نظير جمع الريح فى الرحمة ، وإفرادها فى العذاب .

وأيضاً فالنار دار حبْس والغاضب يجمع جماعة من المحبوسين فى موضع واحد ؛ أنكدَ لعيشهم ، والكريم لا يترك ضيفه ، ولا سيّما إذا كان للدوام ؛ إلا فى دار مفردة مهيأة له وحده ، فالنّار لكلّ مذنب ، ولكل مطيع جَنّة ، فجمع الجنان ولم يجمع النار .

* * *

ومنها : جمع « الآيات » فى موضع وإفرادها فى آخر ، فحيث جُمعت فلجمع الدلائل، وحيث وُحّدت فلوحدانية المدلول عليه ؛ لما يخرج عن ذلك . ولهذا قال فى الحِجْر : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[٣] ثم قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ، فلما ذكر صفة المؤمنين بالوحدانية ، وحّد الآية ؛ وليس لها نظير إلا فى العنكبوت ، وهو قوله : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾[٥] .

* * *

---

(١) سورة الأعراف ١٧
(٢) سورة الواقعة ١٨
(٣) سورة الحجر ٧٥
(٤) سورة الحجر ٧٧
(٥) سورة العنكبوت ٤٤

ومنها مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة بالجمع، وأخرى بالتثنية، وأخرى بالإفراد، لاختصاص كلٍّ مقام بما يقتضيه .

فالأول كقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ ﴾(١) .

والثانى كقوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾(٢) .

والثالث قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(٣) فحيث جمع ، كان المراد نفيُ المشرق والمغرب، وحيث ثُنِّيا كان المراد مشرقَيْ صعودها وارتفاعها؛ فإنها تبتدئ صاعدةً ، حتى تنتهى إلى غاية أوْجِها وارتفاعها ؛ فهذا مَشْرِق صعودها وارتفاعها ؛ وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً ، ومقابلهما مغربا .

وقيل : هو إخبار عن الحركات الفَلَكية ، متحركة بحركات متداركة ، لا تنضبط لحظةً ولا تدخل تحت قياس ؛ لأن معنى الحركة انتقال الشيء من مكان إلى آخر ، وهذه صفة الأفلاك ، قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ . . . ﴾(٤)، الآية، فهذا وجه اختلاف هذه الألفاظ بالإفراد والتثنية والجمع ، وقد أجرى الله العادَة أنّ القمرَ يطلعُ فى كلّ ليلة من مطلع غير الذى طلع فيه بالأمس، وكذلك الغروب، فهى من أوّل فصل الصيف فى تلك المطالع والمغارب ؛ إلى أن تنتهى إلى مطلع الاعتدال ، ومغربه عند أول فصل الخريف ، ثم تأخذ جنوبا فى كلّ يوم فى مطلع ومغرب ، إلى أن تنتهيَ إلى آخر مثلها الذى يقدّر الله لها عند أوّل فصل الشتاء ، ثم ترجع كذلك إلى أن تنتهيَ إلى مطلع الاعتدال الربيعى ومغربه ، وهكذا أبدا . فحيث أفرد الله له لفظ المشرق والمغرب ، أراد به الجهة نفسها التى تشتمل الواحدة على تلك المطالع جميعها ، والأخرى على تلك المغارب من غير نظر إلى تعدّدها ؛ وحيث جيء بلفظ الجمع المراد به

---

(١) سورة المعارج ٤٠

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المزمل ٩

(٤) سورة يس ٤٠

كلٌّ فرد منها بالنسبة إلى تعدّد تلك المطالع والمغارب ، وهى فى كل جهة مائة وثمانون يوما، وحيث كان بلفظ التثنية ، فالمراد بأحدهما الجهة التى تأخذ منها الشمس من مطلع الاعتدال إلى آخر المطالع والمغارب الجنوبية، وبهذا الاعتبار مشرقان ومغربان .

وأمّا وجه اختصاص كلّ موضع بما وقع منه ، فأبدَى فيه بعضُ المتأخرين معانىَ لطيفة ، فقال :

أمّا ما ورد مثنًّى فى سورة الرحمن[1] ، فلأنَّ سياقَ السورة سياق المزدوِجَيْن .

الثانى : فإنه سبحانه أوّلًا ذكر نوعَيِ الإيجاد؛ وهما الخلق والتعليم، ثم ذكر سراجَيِ العالم ومظهرَ نوره، وهما الشمس والقمر، ثم ذكر نَوْعَيِ النبات؛ فإنّ منه ماهو على ساق، ومنه ما انبسط على وجه الأرض ، وهما النجم والشجر . ثم ذكر نَوْعَيِ السماء المرفوعة والأرض ، ثم أخبر أنّه رفع هذه ووضع هذه ، ووسّط بينهما ذكر الميزان، ثم ذكر العدل والظلم فى الميزان ، فأمر بالعدل ، ونهى عن الظلم ، ثم ذكر نوعيِ الخارج من الأرض ، وهما الجنوب ، ثم ذكر نوعَيِ المكلّفين ، وهما نوع الإنسان والجان ، ثم ذكر نوعَيِ المشرق والمغرب ، ثم ذكر بعد ذلك البحر من الملح والعذْب ، فلهذا حَسُن تثنية المشرق والمغرب فى هذه السورة .

وإنما أُفرِدا فى سورة المزمّل لما تقدم من ذكر الليل والنهار ، فإنه سبحانه أمر نبيّه بقيام الليل ، ثم أخبر أنّه لَهُ فى النهار سَبْحا طويلًا ؛ فلما تقدم ذكر الليل والنهار ، تمّمه بذكر المشرق والمغرب ، اللذيْن هما مظهر الليل والنهار ، فكان ورودهما منفرديْن فى هذا السياق ، أحسنُ من التثنية والجمع ؛ لأن ظهور الليل والنهار فيهما واحد.

وإنما جمعا فى سورة المعارج فى قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ

---

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ . فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ آيه ١٧ وما بعدها .

إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[١]، لأنه لما كان هذا القسم سَعة مشارق ربوبيته، وإحاطة قدرته، والمقسَم عليه إذهابُ هؤلاء، والإتيان بخير منهم ذكر المشارق والمغارب؛ لتضمُّنها انتقال الشمس التى فى أحد آياته العظيمة، ونقله سبحانه لها، وتصريفها كلّ يوم فى مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يُعْجِزه أن يبدلّ هؤلاء، وينقل إلى أمكنتهم خيراً منهم!

وأيضاً فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها فى اختلاف أحوال النبات والحيوان أمرٌ مشهود، وقد جعله الله بحكمته سببا لتبدّل أجسام النبات وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلى حال، ومن بَرْد إلى حرّ، وصيف وشتاء، وغير ذلك بسبب اختلاف مشارق الأرض ومغاربها، فكيف لا يَقْدر مع ما يشهدونه من ذلك على تبديل مَنْ هو خير! وأكّد هذا المعنى بقوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[٢]، فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع.

وأما جمعهما فى سورة الصافات فى قوله: ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾[٣]، لما جاءت مع جملة المربوبات المتعدّدة، وهى السموات والأرض وما بينهما، وكان الأحسن مجيئها مجموعة، لتنتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد.

ثم تأمّل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب، لاقتضاء الحال ذلك، فإنَّ المشارقَ مظهر الأنوار، وأسباب لانتشار الحيوان وحياته، وتصرّفه فى معاشه وانبساطه، فهو إنشاء شهود، فقدّمه بين يدى ...[٤] على مبدأ البعث، فكان الاقتصارُ على ذكر المشارق

---

(١) سورة المعارج ٤٠، ٤١

(٢) سورة المعارج ٤١، بعد قوله فى الآية قبلها: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾.

(٣) سورة الصافات ٥: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾.

(٤) كلمة غير واضحة فى الأصول، وفى العبارة غموض.

ها هنا فى غاية المناسبة للغرض المطلوب ؛ فتأمّل هذه المعانى الكاملة ، والآيات الفاضلة ، التى ترقص القلوب لها طربا ، وتسيل الأفهام منها رهبا !

* * *

وحيث ورد البارّ مجموعا فى صفة الآدميين قيل « أبرار » ، كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾(١) ، وقال فى صفة الملائكة : ﴿ بَرَرَةٍ ﴾(٢) ، قال الراغب : نخص(٣) الملائكة بها(٤) ، من حيث أنه أبلغ من « أبرار جمع « برّ » وأبرار جمع بار ، [وبرّ أبلغ من بارّ](٥) ، كما أن عدلا أبلغ من عادل .

وهذا بناء على رواية فى تفضيل الملائكة على البشر .

* * *

ومنها أن الأخ يطلق على أخى النسب ، وأخى الصداقة والدين ، ويفترقان فى الجمع ، فيقال فى النسب إخوة ، وفى الصداقة إخوان ، كما قيل : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾(٦) .

وقال : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾(٧) ، قاله جماعة من أهل اللغة ، منهم ابن فارس ، وحكاه أبو حاتم عن أهل البصرة ، ثم ردّه بأنه يقال للأصدقاء والنسب : إخوة وإخوان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٨) ، لم يعنِ النسب.

وقال : ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾(٩) .

وهذا فى النسب ، ونظيره قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾(٩) ، إلى قوله : ﴿ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ ﴾(٩) ، وهذا هو الصواب . واشتقاق اللفظين من تأخيت

---

(١) سورة الانفطار ١٣

(٢) سورة عبس ١٥ ، ١٦ ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ .

(٣) المفردات ٤٠

(٤) المفردات : « فى القرآن » .

(٥) من المفردات .

(٦) سورة الحجر ٤٧

(٧) سورة النساء ١١

(٨) سورة الحجرات ١٠

(٩) سورة النور ٣١

الشيء ، فسمّى الأخوان أخوين ؛ لأن كل واحد منهما يتأخّى ما تأخّاه الآخر ، أى يقصده .

قال ابن السكيت : ويقال أُخوة ، بضم الهمزة .

***

ومنها إفراد العمّ والخال .

ومنها إفراد السمع وجمع البصر ، كقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَارِهِمْ ﴾(١) ، لأنّ السمع غلب عليه المصدرية ؛ فأُفرد ، بخلاف البصر ، فإنه اشتهر فى الجارحة ، وإذا أردت المصدر قلت: أبصَرَ إبصارًا ، ولهذا لمّا استعمل الحاسة جمعه بقوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾(٢) ، وقال : ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾(٣) .

وقيل : فى الكلام حذف مضاف ، أى على حواسّ سمعهم .

وقيل : لأنّ متعلق السمع الأصوات ، وهى حقيقة واحدة ، ومتعلّق البصر الألوان والأكوان ، وهى حقائق مختلفة ، فأشار فى كلٍّ منهما إلى متعلّقه.

ويحتمل أن يكون البصر الذى هو نور العين معنى يتعدّد بتعدد المقلتين، ولا كذلك السمع ، فإنه معنى واحد ، ولهذا إذا غطيت إحدى العينين ينتقل نورها إلى الأخرى ، بخلاف السمع ، فإنه ينقص بنقصان أحدهما .

***

وقال الزمخشرىّ فى قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾(٤) : أجرى الرعد والبرق على أصلهما مصدرين ، فأفردهما دون الظلمات ، يقال : رعدت السماء رعدا،

---

(١) سورة البقرة ٧
(٢) سورة البقرة ١٩
(٣) سورة فصلت ٥
(٤) سورة البقرة ١٩

وبرقت برقا ، والحق أن الرعد والبرق مصدران ، فأفردهما . أو هما مسببان عن سبب لا يختلف ، بخلاف الظلمة ، فإن أسبابها متعددة .

* * *

ومنها ، حيث ذكر الكأس فى القرآن كان مفردا ، ولم يجمع فى قوله تعالى : ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ ﴾(١) ، ولم يقل : « وكؤوس » ، لأن الكأسَ إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ، بل قَدَح . والقَدَح إذا جعل فيه الشراب فالاعتبار للشراب ، لا لإنائه ، لأنَّ المقصود هو المشروب ، والظرف اتخذ للآلة، ولولا الشراب والحاجة إلى شربه لما اتُّخذا ، والقدَح مصنوع والشراب جنس ، فلو قال: « كؤوس » لكان اعتبر حال القَدح والقدَح تبع ، ولما لم يُجمع اعتبر حال الشراب ، وهو أصل ، واعتبار الأصل أولى . فانظر كيف اختار الأحسن من الألفاظ !

وكثير من الفصحاء قالوا : دارت الكؤوس ، ومال الرءوس ؛ فدعاهم السجع إلى اختيار غير الأحسن ، فلم يدخل كلامهم فى حَدّ الفصاحة ، والذى يدلّ على ما ذكرنا أنّ الله تعالى لما ذكر الكأس واعتبر الأصل ، قال : ﴿ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾(٢) ، فذكر الشراب .

وحيث ذكر المصنوع ، ولم يكن فى اللفظ دلالة على الشراب جَمَع فقال: ﴿ وَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾(٢) ، ثم ذكر ما يتخذ منه فقال : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾(٣) .

* * *

ومنها إفراد «الصديق» ، وجمع «الشافعين» ، فى قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾(٤) ، وحكمتُه كثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق، قال الزمخشرى:

---

(١) سورة الواقعة ١٨
(٢) سورة الواقعة ١٨
(٣) سورة الإنسان ١٥
(٤) سورة الشعراء ١٠٠ ، ١٠١

ألا ترى أنَّ الرَّجُل إذا امْتُحِن بإرهاق ظالم ، نهضت جماعة وافرة من أهل بلده بشفاعته رحمة له ، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة ! وأما الصديق فأعزُّ من بَيْض الأنوق . وعن بعض الحكماء أنه سُئِل عن الصديق ، فقال : اسم لا معنى له .

ويجوز أن يريد بالصديق الجمع .

* * *

وقال السُّهيليّ فى « الرَّوْض الأنف » : إذا قلت : عبيد ونخيل ، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[2] ؛ وحين ذكر المخاطبين منهم قال « العباد »[3] ، ولذلك قال حين ذكر التمر من النخيل : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾[4] ، و ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[5] ، فتأمّل الفرق بين الجمعين فى حكم البلاغة ، واختيار الكلام !

وأما فى مذهب اللغة ، فلم يفرقوا هذا التفريق ، ولا نبّهوا على هذا المعنى الدقيق .

* * *

ومنها اختلاف الجمعين فى قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾[6] إلى قوله : ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾[6] .

وقال : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾[7] .

فأما وجه التفرقة بين الجمع فى الموضعين ، وكذلك قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[8] إلى قوله : ﴿ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ ﴾

---

(١) سورة الرعد ٤
(٢) سورة فصلت ٤٦
(٣) وهو قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ ﴾ .
(٤) سورة ق ١٠
(٥) سورة القمر ٢٠
(٦) سورة البقرة ٢٦٦
(٧) سورة النساء ٩
(٨) سورة النور ٣١

نخالف بين الجمعين فى الأبناء . وفى سورة الأحزاب : ﴿ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ ﴾(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾(٢) ، وفى موضع آخر : ﴿ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ ﴾(٣) ، فالمعدود واحد .

وقد اختلف تفسيره ، فالأول جاء بصيغة جمع الكثرة ، والثانى بجمع القلّة .

وقد قيل فى توجيهه : إنّ آية البقرة سيقت فى بيان المضاعفة والزيادة ، فناسب صيغة جمع الكثرة ، وآية يوسف لحظ فيها(٤) ... وهو قليل ، فأتى بجمع القلّة ؛ ليصدّق اللفظ المعنى

تنبيه

جمع التكسير يشمل أولى العلم وغيرهم ، وجمع السلامة يختص فى أصل الوضع بأولى العلم ، وإن وجد فى غيرهم فبحكم الإلحاق والتشبيه ، كقوله : ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ ﴾(٥) ، وعلى هذا فأشرف الجمعين جمع السلامة، وما يجمع جمع التكسير من مذكّر غير العاقل قد يُتبع بالصفة المفردة مؤنثة بالتاء، كما يفعل بالخبر ، تقول : حقوق معقودة ، وأعمال محسوبة ، قال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾(٧) .

وقد يجمع بالألف والتاء فى غير المفرد وإن لم يكثر ، إلا أنه فصيح ، ومنه : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٥
(٢) سورة البقرة ٢٦١
(٢) سورة يوسف ٤٣
(٤) كلمة غير واضحة فى الأصول .
(٥) سورة يوسف ٤
(٦) سورة الغاشية ١٣–١٦
(٧) سورة هود ٨٨
(٨) سورة البقرة ٢٠٣

قاعدة نحوية

نون ضمير الجمع فى جمع العلاقات ، سواء القلّة كالهندات ، أو الكثرة كالهنود ، فتقول : الهندات يَقُمْن ، والهنود يَقُمْن قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾[1] ، ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[2] ؛ هذا هو الأكثر .

وقد جاء فى القرآن بالإفراد ، قال تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾[3] ، ولم يقل : « مطهرات » .

وأما جمعُ غير العاقل ففيه تفصيل :

إن كان للكثرة أتيت بضميره مفردا ، فقلت : الجذوع انكسرت، وإن كان القلة، أتيت جمعا .

وقد اجتمعا فى قوله : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ ٱللَّهِ﴾[4] إلى أن قال : ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[4] ، فالضمير فى « منها » يعود إلى « الاثنى عشر » ، وهو جمع كثرة ، ولم يقل « منهن » ، ثم قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[4] ، فهذا عائدٌ إلى الأربعة ، وهو جمع قلة .

فإن قيل : فما السرُّ فى هذا حيث كان يؤتى مع الكثرة بضمير المفرد ، ومع القلة بضمير الجمع ؟ وهلّا عكس ؟

قلنا : ذكر الفراء له سرا لطيفا ، فقال : لما كان المميّز مع جمع الكثرة واحدا ، وحّد الضمير لأنه من أحد عشر يصير مميزه واحدا ، وهو أَنْدَرُهم ، وأما جمع القلة فمميّزه جمع ، لأنك تقول : ثلاثة دراهم ، أربعة دراهم ، وهكذا ، إلى العشرة تمييزه جمع ، فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميّز جمعا وإفرادا، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾،[5] فأتى بجمع القلة ولم يقل:« بحور » لتناسب نظم الكلام ؛ وهذا هو الاختيار فى إضافة العدد إلى جمع القلّة .

(١) سورة البقرة ٢٣٣
(٢) سورة البقرة ٢٢٨
(٣) سورة آل عمران ١٥
(٤) سورة التوبة ٣٦
(٥) سورة لقمان ٢٧

وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾(١)، فأضاف الثلاثة إلى القروء، وهو جمع كثرة، ولم يضفها إلى الأقراء التى هى جمع قلة. قال الحريرى: المعنى: لِتَتَرَبَّص كُلّ واحدة منهن ثلاثة أقراء، فلمّا أسنَدَ إلى جماعتهنّ - والواجب على كل فرد منهن ثلاثة - أتى بلفظ «قروء» لتدل على الكثرة المرادة، والمعنى الملوح.

قاعدة فى الضمائر

وقد صنف ابنُ الأنبارىّ فى بيان الضمائر الواقعة فى القرآن مجلدين - وفيه مباحث:

* * *

الأول: للعدول إلى الضمائر أسباب:

منها - وهو أصل وضعها - للاختصار، ولهذا قام قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢)، مقام خمسة وعشرين لو أتى بها مظهرة.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾(٣)، نقل ابن عطية عن مكىّ، أنه ليس فى كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، وهى مشتملة على خمسة وعشرين ضميرا. وقد قيل: فى آية الكرسى أحد وعشرون اسما؛ ما بين ضمير وظاهر.

ومنها، الفخامة بشأن صاحبه؛ حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾(٤)، يعنى القرآن، وقوله: ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾(٥). ومنه ضمير الشأن.

---

(١) سورة البقرة ٢٢٨
(٢) سورة الأحزاب ٣٥
(٣) سورة النور ٣١
(٤) سورة القدر ١
(٥) سورة البقرة ٩٧

ومنها التحقير ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(١) ، يعنى الشيطان .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(٢) .

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾(٣) .

* * *

الثانى : الأصلُ أن يقدم ما يدلّ عليه الضمير ، بدليل الأكثرية وعدم التكليف ، ومن ثَمّ ورد قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾(٤) ، وتقدّم المفعول الثانى فى قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ ﴾(٥) ، فأخّر المفعول الأول ليعود الضمير الأول عليه لقربه .

وقد قسم النحويون ضمير الغيبة إلى أقسام :

أحدها ـ وهو الأصل ، أن يعودَ إلى شىء سبق ذكره فى اللفظ بالمطابقة ، نحو : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾(٦) .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾(٧) .

﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾(٨) .

وقوله : ﴿ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾(٩) .

الثانى : أن يعود على مذكور فى سياق الكلام ، مؤخر فى اللفظ مقدم فى النية ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾(١٠) .

---

(١) سورة البقرة ١٦٨
(٢) سورة الأعراف ٢٧
(٣) سورة الانشقاق ١٤
(٤) سورة البقرة ٢٨٢
(٥) سورة الأنعام ١١٢
(٦) سورة طه ١٢١
(٧) سورة هود ٤٢
(٨) سورة النور ٤٠
(٩) سورة الأحقاف ٢٩
(١٠) سورة طه ٦٧

وقوله : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[١] .

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾[٢] .

الثالث : أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمّن ، كقوله تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٣] ، فإنه عائد على « العدل » المفهوم من « اعدلوا » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[٤] ، فالضمير يرجع للأكل لدلالة « تأكلوا » .

وقوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾[٥] إلى قوله : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾[٥] أى المقسوم، لدلالة القسمة عليه . ويحتمل أن يعود على ما تركه الوالدان والأقربون ؛ لأنه مذكور ، وإن كان بعيدا .

الرابع : أن يدلّ عليه بالالتزام ، كإضمار النفس فى قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾[٦] ، ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[٧] ، أضمر النفس لدلالة ذكر الحلقوم والتراقى عليها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[٨] ، يعنى الشمس .

وقيل : بل سبق ما يدلُّ عليها ، وهو العشىّ ؛ لأن العشىّ ما بين زوال الشمس وغروبها ، والمعنى : إذ عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب .

وقيل : فاعل « توارت » ضمير « الصافنات » ذكره ابن مالك ، وابن العربى فى « الفتوحات » . ويرجّحه أن اتفاق الضمائر أولى من تخالفها ، وسنذكره فى الثامن .

---

(١) سورة القصص ٧٨
(٢) سورة الرحمن ٣٩
(٣) سورة المائدة ٨
(٤) سورة الأنعام ١٢١
(٥) سورة النساء ٨
(٦) سورة الواقعة ٨٣
(٧) سورة القيامة ٢٦
(٨) سورة ص ٣٢

وكذا قوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾(١) ، قيل : الضمير لمكان « الإغارة » بدلالة « والعاديات » عليه ، فهذه الأفعال إنما تكون لمكان .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(٢) ، أضمر القرآن ؛ لأن الإنزال يدل عليه .

وقوله : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٣) ، فـ « عفى » يستلزم « عافيا » إذ أغنى ذلك عن ذكره ، وأعيد الهاء من ﴿ إليه ﴾ عليه .

الخامس: أن يدلّ عليه السياق فيضمر ، ثقةً بفهم السامع كإضمار «الأرض» في قوله: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾(٤) ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٥) .

وجعل ابن مالك الضميرَ للدنيا ، وقال : وإن لم يتقدم لها ذكر ، لكن تقدّم ذكر بعضها ، والبعض يدلّ على الكلّ .

وقوله تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾(٦) ، يعنى القرآن أو المسجد الحرام .

وقوله : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾(٧) .

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾(٨) .

﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾(٩) ، الضمير يعود على الميت ، وإن لم يتقدم له ذِكْر ، إلا أنه لمّا قال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٩) عَلِمَ أن ثَمَّ ميتا يعود الضمير عليه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾(١٠) ثم قال : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾(١٠) ؛ أى من الموروث ، وهذا وجه آخر غير ما سبق .

---

(١) سورة العاديات ٤ ، ٥
(٢) سورة القدر ١
(٣) سورة البقرة ١٧٨
(٤) سورة فاطر ٤٥
(٥) سورة الرحمن ٢٦
(٦) سورة المؤمنون ٦٧
(٧) سورة يوسف ٢٦
(٨) سورة القصص ٢٦
(٩) سورة النساء ١١
(١٠) سورة النساء ٨

وقوله : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا ﴾(١) ولم يقل « اتخذه » ، ردًّا للضمير إلى « شيئًا » ، لأنه لم يقتصر على الاستهزاء بما يسمع من آيات الله ؛ بل كان إذا سمع بعض آيات الله استهزأ بجميعها .

وقيل : « شيئًا » بمعنى الآية ؛ لأن بعض الآيات آية .

وقد يعود الضمير على الصاحب المسكوت عنه لاستحضاره بالمذكور وعدم صلاحيته له ، كقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾(٢) ، فأعاد الضمير للأيدى لأنها تصاحب الأعناق فى الأغلال ، وأغنى ذكر الأغلال عن ذكرها .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾(٣) ، أى من عمر غير المعمّر ، فأعيد الضمير على غير المعمّر ؛ لأن ذكر المعمّر يدل عليه لتقابلهما ، فكان يصاحبه الاستحضار الذهنىّ .

وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم له ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾(٤) ، بعد قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾(٥) ؛ فإنه عائد على المطلّقات ؛ مع أن هذا خاصّ بالرَّجْعى ، وهل يقتضى ذلك تخصيص الأول ؟ فيه خلاف أصولىّ . وقوله : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٦) ؛ فإن الفضة بعض المذكور، فأغنى ذكرُها عن ذكر الجميع ؛ حتى كأنه قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ﴾(٦) ، أصناف ما يكنز .

وقد يعود على اللفظ الأوّل دون معناه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾(٧) ، وقد سبق فيه وجه آخر .

---

(١) سورة الجاثية ٩
(٢) سورة يس ٨
(٣) سورة فاطر ١١
(٤) سورة النساء ١١
(٥) سورة البقرة ٢٢٨
(٦) سورة التوبة ٣٤
(٧) سورة فاطر ١١

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾(١) ، على أحد الأقوال .

ومما يُتخرّج عليه : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾(٢) ، ويستراح من إلزام تخصيص الأول .

وقد يعود على المعنى ، كقوله فى آية الكلالة : ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾(٣) ، ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه الضمير من « كانتا » ، قال الأخفش : إنما يثنى ، لأن الكلام لم يقع على الواحد والاثنين والجمع ، فثنى الضمير الراجع إليها ، حملا على المعنى ، كما يعود الضمير جمعا فى « مَنْ » حملا على معناها .

وقال الفارسىّ : إنما جازت من حيث كان يفيد العدد ، مجرداً من الصغير والكبير .

السادس : ألّا يعود على مذكور ، ولا معلوم بالسياق أو غيره وهو الضمير المجهول الذى يلزمه التفسير بجملة أو مفرد ، فالمفرد فى نعم وبئس ، والجملة ضمير الشأن والقصة ، نحو ، هو زيد منطلق ، وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(٤) ، أى الشأن الله أحدٌ .

وقوله : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ أَنَا اللَّهُ ﴾(٦) .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾(٧) .

وقد يكون مؤنثا إذا كان عائده مؤنثا ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾(٨) ، وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾(٩) فذكر

---

(١) سورة السجدة ٢٣
(٢) سورة البقرة ٢٨
(٣) سورة النساء ١٧٦
(٤) سورة الإخلاص ١
(٥) سورة الكهف ٢٨
(٦) سورة طه ١٤
(٧) سورة الحج ٤٦
(٨) سورة الأنعام ٢٩
(٩) سورة طه ٧٤

الضمير مع اشتمال الجملة على جهنم وهى مؤنثة، لأنها فى حكم الفضلة، إذا المعنى: مَنْ يأت ربه مجرما يجز جهنم.

(تنبيه) : والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصل يكون على لفظ الغائب والمتكلم والمخاطب، قال تعالى : ﴿ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾[1] . ﴿ كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ ﴾[2] . ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا ﴾[3]، ويكون له محل من الإعراب، وضمير الشأن لا يكون إلا غائبا ويكون مرفوعَ المحلّ ومنصوبه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4] . ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[5] .

* * *

البحث الثالث : قد يعود على لفظ شىء ، والمراد به الجنس من ذلك الشىء ، كقوله تعالى : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾[6] ؛ فإن الضمير فى « به » يرجع إلى المرزوق فى الدارين جميعاً ؛ لأن قوله : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ مشتمل على ذكر مارزقوه فى الدارين.

قال الزمخشرىّ : ونظيره: ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾[7]، أى بجنس الفقير والغنى ، لدلالة قوله : ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ على الجنسين ، ولو رجع إلى المتكلم به لوحّده .

* * *

البحث الرابع : قد يذكر شيئان ويعاد الضمير على أحدهما ، ثم الغالب كونه للثانى ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[8]، فأعاد الضمير للصلاة لأنها أقرب .

---

(١) سورة الأنفال ٣٢
(٢) سورة المائدة ١١٧
(٣) سورة الكهف ٣٩
(٤) سورة الإخلاص ١
(٥) سورة الجن ١٩
(٦) سورة البقرة ٢٥
(٧) سورة النساء ١٣٥
(٨) سورة البقرة ٤٥

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾(١) والأصل: « قدرهما » لكن اكتفى برجوع الضمير للقمر لوجهين: قربه من الضمير، وكونه هو الذى يعلم به الشهور، ويكون به حسابها.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢)، أعاد الضمير على الفضة لقربها.

ويجوز أن يكون إلى المكنوز، وهو يشملها.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾(٢)، أراد يرضوهما، فخص الرسول بالعائد، لأنه هو داعى العباد إلى الله، وحجته عليهم، والمخاطب لهم شفاها بأمره ونهيه، وذكر الله تعالى فى الآية تعظيما، والمعنى تام بذكر الرسول وحده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾(٣)، فذكر الله تعظيما، والمعنى تام بذكر رسوله.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾(٤).

وجعل منه ابن الأنبارى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾(٥) أعاد الضمير للإثم، لقربه، ويجوز رجوعه إلى الخطيئة والإثم على لفظها، بتأويل: ومن يكسب إثما ثم يرم به.

وقال ابن الأنبارى: ولم يؤثر الأول بالعائد فى القرآن كله إلا فى موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا﴾(٦)، معناه « إليهما »، فخص التجارة بالعائد، لأنها كانت سبب الانفضاض عنه، وهو يخطب.

قال: فأما كلام العرب فإنها تارة تؤثر الثانى بالعائد وتارة الأول، فتقول: إن عبدك وجاريتك عاقلة، وإن عبدك وجاريتك عاقل.

---

(١) سورة يونس ٥
(٢) سورة التوبة ٣٤
(٣) سورة النور ٤٨
(٤) سورة الأنفال ٢٠
(٥) سورة النساء ١١٢
(٦) سورة الجمعة ١١

قلت : ليس من هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[1] وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ ،[2] لأن الإخبار عن أحدهما لوجود لفظه ، أو هى لإثبات أحد المذكورين ، فمن جعله نظير هذا فلم يُصِب ، إلا أن يدّعى أنّ « أو » بمعنى الواو .

وفى هاتين الآيتين لطيفة ، وهى أنّ الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما ، أعاده فى الآية الأولى على التجارة ، وإن كانت أبعد ومؤنّثة ، لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو ، بدليل أن المشتغلين بها أكثر من اللهو ، ولأنها أكثر نفعا من اللهو . أو لأنها كانت أصلا واللهو تبعا ، لأنه ضُرِب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير[3] الآية . وأعاده فى الآية الثانية على الإثم ، رعايةً لمرتبة القرب والتذكر .

* * *

الخامس : قد يذكر شيئان ، ويعود الضمير جمعا ؛ لأن الاثنين جَمْع فى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾[4] ، يعنى حكم سليمان وداود .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[5] ، فأوقع « أولئك » وهو جمع ، على عائشة وصفوان بن المعطّل .

* * *

البحث السادس : قد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين ، كقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ،[6] قالوا : وإنما يخرج من أحدهما .

وقوله : ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[7] وإنما نسيه الفتى .

* * *

(١) سورة الجمعة ١١ (٢) سورة النساء ١١٢
(٣) انظر أسباب النزول للواحدى ٣١٩ ــ ٣٢٠
(٤) سورة الأنبياء ٧٨ (٥) سورة النور ٢٦
(٦) سورة الرحمن ٢٢ (٧) سورة الكهف ٦١

السابع : قد يجيء الضمير متصلا بشيء وهو لغيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾(١) ، يعنى آدم ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾(١) ؛ فهذا لولده ، لأنّ آدم لم يخلق من نطفة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(٢) ، قيل : نزلت فى ابن حُذافة حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ أبى ؟ قال : حذافة ، فكان نسبه ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾(٢) . وقيل : نزلت فى الحج ، حين قالوا : أفى كل عام مرة؟ ثم قال: ﴿وَإِنْ تسألوا عنها﴾ ، يريد: إن تسألوا عن أشياء أخر من دينكم بكم إلى علمها حاجة تبد لكم ، ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، أى طلبها ، والسؤال عنها طلب ، فليست الهاء راجعة لأشياء متقدمة ، بل لأشياء أُخَر مفهومة من قوله : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾(٢) ويدلّ على ما ذكرنا أنه لو كان الضمير عائدا على أشياء مذكورة لتعدّى إليها بـ «من» لا بنفسه، ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به.

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(٣)، يتبادر إلى الذهن أن الضمير فى قوله : ﴿ هُوَ ﴾ عائد لإبراهيم ، لأنه أقرب المذكورين ، وهو مشكل لا يستقيم ، لأن الضمير فى قوله : ﴿ وفى هذا ﴾ ، راجع للقرآن، وهو لم يكن فى زمن إبراهيم، ولا هو قاله. والصواب أن الضمير راجع إلى الله سبحانه، يعنى ﴿ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(٤)، يعنى فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلكم ، وفى هذا الكتاب الذى أنزل عليكم ، وهو القرآن.

والمعنى : جاهدوا فى الله حقّ جهاده ، هو اجتباكم ، وهو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا الكتاب لتكونوا، أى سماكم وجعلكم مسلمين لتشهدوا على الناس يوم القيامة.

وقوله : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٤) ، منصوب بتقدير « اتّبعوا » ، لأنّ هذا

(١) سورة المؤمنون ١٢، ١٣
(٢) سورة المائدة ١٠١ ، ١٠٢
(٣) سورة الحج ٧٨
(٤) سورة الحج ٧٨ .

الناصب نصبه قوله : ﴿ جَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ، لأنّ الجهادَ من ملة إبراهيم .

وفى سورة يس موضعان ، توهَّم فيهما كثير من الناس :

أحدهما قوله : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[1] ، فقد يُتَوهَّمُ أنّ الضمير فى «هم» راجع إلى الليل والنهار، بناء على أن أقلّ الجمع اثنان، وهو فاسد لوجهين : أحدهما أنّ النهار ليس مظلما ، والثانى أنّ كون أقلّ الجمع اثنانِ مذهب مرجوح، إنما الضمير راجع إلى الكفار الذين يحتج عليهم بالآيات، و ﴿ مظلمون ﴾ : داخلو الظلام ، كقولك : « مصبحون » و « ممسون » إذا دخلوا فى هذه الأشياء .

والثانى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[2] ، يظنّ بعضهم أن معناه مِثْـل السموات والأرض ، وهو فاسد لوجهين :

أحدهما أنهم ما أنكروا إعادة السموات والأرض حتى يدلّ على إنكارهم إعادتهما بابتدائهما ؛ وإنما أنكروا إعادة أنفسهم ، فكان الضمير راجعا إليهم ، ليتحقق حصول الجواب لهم والردّ عليهم .

الثانى لتبيّن المراد فى قوله: ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3].

فإن قيل : إنما أثبت قدرتَه على إعادة مثلهم لا على إعادتهم أنفسهم ، فلا دلالة فيه عليهم .

قلنا : المراد بمثلهم « هم » كما فى قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[4] ، وقولهم : مثلى لا يفعل كذا ، أىْ أنا، وبدليل الآية الأخرى .

وقوله : ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[5] ، قد يتوهَّم عودُه على الله، وليس كذلك،

(١) سورة يس ٣٧
(٢) سورة يس ٨١
(٣) سورة الأحقاف ٣٣
(٤) سورة الشورى ١١
(٥) سورة فاطر ١٠

وإلا لنصب « العمل » كما تقول : قام زيد وعمرا يضربه ؛ وإنما الفاعل فى « يرفعه » عائد إلى العمل ، والهاء للكلم .

قال الفارسىّ فى « التذكرة » : المنصوب فى ﴿ يَرْفَعُهُ ﴾ عائد للكلم [1] ؛ لأن الكلم جمع كلمة ، قال : كلم كالشجر ، فى أنه قد وُصف بالمفرد فى قوله : ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ ﴾ [2] ، وكذلك وصف الكلم بالطيّب ، ولو كان الضمير المنصوب فى ﴿ يرفعه ﴾ عائدا إلى « العمل » لكان منصوباً فى هذا الوجه . وما جاء التنزيل عليه ، من نحو . ﴿ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [3] . والضمير المرفوع فى ﴿ يَرْفعه ﴾ عائد إلى العمل ، فلذلك ارتفع العمل ، ولم يحمل على قوله : ﴿ يصعد ﴾ ويضمر له فعل ناصب ، كما أضمرت لقوله : ﴿ والظالمين ﴾ ، والمعنى : يُرفع العمل الصالح الكلم الطيّب ، ومعنى « يرفع العمل » أنه لا يحبط ثوابه فيرفع لصاحبه ، ويثاب عليه ، وليس كالعمل السيئ الذى يقع معه الإحباط ، فلا يرفع إلى الله سبحانه .

* * *

الثامن : إذا اجتمع ضمائر ، فحيث أمكن عوْدُها لواحد فهو أوْلى من عوْدها لمختلف ، ولهذا لما جوّز بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ . . . ﴾ الخ أن الضمير فى ﴿ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [4] ، للتابوت وما بعده ، وما قبله لموسى عابه الزمخشرى ، وجعله تنافرا ومخرجاً للقرآن عن إعجازه ، فقال : [5] والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدّى إليه من تنافر النظر .

فإن قلت : المقذوف فى البحر هو التابوت وكذلك الملْقى إلى الساحل !

---

(١) من قوله فى الآية قبلها : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ .

(٢) سورة يس ٨٠

(٣) سورة الدهر ٣١

(٤) سورة طه ٣٩

(٥) الكشاف ٣ : ٤٩

قلت : ما ضرك لو جعلت[1] المقذوف والملقَى إلى الساحل هو موسى فى جوف التابوت، حتى لا تفرّق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذى هو قوام[2] إعجاز القرآن، [والقانون الذى وقع عليه التحدّى][3] ومراعاته أهم ما يجب على المفسّر . انتهى ولا مزيد على حسنه .

وقال فى قوله : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾[4] : الضمائر لله عز وجل ، والمراد بتعزير الله تعزير دينه[5] ورسوله. ومن فرّق الضمائر فقد أبعد.

أى فقد قيل إنها للرسول إلا الأخير ؛ لكن قد يقتضى المعنى التخالف ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾[6]، الهاء والميم فى « فيهم » لأصحاب الكهف، والهاء والميم فى « منهم » . لليهود قاله ثعلب والمبرد .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[7] بعد قوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ ومَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾[9] .

وقوله : ﴿ وعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[10] ، أى عمروا الأرض الذين كانوا قبل قريش ، أكثر مما عمرتها قريش .

وقوله : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ﴾ [11] الآية فيها اثنا عشر ضميرا ، خمسة للنبى صلى الله عليه وسلم وله[12]. . . والثالث ضمير ﴿ فِى الْغَارِ ﴾، لأنه يتعلق باستقرار محذوف،

---

(١) الكشاف : « قلت »

(٢) الكشاف : « أم الإعجاز » .

(٣) م : « نبيه »

(٤) سورة الفتح ٩

(٥) الكشاف ٤ : ٢٦٥

(٦) سورة الكهف ٢٢

(٧) سورة المؤمنون ٥٩

(٨) سورة النحل ١٠٠

(٩) سورة سبأ ٤٥

(١٠) سورة الروم ٩

(١١) سورة التوبة ٤٠

(١٢) كذا فى الأصول، وفى الكلام سقط وغموض

فيحتمل ضميرا، والرابع ﴿ صَاحِبُهُ ﴾، والخامس ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾، والسادس ﴿معنا﴾، والسابع في ﴿ عليه ﴾ على قول الأكثر فيما نقله السهيلي؛ لأن السكينة على النبي صلى الله عليه وسلم دائما لأنه كان قد علم أنه لا يضره شيء، إذ كان خروجه بأمر الله.

وأما قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾[1]، فالسكينةُ نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنين، لأنه خاف على المسلمين ولم يخف على نفسه، فنزلت عليه السكينة من أجلهم لا من أجله.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾[2]، قيل: الضميران عائدان على يوسف، قال للناّجي: اذكر الملك بأمري.

ورجح ابن السيِّد هذا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[2] أي بعد حين.

وفي قراءة ابن عامر بعد «أَمَة» بالتخفيف، أي نسيان؛ وإلا لم يكن ليذكر تذكُّر الفتى بعد النسيان. والذُّكْر على هذا يحتمل وجهين: أن يكون بمعنى التذكير، ويكون مصدر ذكرته ذكرا، فالتقدير: فأنساه الشيطان ذكره عند ربه، فأضاف الذكر إلى الربّ، وهو في الحقيقة مضاف إلى ضمير يوسف، وجاز ذلك لملاءمته بينهما.

وقد يخالَف بين الضمائر حذراً من التنافر، كقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[3]، كما عاد الضمير على «الاثني عشر»، ثم قال: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾[3]، لما أعاد على «أربعة»، وهو جمع قلة.

وجوز بعضهم عودَه على «الاثني عشر» أيضا، بل هو الصواب، لأنه لا يجوز أن ينهى عن الظلم في الأربعة ويبيح الظلم في الثمانية؛ بل ترْكُ الظلم في الكلّ واجب.

(١) سورة التوبة ٢٦ (٢) سورة يوسف ٤٢، ٤٥
(٣) سورة التوبة ٣٦

قلت : لكن يجوز التنصيص على أفضليَّة الحُرم، فإن الظُّلْم قبيح مطلقا، وفيهن أقبح، فالظاهر الأول .

* * *

التاسع : قد يسدّ مسدّ الضمير أمور :

منها الإشارة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[1] .

ومنها الألف واللام ، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾[3] ، أي رسلك .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4] ، أصل الكلام «أجره وصبره»، ولما كان «المحسنون» جنسا ، و «من يتق ويصبر» واحد تحته، أغنى عمومه من عود الضمير إليه .

وقول الكوفيين : الألف واللام عوض من الضمير .

قال ابن مالك : وعليه يحمل قوله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾[5] وزعم الزمخشري[6] أن الأبواب بدل من المستكنّ في « مفتّحة » .

وهذا تكلّف، فوجب أن تكون «الأبواب» مرتفعة بمفتحة المذكور، أو بمثله مقدّراً. وقد صح أن مفتحة صالح للعمل في الأبواب ، فلا حاجة إلى إبدال أيضاً .

---

(١) سورة الإسراء ٣٦
(٢) سورة النازعات ٣٧ـ٤١
(٣) سورة إبراهيم ٤٤
(٤) سورة يوسف ٩٠
(٥) سورة ص ٥٠
(٦) الكشاف ٤ : ٧٧، وعبارته: « والأبواب بدل من الضمير ، تقديره: مفتحة هي الأبواب »

ومنها الاسم الظاهر ، بأن يكون المقام يقتضي الإضمار فيعدل عنه إلى الظاهر ، وقد سبق الكلام عليه فى أبواب التأكيد .

* * *

العاشر : الأصل فى الضمير عوده إلى أقرب مذكور ، ولنا أصل آخر ، وهو أنه إذا جاء مضاف ومضاف إليه ، وذكر بعدهما ضمير عاد إلى المضاف ؛ لأنه المحدَّث عنه دون المضاف إليه ، نحو لقيت غلام زيد فأكرمته ؛ فالضمير للغلام . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾(١) .

وعند التعارض راعى ابنُ حزم والماوردى الأصل الأول ، فقالا : إن الضمير فى قوله: ﴿ أَوْلَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾(٢) ، يعود على الخنزير دون لحمه ، لقربه . وقوّاه بعضُ المتأخرين ، لأن الضمير للمضاف دون المضاف إليه ليس بأصل مطّرد ، فقد يعود إلى المضاف إليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٣) .

وكذا الصفة ، فإنها كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾(٤) .

وللجمهور أن يقولوا : وكذا عوده للأقرب ليس بمطّرد ، فقد يخرج عن الأصل لدليل ، وإذا تعارض الأصلان تساقطا ، ونُظِر فى الترجيح من خارج . بل قد يقال : عوده إلى ما فيه العمل بهما أولى كما يقوله الماوردى : إن الضمير يعود إلى الخنزير ، لأن اللحم موجود فيه .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾(٥) ، فأخبر بـ«خاضعين» عن المضاف إليه ، ولو أخبر عن المضاف لقال : « خاضعة » .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾(٦) ، فقد عاد

---

(١) سورة إبراهيم ٣٤
(٢) سورة الأنعام ١٤٥
(٣) سورة النحل ١١٤
(٤) سورة يوسف ٤٣
(٥) النازعات ٤٦
(٦) سورة الأحقاف ٣٥

الضمير فى قول المحققين للمضاف إليه وهو موسى ، والظن بفرعون ، وكأنه لما رأى نفسه قد غلط فى الإقرار بالإلٰهيّة من قوله: ﴿ إِلَٰـه موسى ﴾ استدرك ذلك بقوله هذا .

***

الحادى عشر : إذا عطف بـ « أو » وجب إفراد الضمير ، نحو إن جاء زيد أو عمرو فأكرمْه ؛ لأن « أو » لأحد الشيئين ، فأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[1] فقيل : إنّ « أو » بمعنى الواو . وقيل : بل المعنى أن « يكن الخصمان » ، فعاد الضمير على المعنى .

وقيل : للتنويع لا للعطف ، وعكس هذا إذا عطف بالواو وجب تثنية الضمير . فأما قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾[2] ، فقد سبق الكلام عليه .

فائدة

قوله : ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾[3] ، أى « وضحى يومها » ؛ فدلّ بالجزء على الكلّ .

قال الشيخ عز الدين : وإنما أضاف الضُّحى إلى نهار العشية ؛ لأنّه لو أطلقها من غير إضافة لم يحسُن الترديد بـ « أو » لأن عشيةَ كلِّ نهار من الظهر إلى الغروب، وهو نصف النهار ، وضحاها مقدار ربعه مثلا ، وهو مقدار نصف العشية فلما أضافَه إلى نهارها ، عُلِم تقاربهما ، فحسُن الترديد . لإفادته الترديد بين اللَّبث الطويل والقصير ، ولو أطلقه لجاز أن يُتوَهّم عشية نهار قصير، وضحى يوم طويل ، فتساوَى ذلك الضحى بالعشية فلا يحسن الترديد بينهما .

---

(١) سورة النساء ١٣٥

(٢) سورة التوبة ٦٢

(٣) سورة النازعات ٤٦

فإن قيل : كيف يجمع بين قوله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾[١]، وهو الجزء اليسير من الزمان ، وبين الضحىٰ والعشية ؟ وكيف حَسُن الترديد ؟

فالجواب ، أن هذا الحساب يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يعتقده طويلا، ومنهم من يحسبه قصيراً ، قال تعالى : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً[٢] ﴾ ، ثم قال: ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴾[٣] .

وقد يكون بحسب شدة الأمر وخفته، و « لبثتم » يحتمل أن يكون فى الدنيا، ويحتمل أن يكون فى البرزخ ؛ والأول أظهر .

فائدة

وقد يتجوّز بحذف الضمير للعلم به ، كقوله : ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾[٤]، أى بعثه ، وهو كثير .

ومنه قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾[٥] إلى قوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ إذا جعلناه الخبر ، فالأصل « يتربصن أزواجهن » فوضع الضمير موضع الأزواج لتقدم ذكرهنّ ، فأغنى عن الضمير .

فائدة

المضمر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظا أو مرتبة، أو لفظا ومرتبة ، ولا يكون قبل الظاهر لفظا ومرتبة ، إلا فى أبواب ضمير الشأن والقصة، كما سبق، وباب نعم وبئس، كقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾[٦] و﴿سَاءَ مَثَلًا﴾[٧]، والضمير فى « رُبَّهُ رجلا » . وباب الإعمال، إذا أعملت

(١) سورة الأحقاف ٣٥
(٢) سورة طه ١٠٣
(٣) سورة طه ١٠٤
(٤) سورة الفرقان ٤١
(٥) سورة البقرة ٢٣٤
(٦) سورة البقرة ٢٧١
(٧) سورة الأعراف ١٧٧

الثانى والأول يطلب عمدة ، فمذهب سيبويه أنك تضمر فى الأول ، فتقول : ضربونى وضربت الزيدين .

فائدة

الضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس ، فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(١) ، فضمير « له » عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غير موجود، فتأويله أنه لما كان سابقا فى علم الله كونُه ، كان بمنزلة المشاهَد الموجود ، فصحّ عودُ الضمير إليه .

وقيل : بل يرجع للقضاء ؛ لدلالة «قضى» عليه ، واللام للتعليل بمعنى « من أجل »، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٢) أى من أجل حبّه .

قاعدة

فيما يتعلق بالسؤال والجواب

الأصل فى الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، إذا كان السؤال متوجّها ، وقد يُعْدَل فى الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيها على أنه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك ، ويُسَمّيه السكاكى الأسلوب الحكيم .

وقد يجىء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه فى السؤال وأغفله المتكلم .

وقد يجىء أنقص لضرورة الحال .

---

(١) سورة مريم ٣٥

(٢) سورة العاديات ٨

مثال ما عُدِل عنه قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(١) فعُدِل عن الجواب لمّا قالوا : ما بالُ الهلال يبدو رقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقُص حتى يعود كما بدأ ؟ فأجيبوا بما أجيبوا به ؛ لينبهوا على أنّ الأهمّ ما تركوا السؤال عنه .

وكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٢) سألوا عما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصْرَف ؛ تنزيلا لسؤالهم منزلة سؤال غيره ، لينبه على ما ذكرنا ، ولأنه قد تضمّن قوله : ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾(٢) بيان ما يُنفقونه وهو خير ، ثم زيدوا على الجواب بيان المَصْرَف .

ونظيره : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ ﴾(٣)، فيكون طابق وزاد . نعم روى عن ابن عباس أنه قال : جاء عمرو بن الجموح ـ وهو شيخ كبير له مال عظيم ـ فقال : ماذا أنفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزلتْ، فعلى هذا ليست الآية مما نحنُ فيه ، لأن السائل لم يتعلق بغير ما يطلُب ، بل أجيب ببعض ما سأل عنه .

وقال ابن القشيريّ : السؤال الأول كان سؤالا عن النفقة إلى من تُصرف ، ودلّ عليه الجواب ، والجواب يخرج على وفق السؤال ؛ وأمّا هذا السؤال الثانى فمن قَدْرِ الإنفاق ، ودلّ عليه الجواب أيضاً .

ومن ذلك أجوبة موسى عليه السلام لفرعون حيث قال فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾(٤) ، لأن « ما » سؤالٌ عن الماهية أو عن الجنس ، ولمّا كان هذا السؤال خطأ ؛ لأنّ المسئول عنه ليس تُرى ماهيته فتُبين ، ولا جنس له

---

(١) سورة البقرة ١٨٩

(٢) سورة البقرة ٢١٥

(٣) سورة طه ١٧

(٤) سورة الشعراء ٢٣ ، ٢٤

فيُذكر ، عَدَل الكليم عن مقصود السائل إلى الجواب بما يعرف الصواب عند كيفية الخطاب ؛ ولا يستحق الجريان معه ، فأجابه بالوصف المنبّه ، عن الظنّ المؤدّى لمعرفته ، لكنه لما لم يطابق السؤال عنه فرعون لجهله ، واعتقد الجواب خطأ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[1] ، فأجابه الكليم بجواب يعمّ الجميع ، ويتضمن الإبطال لعين مايعتقدونه من ربوبية فرعون لهم بقوله : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[1]، فأجاب بالأغلظ وهو ذكر الربوبية لكلّ ما هو من حالهم نصًّا . ولما لم يرهم موسى عليه السلام تفطنوا غلّظ عليهم فى الثالثة ، بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] فكأنّه شك فى حصول عقلهم .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾[2] ولم يقل : « عن قتال فى الشهر الحرام » ، لأنهم لم يسألوا إلّا من أجْلِ القتال فيه ، فكان ذكرُه أولى !

قيل : لم يقع السؤال إلا بعد القتال ؛ فكان الاهتمام بالسّؤال عن هذا الشهر : هل أبيح فيه القتال ؟ وأعاده بلفظ الظاهر ، ولم يقل : « هو كبير » لِيُعْلَمَ حكم قتال وقع فى الشهر الحرام .

وقد يُعْدَل عن الجواب إذا كان السائلُ قصده التعنّت ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[3] فذكر صاحب الإيضاح[4] فى خلق الإنسان: إنّ اليهود إنما سألوا تعجيزا وتغليطا ، إذا كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان وجبريل وملك آخر ، يقال له الروح ، وصِنْف من الملائكة والقرآن وعيسى ، فقصد اليهود أن يسألوه ، فبأىّ يسمىً أجابهم قالوا ليس هو ، فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الإجمال كَيْداً يرسل به كيدهم .

(١) سورة الشعراء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ .
(٢) سورة البقرة ٢١٧
(٣) سورة الإسراء ٨٥
(٤) م « الإفصاح » .

وقيل : إنما سألوا عن الروح : هل هى محدَثة مخلوقة أم ليست كذلك ؟ فأجابهم ، بأنها من أمر الله ؛ وهو جواب صحيح ، لأنّه لا فرق بين أن يقول فى الجواب ذلك ، أو يقول : « من أمر ربى » ، لأنّه إنما أراد أنها من فعله وخلقه .

وقيل : إنهم سألوه عن الروح الذى هو فى القرآن ، فقد سمى الله القرآن روحا فى مواضع من الكتاب ، وحينئذ فوقع الجواب موقعه ؛ لأنه قال لهم الروح:الذى هو القرآن من أمر ربى ، ومما أنزله الله على نبيه ، يجعله دلالة وعَلَماً على صدقه ، وليس [من][1] فعل المخلوقين ، ولا مما يدخل فى إمكانهم.

وحكاه الشريف المرتضى فى « الغرر »[2] عن الحسن البصرى ، قال: ويقويه قوله بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾[3] ، فكأنه قال تعالى : إن القرآن من أمر ربى[4] ولو شاء لرفعه .

ومثال الزيادة فى الجواب ، قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾[5] فإنه عليه السلام ، فَهِم أن السؤالَ يَعقبه أمر عظيم يُحدِثه الله فى العصا ، فينبغى أن ينبّه لصفاتها ، حتى يظهر له التفاوت بين الحالين .

وكذا قوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ : قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾[6] وَحَسَّنه إظهارُ الابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ، ليزداد غيظ السائل .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾[7] بعد قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا . . . ﴾[8] الآية ، ولولا قصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدم ، لقال « ينجيكم الله » .

---

(١) تكملة من أمالى المرتضى (٢) أمالى المرتضى ١ : ١٢
(٣) سورة الإسراء ٨٦
(٤) فى أمالى المرتضى عن بعض النسخ : « مِن أمر ربى وفعلى » .
(٥) سورة طه ١٧ ، ١٨ (٦) سورة الشعراء ٧٠ ، ٧١
(٧) سورة الأنعام ٦٤ (٨) سورة الأنعام ٦٣

ومثال النقصان منه قوله تعالى ذاكرا عن مشركي مكة: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ (١) ، أى ائت بقرآن ليس فيه سبّ آلهتنا ، أو بدّله بأن تجعل مكان آية عذاب آيةَ رحمة ، وليس فيه ذكر آلهتنا ، فأمره الله أن يجيبهم على التبديل ، وطوى الجواب عن الاختراع ، قال الزمخشريّ : لأن التبديلَ فى إمكان البشر ، بخلاف الاختراع ، فإنه ليس فى المقدور ، فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال.

وذكر غيرُه أنّ التبديل قريب من الا[ختر]اع ، فلهذا اقتصر على جواب واحد لهما .

وخَطَر لى أنّه لما كان التبديل أسهلَ من الاختراع ، وقد نفى إمكان التبديل ، كان الاختراع غيرَ مقدور عليه من طريق أوْلَى .

فائدة

قيل : أصل الجواب أن يُعاد فيه نفس سؤال السائل ، ليكون وفق السائل ، قال الله تعالى : ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾(٢) ، و « أنا » فى جوابه عليه السلام هو « أنت » فى سؤالهم .

قال : ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾(٣) ، فهذا أصله ، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحذوف الجواب اختصارا ، وتركا للتكرار .

وقد يُحذف السؤال ثقةً بفهم السامع بتقديره ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ

---

(١) سورة يونس ١٥ (٢) سورة يوسف ٩٠

(٣) سورة آل عمران ٨١

شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] ، فإنه لايستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد ، فتعين أن يكون ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾[1] جواب سؤال ، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ﴿ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] ، فأجابهم الله عز وجلّ : ﴿ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] ، فترك ذكر السؤال .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾[1] .

قاعدة

الأصل : فى الجواب أن يكون مشاكلا للسؤال ، فإن كان جملة اسمية فينبغى أن يكون الجواب كذلك ، ويجىء ذلك فى الجواب المقدّر أيضاً ؛ إلا أن ابن مالك قال فى قولك : « من قرأ ؟ » فتقول : زيد ، فإنه من باب حذف الفعل ، على جعل الجواب جملة فعلية . قال : وإنما قدرته كذلك ، لا مبتدأ ، مع احتماله ، جريا على عادتهم فى الأجوبة إذا قصدوا تمامها ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾[3] .

ومثله : ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[4] ، ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾[5] ، فلما أتى بالجملة الفعلية ، مع فوات مشاكلة السؤال ، عُلِمَ أنّ تقدير الفعل أوّلا أولى . انتهى .

ومما رُجّح به أيضاً تقدير الفعل أنّه حيث صرّح بالجزء الأخير ، صُرِّح بالفعل ،

---

(١) سورة يونس ٣٤
(٢) سورة يونس ٣٥
(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩
(٤) سورة الزخرف ٩
(٥) سورة المائدة ٤

والتشاكل ليس واجباً؛ بل اللائق كون زيد فاعلا، أى قرأ زيد أو خبراً، أى القارئ زيد، لامبتدأ ، لأنه مجهول .

بقى أن يقال فى الأولى : التصريح بالفعل أو حذفه ؟ وهل يختلف المعنى فى ذلك ؟

والجواب : قال ابن يعيش التصريح بالفعل أجود .

وليس كما زعم بل الأكثر الحذف ، وأما قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ﴾(١) ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِى أَنشَأَهَا ﴾ ، فكان الشيخ شهاب الدين بن المرحل رحمه الله يجعله من باب ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٢) ، من أنهم أجيبوا بغير ما سألوا لنكتة .

وفيه نظر . وأما المعنى فلا شك أنه يختلف ، فإنه إذا قيل : من جاء ؟ فقلت : جاء زيد ، احتمل أن يكون جواباً وأن يكون كلاماً مبتدأ . ولو قلت : « زيد » ، كان نصا فى أنه جواب ، وفى العموم الذى دلت عليه « من » ، وكأنك قلت : الذى جاء زيد ، فيفيد الحصر . وهاتان الفائدتان ، إنما حصلتا من الحذف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٣) ؛ إذ التقدير : الملك لله الواحد ، فحذف المبتدأ من الجواب ، إذ المعنى : لا ملك إلا لله .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾(٤) ، ﴿ لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٥) ، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٦) .

ومن الإثبات قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٧) .

---

(١) سورة المائدة ٤
(٢) سورة البقرة ١٨٩
(٣) سورة غافر ١٦
(٤) سورة المؤمنين ٨٤
(٥) سورة الأنعام ١٢
(٦) سورة سبأ ٣٤
(٧) سورة يس ٧٩

ولعله للتنصيص على الإحياء الذى أنكروه : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱلسَّبْعِ ﴾(١)، وقوله : ﴿ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢) ، لأن ظاهر أمرهم أنهم كانوا معطِّلة ودَهرية ، فأريد التنصيص على اعترافهم بأنها مخلوقة .

وقوله : ﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٣) ، لأنها استغربت حصول النبأ الذى أسرّته .

* * *

وقال ابن الزَّمْلَكانيّ فى « البرهان » : أطلق النحويون القول بأن « زيدا » فاعل، إذا قلت : « زيد » فى جواب « مَنْ قام ؟ » على تقدير قام زيد ، والذى يُوجبه جماعة علم البيان ، أنه مبتدأ لوجهين :

أولها : أنه مطابق للجملة التى هى جواب الجملة المسئول بها فى الاسمية، كما وقع التطابق، فى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾(٤) فى الجملة الفعلية ، وإنما لم يقع التطابق فى قوله تعالى : ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٥) ، لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرّين بالإنزال ، وهم من الإذعان به على تفاوت .

الثانى : أن اللّبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل ، فوجَب أن يقدّم الفاعل فى المعنى، لأنّه متعلق بغرض السائل، وأما الفعلُ فمعلوم عنده، ولا حاجةَ إلى السؤال عنه، فحرىٌّ أن يقع فى الأخرى التى هى محل التكملات والفضلات .

وكذلك : أزيد قام أم عمرو ؟ فالوجه فى جوابه أن تقول : زيد قام ، أو عمرو قام . وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام فى جواب :

(١) سورة المؤمنون ٨٦
(٢) سورة الزخرف ٩
(٣) سورة التحريم ٣
(٤) سورة النحل ٣٠
(٥) سورة النحل ٢٤

﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[1] ؛ فإنّ السؤال وقع عن الفاعل؛ لا عن الفعل ، ومع ذلك صَدّر الجواب بالفعل ، مع أنهم لم يستفهموا عن كسر الأصنام ، بل كان عن الشخص الكاسر لها .

والجواب أنّ ما بعد « بل » ليس بجواب للهمزة ، فإن « بل » لا يصلح أن يصدّر بها الكلام، ولأنّ جواب الهمزة بنعم أو بلى . فالوجه أن يُجعل إخبارا مستأنفا ، والجواب المحقق مقدّر ، دل عليه سياق الكلام ، ولو صرح به لقال : «مافعلته بل فعله كبيرهم»، وإنما اخترنا تقدير الجملة الفعلية على الجملة المعطوفة عليها فى ذلك .

فإن قلت : يلزم على ما ذكرت أن يكون الخلف واقعا فى الجملتين : المعطوف عليها . المقدرة ، والمعطوفة الملفوظ بها بعد « بل » .

قلت: وإنه لازم، على أن يكون التقدير : ما أنا فعلته بل فعله كبيرهم هذا ، مع زيادته بالخلف عما أفادته الجملة الأولى من التعريض ، إذ منطوقها نفى الفعل عن إبراهيم عليه السلام ، ومفهومها إثبات حصول التكسير من غيره .

فإن قلت : ولابد من ذكر ما يكون مُخلَصا عن الخلف على كلّ حال .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أن فى التعريض مَخْلَصا عن الكذب ، ولم يكن قصده عليه السلام أن ينسب الفعل الصادر منه إلى الصنم حقيقة ، بل قصده إثبات الفعل لنفسه على طريق التعريض ، ليحصل غرضُه من التبكيت ، وهو فى ذلك مثبِت معترف لنفسه بالفعل ؛ وليس هذا من الكذب فى شىء .

والثانى : إنه غضب من تلك الأصنام ، غَيْرة لله تعالى ؛ ولما كانوا لأكبرِها أشدّ تعظيما ، كان منه أشدّ غضبا ، فحمله ذلك على تكسيرها، وذلك كلّه حامِلٌ للقوم على الأنفة

(١) سورة الأنبياء ٦٢

أن يعبدوه ، فضلا عن أن يخصّوه بزيادة التعظيم ، ومُنبِّهٌ لهم على أن المتكسرة متمكن فيها الضَّعْف والعجز ، منادًى عليها بالفَناء ، منسلخة عن رِبقة الدفع ، فضلا عن إيصال الضرر والنفع . وما هذا سبيلُه حقيق أن ينظر إليه بعين التحقير لا التوقير ، والفعل يُنْسَب إلى الحامل عليه ، كما ينسب إلى الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب؛ إذْ للفعل بهذه الأمور تعلُّقات وملابسات ، يصحّ الإسناد إليها على وجه الاستعارة .

الثالث : أنّه لما رأى عليه السلام منهم بادرةَ تعظيم الأكبر ، لكونه أكملَ من باقي الأصنام ، وعلم أن ما هذا شأنه ، يُصان أن يشترك معه مَنْ دونه فى التبجيل والتكبير ، حمله ذلك على تكسيرها ، منبِّهًا لهم على أن الله أغير ، وعلى تحقيق الأكبر أقدر . وحَرِيٌّ أن يخصّ بالعبادة ؛ فلمّا كان الكبير هو الحامل على تكسير الصغير ، صَحَّتِ النسبة إليه ، على ما سلَف . ولمّا تبين لهم الحق رَجَعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ، إذ وضعتم العبادة بغير موضعها .

وذكر الشيخ عبد القاهر أن السؤال إذا كان ملفوظا به ، فالأكثرُ تركُ الفعل فى الجواب والاقتصار على الاسم وحدَه . وإن كان مضمرا ، فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه ، فتعين أن يلفَظ به .

وهو مشكل بقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ ﴾(١) . فيمن قرأها بفتح الباء ، كأنّه قيل : مَنْ يسبحه ؟ فقيل : يسبّحه رجال ، ونظيره ضُرِب زيد وعمرو ، على بناء « ضرِب » للمفعول ، نعم الأولى ذكر الفعل لما ذكر ، وعليه يخرّج كلّ ما ورد فى القرآن من لفظ « قال » مفصولا ، غير منطوق به ، نحو : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا . قَالَ

(١) سورة النور ٣٦ ، ٣٧

سَلَامٌ . . . ﴾[1] ، كأنه قيل : فما قال لهم ؟ ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] ولذلك قالوا : « لا تخف » .

وعلى هذه السياقة تخرج قصة موسى عليه السلام فى قوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3] إلى قوله : ﴿ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[3] .

وعلى هذا كلّ كلام جاء فيه لفظة « قال » هذا المجىء ، غير أنه يكون فى بعض المواضع أوضح ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ ﴾[4] ، فإنه لا يخفى أنه جواب لقوله : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[5] .

ومثله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾[6] إلى قوله: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾[6] .

فائدة

[فى أن أقل الأمم سؤالا أمة محمد عليه السلام]

نُقِل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما كان قوم أقلّ سؤالا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، سألوه عن أربعة عشر حرفا ، فأجيبوا .

قال الإمام : ثمانية منها فى البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[7] . ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ

---

(١) سورة الذاريات ٢٤ ، ٢٥
(٢) سورة الذاريات ٢٧
(٣) سورة الشعراء ٢٣ ـ ٣١
(٤) سورة الذاريات ٣٢
(٥) سورة الذاريات ٣١
(٦) سورة يس ١٣ ـ ٢١
(٧) سورة البقرة ١٨٦

ٱلْأَهِلَّةِ ﴾(١) ، والباقى ستة(٢) فيها ، والتاسعة: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾(٣) فى المائدة.

والعاشرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِ ﴾(٤) .

الحادى عشر فى بنى إسرائيل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾(٥) .

الثانى عشر فى الكهف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾(٦) .

الثالث عشر فى طه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾(٧) .

الرابع عشر فى النازعات : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾(٨) .

ولهذه المسألة ترتيب: اثنان منها فى شرح المبدأ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾(٩) فإنه سؤال عن الذات ، وقوله : ﴿ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾(١) ، سؤال عن الصفة .

واثنان فى الآخر فى شرح المعاد ، وقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾(٧)، وقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾(١٠) .

ونظير هذا أنه ورد فى القرآن سورتان، أولهما : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾(١١)، فى النصف

---

(١) سورة البقرة ١٨٩

(٢) هى آية ٢١٥ : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ ...﴾.

وآية ٢١٧ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عن الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ... ﴾ .

وآية ٢١٩ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ... ﴾، وفيها أيضا : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ .. ﴾ .

وآية ٢٢٠ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عن اليتامى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ .

وآية ٢٢٢ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى .. ﴾ .

(٣) سورة المائدة ٤

(٤) سورة الأنفال ١

(٥) سورة الإسراء ٨٥

(٦) سورة الكهف ٨٣

(٧) سورة طه ١٠٥

(٨) سورة النازعات ٤٢

(٩) سورة البقرة ١٨٦

(١٠) سورة الأعراف ١٨٧

(١١) سورة الحج ١

الأول ، وهو السورة الرابعة ، وهى سورة النساء . والثانية فى النصف الثانى، وهى سورة الحج ، ثم ﴿ يَـٰأيها الناس ﴾ الّذى فى الأول ، يشتمل على شرح المبدأ ، والذى فى الثانى يشتمل على شرح حال .

فإن قيل: كيف جاء ﴿يسألونك﴾ ثلاث مرات بغير واو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[١] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[٢]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[٣] ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[٣]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ﴾[٤]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[٥] ؟

قلنا : لأنّ سؤالهم عن الحوادث ؛ الأول وقع متفرقا عن الحوادث ، والآخر وقع فى وقت واحد ، فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيل : كيف جاء : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[٦]، وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن بـ «قُلْ» نحو: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[٧] ونظائره ؟

قيل : حذفت للإشارة إلى أن العبْد فى حالة الدعاء مُسْتَغْنٍ عن الواسطة، وهو دليل على أنّه أشرف المقامات ، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعى واسطة، وفى غير حالة الدعاء تجىء الواسطة .

---

(١) سورة البقرة ١٨٩
(٢) سورة البقرة ٢١٧
(٣) سورة البقرة ٢١٩
(٤) سورة البقرة ٢٢٠
(٥) سورة البقرة ٢٢٢
(٦) سورة البقرة ١٨٦
(٧) سورة البقرة ١٨٩

الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في نفس الأمر

كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١) ، وقعت إضافة الشريك إلى الله سبحانه على ما كانوا يقولون ؛ لأن القديم سبحانه أثبته .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾(٤) ، أى بزعمك واعتقادك .

وقوله : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾(٦) .

وقوله : ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾(٨) ، أى أنكم لو علمتم قساوة قلوبكم ، لقلتم إنها كالحجارة ، أو أنها فوقها فى القسوة ، ولو علمتم سرعة الساعة لعلمتم أنه فى سرعة الوقوع كلمح البصر أو هو أقرب عندكم .

وأرسلناه إلى قوم هم من الكثرة بحيث لو رأيتموهم لشككتم ، وقلتم : مائة ألف أو يزيدون عليها .

---

(١) سورة الأنعام ٢٢
(٢) سورة البقرة ١٦٥
(٣) سورة الدخان ٤٩
(٤) سورة هود ٨٧
(٥) سورة الحجر ٦
(٦) سورة الصافات ١٤٧
(٧) سورة البقرة ٧٤
(٨) سورة النحل ٧٧

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾[1] ، ونحوه ، مما كان عند المتكلم ، لأنه لا يكون خلافه ، فإنه كان على طمع ألّا يكون منهم تكذيب .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[2] ، أى بالنسبة إلى ما يعتاده المخلوقون فى أن الإعادة عندهم أهون من البداءة ، لأنّه أهون بالنسبة إليه سبحانه ، فيكونُ البعثُ أهونَ عليه عندكم من الإنشاء .

وحكى الإمام الرازى فى مناقب الشافعىّ[3] قال : معنى الآية « فى العبرة عندكم » ؛ لأنه لما قال للعدم : « كن » تخرج تاما كاملا بعينيه وأذنيه وسمعه وبصره ومفاصله ، فهذا فى العبرة أشدُّ من أن يقول لشىء قد كان : « عد إلى ما كنت عليه » ، فالمراد من الآية : وهو أهْوَنُ عليه بحسب عِبْرتكم ؛ لا أنّ شيئاً يكون على الله أهوَن من شىء آخر .

وقيل : الضمير فى ﴿ عليه ﴾ يعود للخلق ، لأنه يُصاح بهم صيحة فيقومون ، وهو أهون من أن يكونوا نُطَفا ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ، إلى أن يصيروا رجالا ونساء .

وقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلسَّاحِرُ ﴾[4] ، أى يأيها العالم الكامل ؛ وإنما قالوا هذه تعظيما وتوقيرا منهم له ؛ لأن السحر عندهم كان عظيما وصنعة ممدوحَة .

وقيل : معناه يأيها الذى غَلَبنا بسحره ، كقول العرب : خاصمته فخصمتُه ، أى غلبته بالخصومة ، ويحتمل أنهم أرادوا تعييب موسى عليه السلام بالسحر ، ولم ينافسهم فى مخاطبتهم به ، رجاء أن يؤمنوا .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾[5] ، جىء بـ « إن » التى للشك وهو واجب ، دون « إذْ » التى للوجوب ، سَوْقا للكلام على حسب حسبانهم أنّ

---

(١) سورة الشعراء ١١٧ — (٢) سورة الروم ٢٧

(٣) كتاب مناقب الشافعى للإمام الرازى ، ذكره صاحب كشف الظنون ١٨٤٠

(٤) سورة الزخرف ٤٩ — (٥) سورة البقرة ٢٤

معارضته فيها للتهكُّم ، كما يقوله الواثق بغلبته على مَنْ يعاديه . « إن غلبتك » ، وهو يعلم أنه غالبُه تهكّما به .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[1] ، والمراد بـ « من لا يخلق » الأصنام ، وكان أصله كما لا يخلق ، لأن « ما » لمن لا يعقل بخلاف « من » ، لكن خاطبهم على معتقدهم ؛ لأنهم سمّوْها آلهة ، وعبدوها فأجروْها مجرى أولي العلم ، كقوله للأصنام : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ . . . ﴾ الآية[2] ، أجرى عليهم ضمير أولى العقل . كذا قيل .

ويردّ عليه أنه إذا كان معتقدهم خطأ وضلالة ، فالحكم يقتضى ألّا ينزعوا عنه ويُقلعوا ، لا أن يبقوا عليه ؛ إلا أن يقال : الغرض من الخطاب الإيهام ، ولو خاطبهم على خلاف معتقدهم فقال : « كما لا يخلق » ، لاعتقدوا أن المراد به غير الأصنام من الجماد .

وكذا ما وَرَدَ من الخطاب بعسى ولعلّ؛ فإنها على بابها فى الترجّى والتوقع، ولكنه راجعٌ إلى المخاطبين ، قال الخليل وسيبويه فى قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[3] : اذهبا إلى رجائكما وطمعكما ، لعلّه يتذكر عندكما ، فأما الله تعالى فهو عالم بعاقبة أمره ، وما يؤول إليه ؛ لأنّه يعلم الشىء قبل أن يكون. وهذا أحسنُ مِنْ قول الفرّاء : إنها تعليلية ، أى يتذكر ، لما فيه من إخراج اللفظ عن موضوعه .

ومنه التعجب الواقع فى كلام الله ، نحو: ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾[4]، أى هم أهل أن يتعجّب منهم ، ومن طول تمكنهم فى النار .

---

(١) سورة النحل ١٧
(٢) سورة الأعراف ١٩٥
(٣) سورة طه ٤٤
(٤) سورة البقرة ١٧٥

ونحوه : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[1] و ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾[2] .

ومنه قوله تعالى فى نعيم أهل الجنة وشقاء أهل النار : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[3] ، مع أنهما لا يزولان ، لكن التقييد بالسماء والأرض ، جرت عادة العرب إذا قصدوا الدوام أن يُعلّقوا بهما فجاء الخطاب على ذلك .

تنبيه
[فى التهكّم]

يقرُب من هذا التهكّم، وهو إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال، كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[4] .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[5] ، مع العلم بأنه لا يحفظ من أمره الله[6] شىء .

---

(١) سورة عبس ١٧
(٢) سورة الكهف ٢٧
(٣) سورة هود ٧
(٤) سورة الدخان ٤٩
(٥) سورة الرعد ١١
(٦) م : « من أمره » :

التأدب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله

وأن الكل بيده، كقوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[1]، ثم قال: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[1]، ولم يقل: غير الذين غضبتَ عليهم.

وقوله: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾[2]، ولم يقل: «والشر»، وإن كانا جميعا بيده؛ لكن الخير يضاف إلى الله تعالى إرادة محبة ورضا، والشر لا يضاف إليه إلا إلى مفعولاته؛ لأنه لا يضاف إلى صفاته ولا أفعاله، بل كلها كمال لا نقص فيه. وهذا معنى قوله: «والشرّ ليس إليك»؛ وهو أولى من تفسير مَنْ فسره: لا يُتقرّب به إليك.

وتأمل قوله: ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾[3] فأضافه إلى نفسه، حيث صرفه، ولما ذكر السجن أضافه إليهم فقال: ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[3] وإن كان سبحانه هو الذى سبّب السجن له، وأضاف ما منه الرحمة إليه، وما منه الشدة إليهم.

ومنه قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[4] ولم يقل: «أمرضنى».

وتأمل جواب الخضر عليه السلام عمّا فعله، حيث قال فى إعابة السفينة: ﴿ فَأَرَدتُّ ﴾[5] وقال فى الغلام: ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾[6] وفى إقامة الجدار: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾[7].

---

(١) سورة الفاتحة ٧ (٢) سورة آل عمران ٢٦

(٣) سورة يوسف ٣٤، ٣٥ (٤) سورة الشعراء ٨٠

(٥) سورة الكهف ٧٩؛ وهو قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾.

(٦) سورة الكهف ٨٠، ٨١، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ ﴾.

(٧) سورة الكهف ٨٢، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾.

قال الشيخ صفيّ الدين بن أبي المنصور في كتاب « فك الأزرار عن عنق الأسرار » : لما أراد ذكر العيب للسفينة نسبه لنفسه أدبا مع الربوبية ، فقال : « فأردتُ » ، ولما كان قتلُ الغلام مشترَك الحكم بين المحمود والمذموم ، استتبع نفسه مع الحق ، فقال في الإخبار بنون الاستتباع ، ليكونَ المحمودُ من الفعل ـ وهو راحة أبويه المؤمنين من كفره ـ عائدا على الحق سبحانه ، والمذموم ظاهرا ـ وهو قتلُ الغلام بغير حق ـ عائدا عليه . وفي إقامة الجدار كان خيراً محضا ، فنسبه للحق فقال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ ، ثم بيّن أن الجميع من حيث العلم التوحيديّ من الحق ، بقوله : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾[(١)].

وقال ابن عطية : إنما أفرد أولا في الإرادة لأنها لفظ غيب ، وتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلّا إلى نفسه ، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[(٢)] ، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله ، وأسند المرضَ إلى نفسه ، إذ هو معنى نقص ومعابة ، وليس من جنس النعم المتقدمة .

وهذا النوع مطّرد في فصاحة القرآن كثيراً ، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[(٣)] ! وتقديم فعل الله في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾[(٤)] : وإنما قال الخضر في الثانية : ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ ، لأنه قد أراده الله وأصحابه الصالحون ، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين ، وتمنّى التبديل لهما ؛ وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى لأنها أمر مستأنف في الزمن الطويل ، غيب من الغيوب ، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى .

ومثله قول مؤمني الجن : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة الكهف ٨٢ (٢) سورة الشعراء ٨٠
(٣) سورة الصف ٥ (٤) سورة التوبة ١١٨

أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾[1]، فحذف الفاعل فى إرادة الشر تأدبا مع الله،وأضافوا إرادة الرشد إليه .

وقريب من هذا قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام ، فى خطابه لمّا اجتمع أبوه وإخوته : ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾[2] ، ولم يقل : « من الجبّ » مع أن الخروج منه أعظم من الخروج من السجن .

وإنما آثر ذكر السجن لوجهين ذكرهما ابن عطية :

أحدهما : أنّ فى ذكر الجبّ تجديد فعل إخوته، وتقريعهم بذلك،وتجديد تلك الغوائل.
والثانى : أنه خرج من الجبّ إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ،والنعمة هنا أوضح انتهى.

وأيضا ولأن بين الحالين بوْناً من ثلاثة أوجه : قِصَر المدة فى الجب وطولها فى السجن، وأنّ الجبّ كانَ فى حال صغره ، ولا يعقل فيها المصيبة ، ولا تؤثر فى النفس كتأثيرها فى حالِ الكِبَر. والثالث أن أمرَ الجبّ كان بغيا وظلما لأجل الحسَد وأمرَ السجن كان لعقوبة أمرٍ دينىّ هو منزّه عنه ، وكان أمكن فى نفسه . والله أعلم بمراده .

ومثله قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَاوَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾[4] ، فحذف الفاعل عند ذكر الرفث وهو الجماع ، وصرح به عند إحلال العقد .

وقال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[5]، فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور .

---

(١) سورة الجن ١٠
(٢) سورة يوسف ١٠٠
(٣) سورة البقرة ١٨٧
(٤) سورة النساء ٢٤
(٥) سورة المائدة ٣

وقال : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١) .

وقال : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(٢) ونظائر ذلك كثيرة فى القرآن .

وقال السهيلىّ فى كتاب الإعلام فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾(٣) وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾(٤) ، والمكان المشار إليه واحد ، قال . ووجهُ الفرق بين الخطابين أن الأيمن إمّا مشتق من اليُمن ، وهو البركة ، أو مشارك له فى المادة ، فلما حكاه عن موسى فى سياق الإثبات أتى بلفظه ، ولما خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فى سياق النفى عدَل إلى لفظ « الغربىّ » لئلا يخاطبه ، فيسلب عنه فيه لفظا مشتقًّا من اليُمْن أو مشاركا فى المادة ، رفقا بهم فى الخطاب ، وإكراما لهما . هذا حاصل ما ذكره بمعناه موضح(٥) .

وهو أصل عظيم فى الأدب فى الخطاب .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور فى قوله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ...﴾(٦) الآية أضافه هنا إلى « النون » وهو الحوت ، وقال فى سورة القلم : ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾(٧) ، وسماه هنا « ذا النون » ، والمعنى واحد ، ولكنْ بين اللفظين تفاوت كبير فى حسن الإشارة إلى الحالين ، وتنزيل الكلام فى الموضعين ، فإنه حين ذكره فى موضع الثناء عليه ، قال ﴿ذا النون﴾ ، ولم يقل « صاحب الحوت » ولفظ النون أشرف لوجود هذا الاسم فى حروف الهجاء ، فى أوائل السور ، نحو ﴿ن والقلم﴾ [وقد قيل : إنّ هذا قسم بالنون والقلم ، وإن لم يكن قسما ، فقد عظمه بعطف المقسم به عليه ، وهو القلم ، وهذا

(١) سورة الأنعام ١٥١
(٢) سورة البقرة ٢٧٥
(٣) سورة مريم ٥٢ .
(٤) سورة القصص ٤٤
(٥) التعريف والإعلام ٩٨ ، ٩٩
(٦) سورة الأنبياء ٨٧
(٧) سورة ن ٤٨

الاشتراك يشرّف هذا الاسم وليس فى الاسم[1]] وليس فى اللفظ الآخر [وهو الحوت][1] ما يشرفه .

فالتفتْ إلى تنزيل الكلام فى الآيتين يَلُحْ لك ما أشرت إليه فى هذا ، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض[2] .

وقال الشيخ أبو محمد المرجانى فى قوله تعالى : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[3] ، خاطبه بمقدمة الصدق مواجهة ، ولم يقدّم الكذب ، لأنّه متى أمكن حَمْلُ الخبر على الصدق لا يُعْدَل عنه ، ومتى كان يحتمل ويحتمل ، قُدّم الصدق ؛ ثم لم يواجهه بالكذب ، بل أدمجه فى جملة الكذابين ، أدبا فى الخطاب .

ومثله : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[4] .

وكذا قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ .

وهذان المثالان من باب إرخاء العنان للخصم ، ليدخل فى المقصود بألطف موءود .

قاعدة

[فى ذكر الرحمة والعذاب فى القرآن]

من أساليب القرآن : حيثُ ذكر الرحمة والعذاب ، أن يبدأ بذكر الرحمة ، كقوله

---

(١) تكملة من كتاب التنبيه والإعلام
(٢) التنبيه والإعلام ٨٣
(٣) سورة النمل ٢٧
(٤) سورة يوسف ٢٦ ، ٢٧

تعالى : ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾(١) ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢) وعلى هذا جاء قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلم حكايةً عن الله تعالى: « إنّ رحمتي سبقتْ غضبي » .

وقد خرج عن هـذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديمَ ذكر العذاب ترهيبا وزجراً :

منها : قوله في سورة المائدة: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) ، لأنها وردت في ذكر قُطّاع الطّريق والمحاربين والسّراق(٤) ، فكان المناسبُ تقديم ذكر العذاب ؛ ولهذا ختم آية السرقة بـ « عزيز حكيم » ، وفيه الحكاية المشهورة(٥) ، وختمها بالقدرة مبالغةً في الترهيب، لأن مَنْ توعّده قادرٌ على إنفاذ الوعيد، كما قاله الفقهاء في الإكراه على الكلام ونحوه.

ومنها قوله في سورة العنكبوت : ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾(٦) ، لأنّها في سياق حكاية إنذار إبراهيم لقومه .

ومثلها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

(١) سورة المائدة ١٨ — (٢) سورة فصلت ٤٣
(٣) سورة المائدة ٤٠

(٤) وهو ماورد في الآية ٣٣ قبلها :﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ .. ﴾ والآية ٣٨: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

(٥) هي ما نقله أبوحيان في البحر ٣ : ٤٨٤ : « روى أن بعض الأعراب سمع قارئا يقرأ ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ .. ﴾ إلى آخرها ، وختمها بقوله : « وَاللَّهُ غفورٌ رحيمٌ » فقال : ما هذا كلام فصيح ؛ فقيل له : ليست التلاوة كذلك ؛ وإنما هي: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال: بخ بخ !! عز فحكم فقطع.

(٦) سورة العنكبوت ٢١

﴿قُلْ سِيرُوا﴾[1] إلى قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] ، وبعدها : ﴿بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2] .

ومنها فى آخر الأنعام قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] ، لأنّ سورة الأنعام كلّها مناظرة للكفار ووعيد لهم ، خصوصاً وفى آخرها قبل هذه الآيات بيسير : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ . . .﴾[4] الآية ، وهو تهديد ووعيد إلى قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ...﴾[5] الآية، وهو تقريع للكفار وإفساد لدينهم إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[3] ، فكان المناسب تقديمَ ذكر العقاب ترهيباً للكفار ، وزجراً لهم عن الكفر والتفرق، وزجراً للخلائق عن الجوْر فى الأحكام .

ونحو ذلك فى أواخر الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]؛ لأنّها فى سياق ذكر معصية أصحاب السّبت وتعذيبه إياهم ، فتقديم العذاب مناسب .

والفرقُ بين هـذه الآية وآية الأنعام ، حيث أتى هنا باللام ، فقال : ﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ دُون هناك ، أنّ اللام تفيد التوكيد ، فأفادت هنا تأكيد سرعة العقاب ؛ لأنّ العقاب المذكور هنا عقاب عاجل ، وهو عقاب بنى إسرائيل بالذّل والنِّقمة وأداء الجزية بعد المسخ ، لأنّه فى سياق قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾[6] ، فتأكيدُ السرعة أفاد بيانَ التعجيل، وهو مناسب، بخلاف العقاب المذكور فى سورة الأنعام ، فإنّه آجل ، بدليل قوله : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ

---

(١) سورة العنكبوت ١٩ ــ ٢٠ (٢) سورة العنكبوت ٢٢

(٣) الأنعام ١٦٥ (٤) سورة الأنعام ١٥٩

(٥) سورة الأنعام ١٦٤ (٦) سورة الأعراف ١٦٧

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] ، فاكتفى فيه بتأكيد « إن » . ولمّا اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلًا اختصّت بزيادة التأكيد لفظا بـ « إنّ » ، وجميع مافى القرآن على هذا اللفظ يناسبه التقديم والتأخير ، وعليه دليلان : أحدهما : تفصيليّ ، وهو الاستقراء ، فانظر أيّ آية شئت تجد فيها مناسبا لذلك ، والثانى : إجمالىّ وهو أن القرآنَ كلامُ أحكم الحكماء ، فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة؛ فوجب اعتباره كذلك . وهذان دليلان عامّان فى مضمون هذه الفائدة وغيرها .

وأما قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[2] ، ولم يقل : « ذو عقوبة شديدة » ، لأنّه إنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله فى الاجتراء على معصيته ؛ وذلك أبلغ فى التهديد ، معناه : لاتغترّوا بسعة رحمة الله ، فإنه مع ذلك لايُرَدُّ عذابه .

ومثله قوله تعالى : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾[3] ، وقد سبقت .

فـائدة

فى الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل

وأنّ الفعلَ يدلّ على التجدّد والحدوث ، والاسم على الاستقرار والثبوت ، ولا يحسن وضعُ أحدهما موضع الآخر .

فمنه قوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[4] ، لو قيل « يبسط » لم يؤدّ

(١) الأنعام ١٦٤ (٢) سورة الأنعام ١٤٧

(٣) سورة مريم ٤٥ (٤) سورة الكهف ١٨

الغرض ؛ لأنه لم يُؤذن بزاولة الكلب البسط ، وأنه يتجدّد له شيء بعد شيء ، فـ « باسط » أشعر بثبوت الصفة .

وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾(١) ، لو قيل « رازقكم » لفات ما أفاده الفعل من تجدّد الرزق شيئاً بعد شيء ؛ ولهذا جاءت الحال فى صورة المضارع ، مع أن العامل الذى يفيده ماضٍ ، كقولك : جاء زيد يضرب ، وفى التنزيل : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾(٢) ، إذ المراد أن يريد صورة ماهم عليه وقتَ المجئ ، وأنهم آخذون فى البكاء يجدّدونه شيئاً بعد شيء ، وهذا هو سرّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول ، إلى صريح الفعل والمصدر .

ومن هذا يعرف لم قيل : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾(٣) ، ولم يقل « المنفقين » فى غير موضع ؟ وقيل كثيراً : « المؤمنون » و « المتقون » ؛ لأن حقيقة النفقة أمر فعلىّ شأنه الانقطاع والتجدد ، بخلاف الإيمان فإن له حقيقةً تقومُ بالقلب يدوم مقتضاها ، وإن غَفَل عنها ، وكذلك التقوى والإسلام ، والصبر والشكر ، والهدى والضلال ، والعمى والبصر ، فمعناها ، أو معنى وصف الجارحة كلّ هذه لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمرّ، وآثار تتجدّد وتنقطع ، فجاءت بالاستعمالين ؛ إلا أن لكلٍّ محلّ ما يليق به ، فحيث يراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال ، وحيث يراد ثبوت الاتصاف بها فالأسماء . وربما بولغ فى الفعل فجاء تارة بالصيغة الاسمية ، كالمجاهدين والمهاجرين والمؤمنين ؛ لأنه للشأن والصفة ، هذا مع أن لها فى القلوب أصولا ، وله ببعض معانيها التصاق قوّى هذا التركيب ، إذ القلبُ فيه جهاد الخواطر الرديئة ، والأخلاق الدنيئة ، وعقد على فعل المهاجرة ، كما فيه عَقْدٌ على الوفاء بالعهد . وحيث يستمر المعاهد عليه إلى غير ذلك .

---

(١) سورة فاطر ٣ (٢) سورة يوسف ١٦

(٣) سورة البقرة ٢٧٤

وانظر هنا إلى لطيفة ؛ وهو أنّ ما كان من شأنه ألّا يفعل إلا مجازاة ، وليس من شأنه أن يذكر الاتصاف به ، لم يأتِ إلا في تراكيب الأفعال، كقوله تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[3] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[4] ، فإنّ الإهلاك نوع اقتدار بيّن ، مع أنّ جنسه مقضيٌّ به على الكلّ ؛ عالين وسافلين ؛ لا كالضلال الذى جرى مجرى العصيان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[5] ، لأن البصرَ صفة لازمة للمتقى ، وعين الشيطان ربما حجبت ، فإذا تذكّرَ رأى المذكور، ولو قيل : « يبصرون »، لأنبأ عن تجدّد واكتساب فعل لا عوْد صفة .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾[6] ، أتى بالماضى فى « خلق » ، لأن خلْقه مفروغ منه ، وأتى بالفاء دون الواو، لأنه كالجواب ؛ إذ مَنْ صوّر النيّ ، قادر على أن يُصيِّره ذا هدى ؛ وهو للحصر ، لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم تهديهم ، ثم قال : ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾[6] ، فأتى بالمضارع لبيان تجدد الإطْعام والسقيا ، وجاءت الواو دون الفاء ، لأنهم كانوا لا يفرقون بين المطعِم والساقى ، ويعلمون أنهما من مكان واحد، وإن كانوا يعلمون أنه من إله ، وأتى بـ « هو » لرفع ذلك، ودخلت الفاء فى ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾، لأنّه جواب ، ولم يقل : « إذا مرضت فهو يشفين » إذ يفوت ما هو موضوع لإفادة

---

(١) سورة إبراهيم ٢٧
(٢) سورة الحج ٥٤
(٣) سورة الرعد ٧
(٤) سورة القصص ٥٩
(٥) سورة الأعراف ٢٠١
(٦) سورة الشعراء ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

التعقيب ، ويذهب الضمير المعطى معنى الحصر ، ولم يكونوا منكرين الموت من الله ، وإنما أنكروا البعث ، فدخلت « ثم » لتراخى ما بين الإماتة والإحياء .

وقوله تعالى : ﴿ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (١) لأن الفعل الماضى يحتمل هذا الحكم دائما ووقتاً دون وقت ، فلما قال : ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ، أى سكوتكم عنهم أبدا ودعاؤكم إياهم واحد ، لأنَّ « صامتون » ، فيه مراعاة للفواصل ، فهو أفصح ، وللتمكين من تطريفه بحرف المد واللّين ، وهو للطبع أنسب من صمتهم ، وصلًا ووقفا .

وفيه وجه آخر ، وهو أن أحد القسمين موازن للآخر ، فيدلُّ على أن المعنى : « أنتم داعون لهم دائما أم أنتم صامتون » .

فإن قيل : لم لا يعكس ؟

قلنا : لأن الموصوف الحاضر والمستقبل، لا الماضى ؛ لأن قبله : ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾(٢) ، والكلام بآخره ، فالحكم به قد يرجح .

وقوله تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾(٣) ، ولم يقل : « أم لعبت» ؛ لأن العاقل لا يمكن أن يلعب بمثل ما جاء به ظاهرا ، وإنما يكون ذلك أحدَ رجلين ؛ إما مُحِقّ وإما مستمرٌ على لهو الصبا وغىّ الشباب ، فيكون اللعب من شأنه حتى يصدر عنه مثل ذلك ، ولو قال : « أم لعبت » لم يعط هذا .

وقوله تعالى حاكياً عن المنافقين : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) ، يريدون أحدثنا الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ، ليروح ذلك خلاقا منهم ، كما أخبر تعالى عنهم فى قوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأعراف ١٩٣
(٢) سورة الأعراف ١٩٣
(٣) سورة الأنبياء ٥٥
(٤) سورة البقرة ٨ ، ٩

وجاءت الاسمية فى الردّ عليهم بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] لأنه أبلغ من نفى الفعل ، إذ يقتضى إخراج أنفسهم وذواتهم عن أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين ، وينطوى تحته على سبيل القطع نفىٌ بما أثبتوا لأنفسهم من الدعوى الكاذبة ، على طريقة: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[2] ، مبالغة فى تكذيبهم ، ولذلك أجيبوا بالباء ، وكلامهم فى هذا – كما قيل : * خلىٌّ من المعنى ولكن مفرقع * .

وإذا قيل : « أنا مؤمن » أبلغ من « آمن » ، ونفىُ الأبلغ لا يستلزم نفى مادونه ، وما حقيقة إخراج ذواتهم من جنس المؤمنين لم يرجع فى البيان إلا على عىّ أو ترويج ، ولكن ذمّ الله تعالى طائفة تقول « آمنا » ، وهى حالة القول ليست بمؤمنة ، بيانًا لأن هذا القول إنما صدر عنها ادعاء ، بحضور الإيمان حالة القول ، والانتظام بذلك فى سلك المتصفين بهذه الصفة ، وهم ليسوا كذلك ؛ فإذا ذمّهم الله شَمَل الذمُّ أن يكونوا آمنوا يوما ثم تخلّوا ، وأن يكونوا ما آمنوا قطّ من طريق الأولى والتعميم فقط ، وأعلم به أنّ ذلك حكم من ادعى هذا الدعوى على هذه الحال ، وبين أن هذا القول إنما قصدوا به التمويه، بقوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[3] ولو قال : وما آمنوا ، لم يفد إلا نفيه عنهم فى الماضى، ولم يفد ذمّهم إن كانوا آمنوا ثم ارتدّوا ؛ وهذا أفاد نفيه فى الحال ، وذمّهم بكل حال، ولأنّ ما فيه « مؤمنين » أحسن من « آمنوا » لوجود التمكين بالمدّ ؛ والوقف عقبه على حرف له موقف .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[4] ، دون « يخرجون » فقيل ما سبق . وقيل استوى هنا « يخرجون » و « خارجين » فى إفادة المعنى، واختير الاسم لخفته وأصالته .

---

(١) سورة البقرة ٨

(٢) سورة المائدة ٣٧

(٣) سورة البقرة ٩

(٤) سورة الحجر ٤٨

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾(١) يخبرون عن أنفسهم بالثبات على الإيمان بهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾(٢) ، قال الإمام فخر الدين الرازى : لأن الاعتناء بشأن إخراج الحىّ من الميت لما كان أشدّ أتى بالمضارع ، ليدلّ على التجدّد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(٣) .

تنبيه ،

مضمر الفعل كمظهره فى إفادة الحدوث، ومن هذه القاعدة قالوا: إن سلامَ الخليل عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة ، حيث قال : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾(٤) : فإنّ نصب ﴿ سلاماً ﴾ إنما يكون على إرادة الفعل، أى سلّمنا سلاما، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم، إذ الفعل تأخر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم، فإنه مرتفع بالابتداء، فاقتضى الثبوت على الإطلاق ، وهو أولى بما يعرض له الثبوت، فكأنه قصد أن يحيّيهم بأحسن مما حيوه به ، اقتداء بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾(٥) .

وذكروا فيه أوجها أخرى تليق بقاعدة الفلاسفة فى تفضيل الملائكة على البشر ، وهو أن السلام دعاء بالسّلامة من كل نقص، وكمال البشر تدريجىّ، فناسب الفعل، وكمال الملائكة مقارن لوجودها على الدوام ، فكان أحقّ بالاسم الدالّ على الثبوت .

قيل: وهو غلط، لأن الفعل المنشأ هو تسليمهم، أما السلامُ المدعوّ به فليس فى موضوعه تعرض لتدرّج، وسلامه أيضاً منشأ فعل، ولا يتعرض للتدريج، غير أن سلامه لم يدل بوضعه

(١) سورة البقرة ١٤
(٢) سورة الروم ١٩
(٣) سورة البقرة ١٥
(٤) سورة هود ٦٩
(٥) سورة النساء ٨٦

اللغوىّ وقوع إنشائه ، ثم لو كان هـذا المعنى معتبرًا لشُرع السلام بيننا بالنصب دون الرفع .

تنبيه

هـذا الذى ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت ، والفعل على التجدد والحدوث ؛ هو المشهور عند البيانيين؛ وأنكر أبو المطرف بن عميرة فى كتاب «التمويهات[١] على كتاب التبيان » لابن الزَّمْلكانى ، قال : هذا الرأى غريب، ولا مستنَد له نعلمه، إلا أن يكون قد سمع أن فى مقوله[٢] : أن يفعل وأن ينفعل هذا المعنى من التجدّد، فظن أنه الفعل القسيم للأسماء ، فغلط . ثم قوله : الاسم يثبتُ المعنى للشىء عجيب ، وأكثر الأسماء دلالتها على معانيها فقط ، وإنما ذاك فى الأسماء المشتقة ؛ ثم كيف يفعل بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[٣] ، وقوله فى هذه السورة بعينها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] ؟

وقال ابن المنيِّر : طريقة العرب تدبيج الكلام وتلوينه ومجىء الفعلية تارة، والاسمية أخرى ، من غير تكلّف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلّص ، اعتمادا على أنّ المقصود الحاصل بدون التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾[٤]، ولا شىء بعد ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾[٥] ، وقد جاء التأكيد فى كلام المنافقين فقال : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[٦] .

---

(١) كتاب التبيان فى علم البيان ؛ للشيخ عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بابن الزملكانى ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : « وعليه كتاب للشيخ أبى المطرف أحمد بن عبد الله المخزومى ؛ سماه التنبيهات على ما فى التبيان من التمويهات »

(٢) م : « قوله »

(٣) سورة المؤمنين ١٥ ، ١٦ ، ٥٧ ، ٥٨

(٤) سورة آل عمران ٥٣

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(٦) سورة البقرة ١١

قاعدة

[فى قوله تعالى : مَنْ فى السموات والأرض ونحوها]

جاء فى التنزيل فى موضع : ﴿ مَنْ فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، وفى موضع ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

والأول : جاء فى تسعة مواضع : أحدها فى الرحمن : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] .

والثانى : فى أربع مواضع ، أولها فى يونس : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢] .

وجاء قوله تعالى : ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فى أحد عشر موضعا ، أولها فى البقرة ﴿ سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[٣] .

وجاء قوله : ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ ومَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فى ثمانية وعشرين موضعا ، أولها فى آية الكرسى[٤] .

قال بعضهم : وتأمّلت هذه المواضع ، فوجدتُ أنّه حيث قصد التنصيص على الإفراد ذكر الموصول والظرف ، ألا ترى إلى المقصود فى سورة يونس[٥] ، مِنْ نفى الشركاء الذين اتخذوهم فى الأرض ، وإلى المقصود فى آية الكرسى فى إحاطة الملك[٦] .

---

(١) سورة الرحمن ٢٩ (٢) سورة يونس ٦٦

(٣) سورة البقرة ١١٦ (٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٥) وهو قوله تعالى فى الآية ٦٦ ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَاءَ . . . ﴾ .

(٦) وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ .

وحيث قُصد أمرٌ آخر لم يذكر الموصول ، إلا مرة واحـدة إشارة إلى قصد الجنس وللاهتمام[1] بما هو المقصـود فى تلك الآية ، ألا ترى إلى سورة الرحمن المقصود منهـــا علو قدرة ٱلله تعالى وعلمه ، وشأنه وكونه مسئولا ، ولم يقصد إفراد السائلين .

فتأمل هـذا الموضع !

قــاعِدَة

[فى قوله تعالى : « فَمن أظلم ممن افترى على الله كذباً » ونحوها]

قد يكون نحو هذا اللفظ فى القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[2] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[3] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[4] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ . . . ﴾[5] إلى غـير ذلك .

والمفسرون[6] على أنّ هذا الاستفهام معناه النفى فحينئذٍ ، فهو خبر ، وإذا كان خبرا فتوهّم بعض الناس أنّه إذا أخذت هذه الآيات على ظواهرها أدّى إلى التناقض[7] ، لأنه يقال: لا أحد أظلمُ ممن منع مساجد الله ، ولا أحَد أظلم ممن افترى على الله كذباً ، ولا أحدَ أظلم ممَّنْ ذُكّر بآيات الله فأعرض عنها .

واختلفَ المفسِّرُون[8] فى الجواب عن هذا السؤال على طرق :

* * *

أحدها : تخصيص كلّ واحد فى هـذه المواضع بمعنى صلته ، فـكأنّه قال : لا أحدَ من المـانعين أظلم ممَّنْ منع مساجد الله ، ولا أحدَ من المفترين أظلمُ ممن افترى على الله

---

(١) م : « والاهتمام »

(٢) سورة الأنعام ٩٣

(٣) سورة الزمر ٣٢

(٤) سورة السجدة ٢٢

(٥) سورة البقرة ١١٤

(٦) نقله عن أبي حيان فى البحر ١ : ٣٥٧ وما بعدها مع تصرف فى العبارة.

(٧) البحر : « سبق ذهنه إلى التناقض فيها » .

(٨) المصدر السابق.

كذبا ، وكذلك باقيها ، وإذا تخصص[1] بالصِّلات زال عنه[2] التناقض .

* * *

الثانى : أن التخصيص بالنسبة[3] إلى السبق لما لم يَسْبِقْ أحدٌ إلى مثله ، حُكْمٌ عليهم بأنّهم أظلمُ ممَّنْ جاء بعدهم سالكا طريقتهم ، وهذا يئول معناه إلى السبق فى المانعية ، والافترائية[4] .

* * *

الثالث : ـ وادّعى الشيخ أبو حيان الصواب ـ ونفى الأظلمية لا يستدعى نفىَ الظالمية ، لأن نفىَ المقيّد لا يدلُّ على نفى المطلق ، فلو قلت: مافى الدار رجل ظريف، لم يدلّ ذلك على نفى مطلق رجل ، وإذا لم يدلّ على نفى الظالمية لم يلزم التناقض[5] لأن فيها إثبات التسوية فى الأظلمية ، وإذا ثبتت التسوية فى الأظلمية لم يكن أحدٌ ممن وصف بذلك يزيد على الآخر ، لأنّهم يتساوَوْن فى الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد أظلمُ ممن افترى وممن كذب ونحوها، ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الأظلمية ، ولا يدلّ على أن أحد هؤلاء أظلمُ من الآخر ، كما أنك إذا قلت : لا أحد أفقه [من زيد وعمرٍ وخالد ، لا يدلّ على أن أحدهم أفقه من الآخر ، بل نفى أن يكون أحدهم أفقه][6] منهم .

لا يقال : إن مَنْ منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُه وسَعَى فى خرابِها ولم يفتر على اللهِ كذبا أقلُّ ظلما ممن جَمَع بينهما ، فلا يكون مساويا فى الأظلمية ! لأنا نقول : هذه الآيات كلّها إنما هى فى الكفّار، فهم متساوون فى الأظلمية، وإن اختلفتْ طرق الأظلمية، فهى كلها صائرة إلى الكفر ، وهو شىء واحد ، لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لإفراد من

---

(١) البحر : « فإذا تخصصت بالصلات » (٢) البحر: « عنده »
(٣) البحر : « يكون النسبة » (٤) قال أبو حيان بعد أن أورد هذين الوجهين : « وهذا كله بعد عن مدلول الكلام ووضعه العربى ، وعجمة فى اللسان يتبعها استعجام المعنى » .
(٥) البحر : « لم يكن تناقضا » (٦) تكملة من البحر .

اتصف به ، وإنّما تمكن الزيادة فى الظلم بالنسبة لهم ، وللعصاة المؤمنين ، بجامع ما اشتركوا فيه من المخالفة ، فتقول : الكافر أظلمُ من المؤمن ، وتقول : لا أحد أظلم من الكافر ؛ ومعناه أن ظلم الكافر يزيد على ظلم غيره . انتهى .

وقال بعضُ مشايخنا : لم يدّع القائلُ نفىَ الظالميّة ، فيقيمَ الشيخُ الدليلَ على ثبوتها ، وإنما دعواه أنّ « ومن أظلم ممن منع مثلا » ، والفرضُ أنَّ الأظلمية ثابتة لغير ما اتصف بهذا الوصف ، وإذا كان كذلك حصل التعارض ، ولابد من الجمع بينهما . وطريقه التخصيص ، فيتعين القول به .

وقول الشيخ : إن المعنى « لا أحدَ أظلم ممن منع وممن ذكر » صحيح ، ولكن لم يستفَد ذلك إلا من جهة التخصيص ، لأن الأفراد المنفىّ عنها الأظلمية فى آية ، أثبتتْ لبعضها الأظلمية أيضاً فى آية أخرى ، وهكذا بالنسبة إلى بقيّة الآيات الوارد فيها ذلك . وكلام الشيخ يقتضى أن ذلك استفيد لا بطريق التخصيص ، بل بطريق أن الآيات المتضمنة لهذا الحكم فى آية واحدة . وإذا تقرّر ذلك، علمتَ أن كلّ آية خُصّتْ بأخرى، ولا حاجة إلى القول بالتخصيص بالصّلات ، ولا بالسبق .

* * *

الرابع : طريقة بعض المتأخرين ، فقال : متى قدّرنا : « لا أحدَ أظلم » ، لزِم أحدُ الأمرين : إمّا استواء الكلّ فى الظُّلم ، وأن المقصود نفى الأظلمية من غير المذكور ، لا إثبات الأظلمية له ، وهو خلاف المتبادر إلى الذهن ، وإمّا أن كلّ واحد أظلمُ فى ذلك النوع. وكلا الأمرين إنما لزم من جَعْل مدلولها إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة، أو نفيها عن غيره .

وهنا معنى ثالث، وهو أمكنُ فى المعنى وسالم عن الاعتراض، وهو الوقوف مع مدلول

اللفظ من الاستفهام ، والمقصود به أنّ هذا الأمر عظيم فظيع ، قصدنا بالاستفهام عنه تخييل أنه لا شيء فوقه ، لامتلاء قلب المستفهم عنه بعظمته امتلاء يمنعه من ترجيح غيره ، فكأنه مضطر إلى أن يقول : لا أحد أظلم ؛ وتكون دلالته على ذلك استعارة لا حقيقة، فلا يردُ كون غيره أظلم منه إن فرض . وكثيرا ما يستعمل هذا فى الكلام إذا قصد به التهويل ، فيقال : أىّ شىء أعظم من هذا إذا قصد إفراط عظمته ؟ ولو قيل للمتكلم بذلك : أنت قلت إنه أعظم الأشياء ، لأبى ذلك . فليفهم هذا المعنى، فإنّ الكلامَ ينتظم معه والمعنى عليه .

قاعدة

[فى الجحْد بين الكلامين]

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾(١) ، قال صاحب(٢) « الياقوتة » : قال ثعلب والمبرّد جميعا : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجَحْدَيْن ، كان الكلامُ إخبارا ، فمعناه إنما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام . ومثله : ما سمعت منك ولا أقبل منك مالا . وإذا كان فى أول الكلام جَحْد كان الكلام مجحودا جحدا حقيقيًّا ، نحو « ما زيد بخارج » ، فإذا جمعت بين جَحْدَين فى أول الكلام كان أحدهما زائدا، كقوله : ما ما قمت يريد : « ما قمت » ، ومثله ما إن قمت ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾(٣) ، فى أحد الأقوال .

---

(١) سورة الأنبياء ٨

(٢) هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز المعروف بالزاهد، وصاحب ثعلب؛ وله كتاب الياقوت فى اللغة ؛ ذكره ابن النديم فى الفهرست ٧٦ والقفطى فى إنباه الرواة ٣ : ١٧٥

(٣) سورة الأحقاف ٢٦

قــاعِدَة

فى ألفاظ يُظَنُّ بها الترادف وليست منه

ولهذا وُزِّعَتْ بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر ، فعلى المفسر مراعاةُ الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن ؛ فإنّ للتركيب معنًى غير معنى الإفراد ، ولهذا مَنَع كثير من الأصوليّن وقوعَ أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب ؛ وإن اتفقوا على جوازه فى الإفراد .

فمن ذلك « الخوف » و « الخشية » ، لا يكادُ اللُّغوى يفرّق بينهما ، ولا شكّ أن الخشْيةَ أعْلَى من الخوف ، وهى أشدّ الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خَشيّة إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية ؛ والخوف من قولهم : ناقة خَوْفاء ؛ إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ؛ ومن ثَمَّةَ خُصّت الخشية بالله تعالى فى قوله سبحانه : ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ﴾[1] .

وفُرِق بينهما أيضاً ، بأن الخشية تكون من عِظم المخشىّ ، وإن كان الخاشى قويًّا ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمراً يسيرا ، ويدلّ على ذلك أن الخاء والشين والياء فى تقاليبها تدلُّ على العظمة ؛ قالوا : شيخ للسيد الكبير ، والخيش لما عظم من الكَتّان ، والخاء والواو والفاء فى تقاليبها تدلّ على الضعف ، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ، وقال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ ، فإن الخوف من الله لعظمته ، يخشاه كلّ أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب ربما لا يخافه مَنْ كان عالما بالحساب ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسَب .

---

(١) سورة الرعد ٢١

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(1) وقال لموسى :
﴿ لَا تَخَفْ ﴾(2) أي لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون .
فإن قيل : وقد ورد ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ...

قيل : الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف ، فيصح أن يقول : يخشى ربه لعظمته ، ويخاف ربه ، أي لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى ...

وفيه لطيفة : وهي أن الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكروا صفتهم بين يديه ، فقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(3) بمعنى أنهم عند الله ضعفاء ، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ، ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى ، فقال : ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾ ، ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال : ﴿ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ والمراد فوقية بالعظمة ...

ومن ذلك الشح والبخل ، والشح هو البخل الشديد ، وفرق العسكري(4) بين البُخل والضَّنّ ، بأن الضَّنّ أصله أن يكون بالعواري والبخل بالهيئات ، ولهذا يقال : هو ضنين بعلمه ، ولا يقال : هو بخيل بعلمه ؛ لأن العلم أشبه بالعارية منه بالهبة ؛ لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه بخلاف العارية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾(5) ولم يقل : ببخيل ...

(1) سورة فاطر 28 (2) سورة النمل 10 من قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾
(3) سورة النحل 50

(4) هو أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية .
(5) سورة التكوير 24

ومن ذلك الغبطة والمنافسة ، كلاهما محمود ، قال تعالى : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾[١] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين »، وأراد الغبطة، وهي تمنّي مثل ما له من غير أن يغتمّ لنيل غيره؛ فإن انضمّ إلى ذلك الجدّ والتشمير إلى مثله أو خيرٍ منه، فهو منافسة .

وقريب منها الحسد والحقد ، فالحسد تمنّي زوال النعمة من مستحقها ، وربما كان مع سعيٍ في إزالتها ، كذا ذكر الغزالي هذا القيد أعني الاستحقاق ، وهو يقتضي أن تمني زوالها عمن لا يستحقها لا يكون حَسداً .

* * *

ومن ذلك « السبيل » و « الطريق » ، وقد كَثُر استعمال السبيل في القرآن؛ حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع وخمسين موضعا، أولها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] ، ولم يقع ذكر الطريق مراداً به الخير إلا مقترنا بوصف أو بإضافة ، مما يخلّصه لذلك ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] .

* * *

ومن ذلك « جاء » و « أتى » يستويان في الماضي ، و« يأتي » أخف من « يجيء » وكذا في الأمر و « جيئوا بمثله » أثقل من « فأتوا بمثله » ولم يذكر الله إلا « يأتي » و « يأتون » وفي الأمر « فأت » « فأتنا » « فأتوا » لأنّ إسكان الهمزة ثقيل لتحريك حروف المد واللين ، تقول « جيء » أثقل من « ائت » .

وأما في الماضي ففيه لطيفة، وهي أن «جاء» يقال في الجواهر والأعيان، «وأتى» في المعاني والأزمان ، وفي مقابلتهما : ذهب ومضى ، يقال ذهب في الأعيان ، ومضى في الأزمان ، ولهذا يقال : حُكْم فلان ماضٍ ، ولا يقال : ذاهب ؛ لأن الحكم ليس من الأعيان .

(١) سورة المطففين ٢٦
(٢) سورة البقرة ٢٧٣
(٣) سورة الأحقاف ٣٠

وقال : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[1] ، ولم يقل « مضى » لأنّه يضرب له المثل بالمعانى المفتقرة إلى الحال ، ويضرب له المثل بالأعيان القائمة بأنفسها ؛ فذكر الله «جاء» فى موضع الأعيان فى الماضى ، « وأتى » فى موضع للمعانى والأزمان .

وانظر قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[2] ؛ لأن الصُّواع عين. ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ ﴾[3] لأنه عين ، وقال : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾[4] لأنها عين .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾[5] ، فلأنّ الأجل كالمشاهد ، ولهذا يقال : حضرته الوفاة وحضره الموت . وقال تعالى : ﴿ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[6] ، أى العذاب لأنه مرئىّ يشاهدونه ، وقال: ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[7] ، حيث لم يكن الحق مرئيًّا .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾[8] ، وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾[9] ، فجعل الأمرَ آتيا وجائيا .

قلنا : هذا يؤيد ما ذكرناه ؛ فإنه لما قال: ﴿جاء﴾ وهم ممن يرى الأشياء، قال: ﴿جاء﴾ أي عيانا ، ولما كان الزرع لا يبصر ولا يَرى ، قال : ﴿أتاها﴾ . ويؤيد: هذا أن «جاء» يُعدّى بالهمزة ، ويقال : أجاءه ، قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[10] ، ولم يرد «أتاه» بمعنى « أتت » من الإتيان ، لأن المعنى لا استقلال له ، حتى يأتى بنفسه .

* * *

ومن ذلك « الخطف » و « التخطف » لا يفرّق الأديب بينهما ، والله تعالى فرّق

(١) سورة البقرة ١٧
(٢) سورة يوسف ٧٢
(٣) سورة البقرة ٨٩
(٤) سورة الفجر ٢٣
(٥) سورة النحل ٦١
(٦) سورة الحجر ٦٣
(٧) سورة الحجر ٦٤
(٨) سورة يونس ٢٤
(٩) سورة هود ٥٨
(١٠) سورة مريم ٢٣

بينهما، فتقول: «خَطِف» بالكسر لما يتكرر، ويكون من شأن الخاطف الخطف، و«خَطَف» بالفتح حيث يقع الخطف من غير أن يكون من شأن الخاطف الخطف، وهو أبلغ من «خَطَف» بالفتح، فإنه يكون لما يتكرر ... ولم يكن متوقعاً منه ... «فَعِل» بالكسر ... «فَعَل» لا ... ، كقتل وضرب، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾(١)، وقال: ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾(٢).

وقال: ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾(٤).

وقال: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾(٥) ... البرق يخطف ... خطف البصر إذا قوي.

ومن ذلك «مدّ» و«أمدّ»، قال الراغب: أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ ﴾(٦)، ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾، والمد في المكروه نحو: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾.

* * *

ومن ذلك «سقى» و«أسقى» وقد سبق. ومن ذلك «عمل» و«فعل»، والفرق بينهما

(١) سورة الصافات ...
(٢) سورة الحج ...
(٣) سورة الأنفال ...
(٤) سورة العنكبوت ...
(٥) سورة البقرة ...
(٦) المفردات ...
(٧) سورة الطور ...
(٨) سورة الواقعة ...
(٩) سورة مريم ٧٩

أن العمل أخص من الفعل، فكل عمل فعل ولا ينعكس؛ ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم؛ لأنه أعم، والعمل من الفعل ما كان مع امتداد؛ لأنه «فعل» بوزن «فَعِل» [illegible]

وقد اعتبره الله تعالى فقال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾(١) حيث كان فعلهم بزمان.

وقال: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٢) حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه.

وقال تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾(٣) ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾(٤) فإن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد، وقال: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾(٥) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾(٦) ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾(٧) فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء.

وقال: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٨) حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة.

وقال: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾(٩)، بمعنى سارعوا، كما قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(١٠)

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(١١)؛ أي يأتون بها على سرعة من غير توان في دفع حاجة الفقير، فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع.

ومن ذلك «القعود» و«الجلوس» فإن القعود لا يكون معه لبث، والجلوس [illegible]

(١) سورة سبأ ١٣
(٢) سورة النحل ٥٠
(٣) سورة يس ٧١
(٤) سورة يس [illegible]
(٥) سورة الفيل ١
(٦) سورة الفجر ٦
(٧) سورة إبراهيم ٤٥
(٨) سورة البقرة ٢٥
(٩) سورة الحج ٧٧
(١٠) سورة البقرة ١٤٨
(١١) سورة المؤمنون ٤

لا يعتبر فيه ذلك؛ ولهذا تقول: « قواعد البيت »، ولا تقول: « جوالسه »؛ لأنّ مقصودك ما فيه ثبات؛ والقاف والعين والدال كيف تقلّبت دلّتْ على اللّبث؛ والقعدة بقاء على حالة، والدّقْعاء للتراب الكثير الذى يبقى فى مسيل الماء وله لَبث طويل؛ وأما الجيم واللام والسين فهى للحركة، منه السجلّ للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده، ولهذا قالوا فى قَعَد: يقعُد بضم الوسط، وقالوا: جلس يجلِس بكسره؛ فاختاروا الثقيل لما هو أثبت.

إذا ثبت هذا فنقول: قال الله تعالى ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾[1]، فإنّ الثبات هو المقصود. وقال: ﴿ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[2]، أى لا زوالَ لكم، ولا حركة عليكم بعد هذا. وقال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾[3] ولم يقل « مجلس » إذ لا زوال عنه.

وقال: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾[4]، إشارة إلى أنّه يجلس فيه زمانًا يسيرًا ليس بمقعد؛ فإذا طُلِب منكم التفسح فافسحوا، لأنه لا كُلْفة فيه لقصره، ولهذا لا يقال: قعيد الملوك، وإنما يقال: جليسهم، لأن مجالسةَ الملوك يستحبّ فيها التخفيف؛ والقعيدة للمرأة؛ لأنها تلبَث فى مكانها.

***

ومن ذلك « التمام » و« الكمال »، وقد اجتمعا فى قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[5]، والعطف يقتضى المغايرة. فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل؛ ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[6]؛ أحسن من « تامّة »، فإنّ التمام من العدد قد عُلِم؛ وإنما بقىَ احتمالُ نقصٍ فى صفاتها.

---

(١) سورة آل عمران ١٢١
(٢) سورة التوبة ٤٦
(٣) سورة القمر ٥٥
(٤) سورة المجادلة ١١
(٥) سورة المائدة ٣
(٦) سورة البقرة ١٩٦

وقيل « تَمّ » يشعر بحصول نقص قبله ، و « كَمَل » لا يشعر بذلك ؛ ومن هذا قولُهُمْ : رجل كامل ، إذا جَمع خصالَ الخير ، ورجل تامّ إذا كان غير ناقص الطول .

وقال العسكريّ : الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ، والتمام اسم للجزء الذى يتمّ به الموصوف ؛ ولهذا يقولون : القافية تمام البيت ، ولا يقولون كماله ، ويقولون: البيت بكماله .

* * *

ومن ذلك الضياء والنور .

فائدة

[عن الجوينيّ فى الفرق بين الإتيان والإعطاء]

قال الُجوَيْنىّ : لا يكاد اللغويون يَفْرقون بين الإعطاء والإتيان ، وظَهر لى بينهما فَرق انبنى عليه بلاغةٌ فى كتاب الله ، وهو أنّ الإتيان أقوى من الإعطاء فى إثبات مفعوله ، لأنّ الإعطاء له مطاوع ، يقال : أعطانى فعَطَوْتُ ، ولا يقال فى الإتيان : أتانى فأتيت ، وإنما يقال : أتانى فأخذت ، [و] الفعل الذى له مطاوع أضعف فى إثبات مفعوله من الذى لا مطاوع له ؛ لأنك تقول : قطعتُه فانقطع ، فيدلّ على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول المحلّ ، لولاه لما ثبت المفعول ؛ ولهذا يصحّ : قطعته فما انقطع ، ولا يصحّ فيما لا مطاوع له ذلك ، فلا يجوز أن يقال : ضربتُه فانضرب أو ما انضرب ، ولا قتلته فانقتل أو ما انقتل ؛ لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول فى المحلّ ، والفاعل مستقلٌ بالأفعال التى لا مطاوعَ لها ؛ فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء.

قال: وقد تكرر ذلك في مواضع من القرآن، فوجدت ذلك مراعى، قال الله تعالى في الملك: ﴿ تؤتي الملك من تشاء ﴾(١) لأن الملك شيء عظيم لا يعطيه إلا من له قوة، ولأن الملك في الملك أثبت من الملك في المالك، فإن الملك لا يخرج الملك من يده، وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة.

وقال تعالى: ﴿ يؤتي الحكمة ﴾(٢)، لأن الحكمة إذا ثبتت في المحل دامت.

وقال: ﴿ آتيناك سبعاً من المثاني ﴾(٣) لعظم القرآن وشأنه.

وقال: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾(٤) لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته يردون على الحوض ورود النازل على الماء، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان، والحوض للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم، فقال فيه: ﴿ إنا أعطيناك ﴾، لأنه يترك ذلك عن قرب، وينتقل إلى ما هو أعظم منه.

وقال: ﴿ أعطى كل شيء خلقه ﴾(٥) لأن من الأشياء ما له وجود في الزمان واحتاج للفظ الإعطاء. وقال: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾(٦) لأنه تعالى يعطي ما يرضى النبي صلى الله عليه وسلم ويزيده، والتنقل به من ما كان إلى ما هو أعظم منه ما كان لأن يرجوا منه إلا بل حال أمته كذلك، فقوله: ﴿ يعطيك ربك ﴾ فيه بشارة

وقال: ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد ﴾(٧) لأنها موقوفة على قبول منا، وهم

(١) سورة آل عمران ٢٦ (٢) سورة البقرة ٢٦٩
(٣) سورة الحجر ٨٧ (٤) سورة الكوثر ١
(٥) سورة طه ٥٠ (٦) سورة الضحى ٥
(٧) سورة التوبة ٢٩

لا يؤتون إيتاء عن طيب قلب، وإنما هو عن كره، إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة، لا يكون كإعطاء الجزية.

فانظر إلى هذه اللطيفة الموفقة التي هي سر من أسرار الكتاب.

قاعدة

في التعريف والتنكير

اعلم أن لكل واحد منهما مقاماً لا يليق بالآخر.

* * *

فأما التعريف فله أسباب:

الأول: الإشارة إلى معهود خارجي، كقوله تعالى: ﴿ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ ﴾(١)، على قراءة الأعمش(٢) فإنه أشير بالسحرة إلى «ساحر» مذكورة.

وقوله: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾(٣).

وأغرب ابن الخشاب فجعلها للجنس، فقال: لأن من عصى رسولاً فقد عصى سائر الرسل.

ومنهم من لا يشترط تقدم ذكره، وجعل منه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾(٤)، لأنهم كانوا يعتقدون أن الناس الذين آمنوا سفهاء.

---

(١) سورة الشعراء ٣٧، ٣٨.

(٢) قراءة الأعمش «بكل ساحر» بوزن «فاعل»، والجمهور: «بكل سحار» بوزن «فعال». إتحاف فضلاء البشر ٣٣٣.

(٣) سورة المزمل ١٥، ١٦.

(٤) سورة البقرة ١٣.

وقوله : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[1] أى الذَّكر الذى طلبته كالأنثى التى وُهِبَتْ لها ، وإنما جُعل هذا للخارجىّ لمعنى الذَّكَر فى قولها : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[2] ، ومعنى الأنثى فى قولها : ﴿ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾[1] .

الثانى : لمعهود ذهنىّ ، أى فى ذهن مخاطبك، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[3] ، ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[4] ، وإمّا حضورىّ ؛ نحو : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[5] ، فإنها نزلت يوم عرفة .

الثالث : الجنس ، وهى فيه على أقسام : أحدُها أنْ يقصد المبالغة فى الخبر ، فيقصَرَ جنس المعنى على المخبَر عنه ؛ نحو زيد الرجل ، أى الكامل فى الرجولية . وجعل سيبويه صفاتِ الله تعالى كلّها من ذلك .

وثانيها : أن يَقصره على وجه الحقيقة لا المبالغة ، ويسمى تعريف الماهية ، نحو : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾[6] . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[7] ، أى جَعَلْنا مبتدأ كل حىّ هذا الجنس ، الذى هو الماء .

وقال بعضهم : المراد بالحقيقة ثبوتُ الحقيقة الكلّية الموجودة فى الخارج ، لا الشاملةُ لأفراد الجنس ، نحو : الرجلُ خير من المرأة ، لا يريدون امرأة بعينها ؛ وإنّما المراد : هذا الجنس خير من ذلك الجنس ؛ من حيث هو، وإن كان يتفق[8] فى بعض أفراد النساء مَنْ هو خير من بعض أفراد الرجال ، بسبب عوارض .

وهذا معنى قول ابن بَابَشاذ : إنّ تعريف العهد لما ثبت فى الأعيان ، وتعريف الجنس لما ثبت فى الأذهان ؛ لأن التفضيلَ فى الجنس راجع إلى الصورتين الكلّيتين فى الذهن ؛

(١) سورة آل عمران ٣٦
(٢) سورة آل عمران ٣٥
(٣) سورة التوبة ٤٠
(٤) سورة الفتح ١٨
(٥) سورة المائدة ٣
(٦) سورة الأنعام ٨٩
(٧) سورة الأنبياء ٣٠
(٨) م : « متفقا » .

إذ لا معنى للتفضيل فى الصـور الذهنية ، وإنما أضاف إلى الذهن لأنّ تلك الحقيقة التى ذكرناها ؛ وإن كانت موجـودة فى الخارج ؛ لاشتمال الأفراد الخارجية عليها ، ولـكنّها كلها مطابقة للصور الذهنية التى لتلك الحقيقة ، ولهذا تسمى الـكلية الطبيعية .

الرابع : أن يقصد بها الحقيقة ، باعتبار كلّية ذلك المعنى ، وتعرف بأنها التى إذا نزعت حَسُن أن يخلفها « كلّ » وتُفيد معناها الذى وضعت له حقيقة ؛ ويلزم من ذلك الدلالة على شمول الأفراد ، وهى الاستغراقية ، ويظهر أثره فى صحة الاستثناء منه، مع كونه بلفظ الفرد، نحو : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] ، وفى صحة وصفه بالجمع نحو : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾[2] .

قال صاحب « ضوء المصباح »[3] : سواء أكان الشمول باعتبار الجنس ، كالرجل والمرأة ، أو باعتبار النوع كالسارق والسارقة ، ويُفرّق بينهما ، بأن مادخلت عليه من أجل فعله فيزول عنه الاسم بزوال الفعل ، فهى للنوع . وما دخلت عليه من وصفه فلا يزول عنه الاسم أبداً . هذا كله إذا دخلت على مفرد ، نحو: ﴿ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[4] ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[5] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[1] خلافا للإمام فخر الدين ومَنْ تبعه فى قولهم : إن المفرد المحلّى بالألف واللام لا يعمّ ، ولنا الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾[2] وليس فى قوله : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[6] دلالة على العموم ، كما زعم صاحب الـكشاف .

فإن قلت : فإذا لم يكن السارق عامًّا فبماذا تقطع يد كل سارق من لدن سُرِق رداء صفوان إلى انقضاء العالم .

---

(١) سورة العصر ٢ ، ٣ (٢) سورة النور ٣١

(٣) لتاج الدين محمد بن محمد الإسفرايينى ، شرح المصباح فى النحو للمطرزى ، وسماه المفتاح ، ثم لخصه وسماه الضوء : كشف الظنون ١٧٠٨

(٤) سورة التوبة ٩٤ (٥) سورة النساء ٢٨

(٦) سورة المائدة ٣٨

قيل: لأن المراد منه الجنس، أي نفس الحقيقة، والمعنى: أن المتصف بصفة السرقة تقطع يده، وهو صادق على كل سارق؛ لأن الحقيقة كما توجد مع الواحد توجد مع المتعدد أيضاً؛ فإن دخلت على جمع، فاختلف العلماء: هل تسلبه معنى الجمع، وتصيره للجنس، ويحمل على أقله، وهو الواحد لئلا يجتمع على الكلمة [illegible]، أو تبقى الجمع باقٍ معها [illegible]

مذهب الحنفية الأول، وقضية مذهبنا الثاني، ولهذا اشترطوا ثلاثة من كل صنف في الزكاة إلا العاملين. ويلزم الحنفية ألا يصح منه الاستثناء، ولا التخصيص، وقد قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ﴾(٢) [illegible] ﴿فاقتلوا المشركين﴾، إلى قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾(٣) وقد حققته في باب العموم من «بحر الأصول»(٤).

ثم الأكثر في تعريفها وغيرها موافقة اللفظ، كقوله تعالى: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾(٥)، وقوله: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى. وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى﴾(٦).

وقد يجيء موافقة معنى لا لفظاً على قلة، كقوله: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾(٧).

* * *

وأما التنكير، فله أسباب:

(٣) سورة التوبة ٢٩

(٤) كتاب البحر المحيط في الأصول للمؤلف منه نسخة خطية برقم ٤٨٣ - أصول

(٥) سورة النساء ٣٦

(٦) سورة الليل ١٥ - ١٨

الأول : إرادة الوحدة، نحو: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾(١).

الثاني : إرادة النوع، كقوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾(٢) أي نوع من الذكر، ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾(٣) وهي التعامي عن آيات الله الظاهرة لكل مبصر، ويجوز أن يكون للتعظيم وجريا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾(٤)، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾(٥)؛ لأنهم لم يحرصوا على أصل الحياة حتى تعرف، بل على الازدياد من نوع، وإن كان الزائد أقل شيء ينطلق عليه اسم الحياة.

الثالث: التعظيم، كقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(٦)؛ أي بحرب وأي حرب. وكقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٧)؛ أي لا يوقف على حقيقته.

وجعل منه السكاكي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾(٨)، والظاهر من قول الزمخشري خلافه، وهذا لم يصرح بأن العذاب لاحق به، بل قال: ﴿يَمَسَّكَ﴾، وذكر الخوف وذكر اسم الرحمن، ولم يقل: «المنتقم»، وذلك يدل على أنه لم يرد التعظيم.

وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾(٩).

فإن قلت: لِمَ لم ينكر «الأنهار» في قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(٩)؟

---

(٢) سورة ص ٤٩

(٣) سورة البقرة

(٥) سورة البقرة ٩٦

(٦) سورة البقرة ٢٧٩

(٧) سورة البقرة

(٨) سورة مريم

(٩) سورة البقرة ٢٥

قلت : لاغرضَ فى عظم الأنهار وسعتها ، بخلاف الجنات .

ومنه : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] ؛ ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾[2] .

وإنما لم ينكر « سلام عيسى » فى قوله : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ﴾[3] ؛ فإنه فى قصة دعائه، الرّمز إلى ما اشتق منه اسم الله تعالى ، والسلام: اسم من أسمائه، مشتق من السلامة ، وكلّ اسم ناديته به متعرض لما يشتق منه ذلك الاسم ؛ نحو : يا غفور يا رحيم .

الرابع : التكثير؛ نحو « إنّ له لإبلا » ، وجعل منه الزمخشريّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْراً ﴾[4] ، أى أجراً وافراً جزيلا ، ليقابل المأجور عنه من الغلبة على مثل موسى عليه السلام ؛ فإنه لا يقابل الغلبة عليه بأجر ؛ إلا وهو عديم النظير فى الكثرة .

وقد أفاد التكثير والتعظيم معاً قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ﴾[5]؛ أى رسل عظام ذوو عدد كثير، وذلك لأنه وقع عوضاً عن قوله: « فلا تحزن وتصبّر » ، وهو يدلّ على عِظَم الأمر وتكاثر العدد .

الخامس : التحقير ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[6] ؛ قال الزمخشرى : أى[7] من شىء حقير مهين ، ثم بيّنه بقوله ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾[6] .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾[8] ، أى لا يعبأ به، وإلا لاتّبعوه ، لأن ذلك ديدنهم ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾[9] .

السادس : التقليل ، كقوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[10] ؛ أى رضوان

---

(١) سورة الصافات ١٠٩
(٢) سورة مريم ١٥
(٣) سورة مريم ٣٣
(٤) سورة الأعراف ١١٣ ،والآية بتمامها : ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً﴾.
(٥) سورة فاطر ٤
(٦) سورة عبس ١٨ ، ١٩
(٧) الكشاف ٤ : ٥٦٢
(٨) سورة الجاثية ٣٢
(٩) سورة النجم ٢٣
(١٠) سورة التوبة ٧٢

قليل من بحار رضوان الله الّذى لا يتناهى ، أكبر من الجنات؛ لأن رضاالمولى رأس كل سعادة .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾(١) ؛ إذ المعنى أنه يحصل فيه أصل الشفاء فى جملة صور ، ويجوز أن يكون للتعظيم .

وعدّ صاحب الكشاف منه : ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾(٢) ، أى بعض الليل .

وفيه نظر ؛ لأن التقليل عبارة عن تقليل الجنس إلى فرد من أفراده لا ببعض فرد إلى جزء من أجزائه .

تنبيه

هذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسياق ، كما فهم التعظيم فى قوله تعالى: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾(٣) ؛ من قوله بعده : ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾(٣) .

وكما فُهِم التحقير من قوله : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾(٤) ؛ من قوله بعده : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾(٤) .

قاعدة

[فيما إذا ذكر الاسم مرتين]

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال ؛ لأنه إما أن يكونا معرفتين ، أو نكرتين ؛ أو الثانى معرفة والأول نكرة ، أو عكسه .

***

(١) سورة النحل ٦٩
(٢) سورة الإسراء ١
(٣) سورة المرسلات ١٢ ، ١٣ ، ١٤
(٤) سورة عبس ١٨ ، ١٩

فالأول: أن يكونا معرفتين، والثاني فيه هو الأول غالبا، حملا له على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة، كـ «العسر» في قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(١)؛ ولذلك ورد: «لن يغلب عسر يسرين». قال التنوخي: إنما كان مع العسر واحدا؛ لأن للام طبيعة لا ثاني لها، بمعنى أن الجنس هو الكلي، والكلي لا يوصف بوحدة ولا تعدد.

وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . ٱلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

وقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾(٧).

وقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ ﴾(٨).

وهذه القاعدة ليست مطردة، وهي منقوضة بآيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ ﴾(٩)، فإنهما معرفتان وهما غيران؛ فإن الأول هو العمل، والثاني الثواب.

---

(١) سورة الإنشراح ٥، ٦
(٢) سورة الصافات ١٥٨
(٣) سورة الزمر ٢، ٣
(٤) سورة المؤمن ٩
(٥) سورة المؤمن ١٦، ١٧
(٦) سورة المؤمن ٥٧
(٧) سورة فصلت ٣٧
(٨) سورة الفاتحة ٦، ٧
(٩) سورة الرحمن ٦٠

* * *

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾(١) أى القاتلة والمقتولة .

وقوله : ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾(٦) .

فالمُلْك الذى يؤتيه الله للعبد لا يمكن أن يكون نفس مُلْكه ، فقد اختلفا وهما معرفتان، لكن يصدُق أنه إياه باعتبار الاشتراك فى الاسم، كما صرح بنحوه فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾(٦) ، فقد أعاد الضمير فى المنفصل المستغرق باعتبار أصل الفضل .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾(٨) .

فالأول عام والثانى خاص .

وقوله : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٩) .

---

(١) سورة المائدة ٤٥

(٢) سورة البقرة ١٧٨

(٣) سورة الإنسان ١ ، ٢

(٤) سورة المائدة ٤٨

(٥) سورة العنكبوت ٤٧

(٦) سورة آل عمران ٢٦ ، ٧٣

(٧) سورة النساء ١٣٩

(٨) سورة سبأ ٩

(٩) سورة غافر ٥٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾(٢) .

فالأول نصب على القسم والثانى نصب بـ « أقول » .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوءِ ﴾(٤) ؛ فالأولى معرّفة بالضمير والثانية عامة ، والأولى خاصة ، فالأول داخل فى الثانى .

وكذا قوله : ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾(٦) .

وقوله : ﴿ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ ٱلسَّمَاوَاتِ ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(٨) .

وقوله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ ﴾(٩) ، ثم قال : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(٩) ، فهما وإن اختلفا يكون الأول خاصًّا والثانى عاما متفقان بالجنس .

وكذلك : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾(١٠) ، ولذلك استبدل بها على أن الأصل إلغاء الظنّ مطلقاً .

---

(١) سورة غافر ٦١

(٢) سورة ص ٨٤

(٣) سورة الإسراء ١٠٥

(٤) سورة يوسف ٥٣

(٥) سورة ص ٢٦

(٦) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨

(٧) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧

(٨) سورة الفتح ٢٣

(٩) سورة البقرة ١٨٥

(١٠) سورة النجم ٢٨

وأما قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾[1] بعد قوله : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ﴾[1] فيحتمل أن تكون الأولى هى الثانية وألّا تكون .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[2] .

فإن كانت « إحداهما » الثانية مفعولا ، فالاسم الأول هو الثانى على قاعدة المعرفتين ، وإن كانت فاعلا فهما واحد باعتبار الجنس . وأكثر النحاة على أن الإعراب إذا لم يظهر فى واحد من الاسمين تعيّن كون الأول فاعلا ، خلافا لما قاله الزجاج فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[4] ، فالكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم ، ثم كرره بقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[5] . والكتاب الثانى التوراة ، والثالث جنس كتب الله تعالى ، أى ما هو من شىء فى[6] كتب الله تعالى وكلامه . قاله الراغب[7] .

* * *

الثانى أن يكونا نكرتين ، فالثانى غيرُ الأول ، وإلّا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهوداً سابقاً . قالوا : والمعنى فى هذا والذى قبله أن النكرة تستغرق الجنس ، والمعرفة تتناول البعض ؛ فيكون داخلا فى الكلّ ، سواء قدّم أو أخّر .

والمشهور فى تمثيل هذا القسم « اليسر » ، فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[8] .

---

(١) سورة القصص ٢٥ ، ٢٦
(٢) سورة البقرة ٢٨٢
(٣) سورة الأنبياء ١٥
(٤) سورة آل عمران ٧٨
(٥) سورة البقرة ٧٩
(٦) المفردات « من »
(٧) المفردات ٤٣٧
(٨) سورة الشرح ٥ ، ٦

وقد قيل إن تنكير « يسرا » للتعميم ، وتعريف « اليسر » للعهد الذى كانوا عليه ، يؤكده سبب النزول[١] أو الجنس الذى يعرفه كل أحد ، ليكون « اليسر » الثانى مغايراً للأول ، بخلاف العسر . والتحقيق أن الجملة الثانية هنا تأكيد للأولى لتقديرها فى النفس ، وتمكينها من القلب ، ولأنها تكرير صريح لها ، ولا تدل على تعدد اليسر ، كما لا يدل قولنا : وإن مع زيد كتاباً ، إن مع زيد كتاباً ، على أن معه كتابين ، فالأفصح أن هذا تأكيد .

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ...﴾[٢] الآية ، فإنّ كلا من المذكور غير الآخر ، فالضعف الأول النطفة أو التراب ، والثانى الضعف الموجود فى الطفل والجنين ، والثالث فى الشيخوخة . والقوة الأولى التى تجعل للطفل حركة وهداية لاستدعاء اللبن ، والدفع عن نفسه بالبكاء ، والثانية بعد البلوغ .

قال ابن الحاجب فى قوله تعالى : ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[٣] : الفائدة فى إعادة لفظ « شهر » الإعلام بمقدار زمن الغدوّ وزمن الرواح ، والألفاظ التى تأتى مبيّنة للمقادير لا يحسنُ فيها الإضمار .

واعلم أنه ينبغى أن يأتى فى هذا القِسْم الخلاف الأصولىّ ، فى نحو : « صلّ ركعتين ، صلّ ركعتين » هل يكون أمرين بمأمورين والثانى تأسيس ، أولا ؟ وفيه قولان .

وقد نقضوا هذا القسم بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ، فإنّ فيه نكرتين ؛ والثانى هو الأول . وأجاب الطِّيبى ، بأنه من باب التكرير وإناطة أمر زائد .

---

(١) ذكره القرطبى فى الجزء العشرين ص ١٠٨ : « إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم مقلا مخفا ، فعيره المشركون بفقره ، حتى قالوا له : نجمع لك مالا ، فاغتم وظن أنهم كذبوه لفقره ؛ فعزاه الله وعدد نعمه عليه ، ووعده الغنى بقوله : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ .

(٢) سورة الروم ٥٤

(٣) سورة سبأ ١٢

(٤) سورة الزخرف ٨٤

وهذه القاعدة فيما إذا لم يقصد التكرير ، وهذه الآية من قصد التكرير . ويدلّ عليه تكرير ذكر الربّ فيما قبله من قوله : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾(١) .

وأجاب غيره بأنّ « إله » بمعنى معبود، والاسم المشتق إنما يقصَد بهما تضمّنه من الصفة، فأنت إذا قلت : زيد ضارب عمرو ، ضارب بكر ، لا يُتخيَّل أن الثّانى هو الأول ، وإن أخبر بهما عن ذات واحدة ؛ فإن المذكور حقيقة إنما هو المضروبان لا الضاربان ،ولاشكّ أن الضميرين مختلفان .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ (٢)، الثانى هو الأول .

وأجيب بأنّ أحدهما محكىّ من كلام السائل ، والثانى من كلام النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وإنّما الكلامُ فى وقوعهما من متكلّم واحد .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾(٣) .

ومنها : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾(٤) .

ومنها : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً . . . ﴾(٥) .

* * *

الثالث : أن يكون الأول نكرة والثانى معرفة، فهو كالقسم الأول، يكون الثانى فيه هو الأول ، كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾(٦) .

(١) سورة الزخرف ٨٢
(٢) سورة البقرة ٢١٧
(٣) سورة البقرة ٩٠
(٤) سورة الملك ٨ ، ٩
(٥) سورة الأنعام ٣٧
(٦) سورة المزمل ١٥ ، ١٦

وقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ ٱللَّهِ ﴾(٢) . وهذا منتقض بقوله : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾(٤) ، فإنهم استدلوا بها على استحباب كلّ صلح ، فالأول داخل فى الثانى وليس بجنسه .

وكذلك : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾(٦) الفضل الأول العمل ، والثانى الثواب .

وكذلك : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾(٦) .

وكذلك : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾(٧) .

وكذلك : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾(٨) تعريفه إن المزيد غير المزيد عليه .

وكذلك : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾(٩) . وقوله : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَابُ ﴾(١٠) .

* * *

الرابع : عكسه فلا يطلق القول به ، بل يتوقف على القرائن ، فتارة تقوم قرينة على التغاير ،

---

(١) سورة النور ٣٥
(٢) سورة الشورى ٤١ ، ٥٢
(٣) سورة العنكبوت ١٧
(٤) سورة النساء ١٢٨
(٥) سورة يونس ٣٦
(٦) سورة هود ٣ ، ٥٢
(٧) سورة الفتح ٤
(٨) سورة النحل ٨٨
(٩) سورة إبراهيم ١
(١٠) سورة الأنعام ١٥٧

كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[١] .

وكذلك قوله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ﴾[٢] .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ . هُدًى﴾[٣]، قال الزمخشريّ : المراد بالهدى جميع ما آتاه من الدين والمعجزات والشرائع ، والهدى والإرشاد .

وتارة تقوم قرينة على الاتحاد؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٤] .

وقوله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا ﴾[٥] .

وأما قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[٦] .

وقوله أيضاً : ﴿ مِن مَعْرُوفٍ ﴾[٧]، فهو من إعادة النكرة معرفة، لأن ﴿من معروف﴾ وإن كان فى التلاوة متأخرا عن ﴿ بالمعروف ﴾ ، فهو فى الإنزال متقدم عليه .

* * *

قواعد تتعلق بالعطف

القاعدة الأولى

ينقسم باعتبار إلى عطف المفرد على مثله ، وعطف الجمل .

---

(١) سورة الروم ٥٥
(٢) سورة النساء ١٥٣
(٣) سورة غافر ٥٣ ، ٥٤
(٤) سورة الزمر ٢٧ ، ٢٨
(٥) سورة الأحقاف ٢٩، ٣٠
(٦) سورة البقـرة ١٧٨ ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ .
(٧) سورة البقرة ٢٤٠، والآية : ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ ﴾ .

فأمّا عطف المفرد ففائدته تحصيل مشاركة الثانى للأوّل فى الإعراب، ليُعلَمَ أنّه مثل الأول فى فاعليته أو مفعوليته؛ ليتّصل الكلام بعضُه ببعض، أو حكمٍ خاصّ دون غيره، كما فى قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(١)، فمن قرأ بالنصب عطفاً على «الوجوه» كانت «الأرجل» مغسوله، ومن قرأ بالجرّ عطفاً على «الرءوس» كانت ممسوحة، لكن خولف ذلك لعارض يرجّح. ولابدّ فى هذا من ملاحظة المشاكلة بين المتعاطفين، فتقول: جاءنى زيد وعمرو، لأنهما معرفتان، ولو قلت: جاء زيد ورجل، لم يستقم لكون المعطوف نكرة، نعم إنْ تخصّص فقلت: ورجل آخر، جاز.

ولذا قال صاحب «المستوفى» من النحويين: وأما عطف الجملة، فإن كانت الأولى لامحلّ لها من الإعراب فكما سبق، لأنّها تحل محلّ المفرد؛ نحو مررت برجلٍ خَلْقُهُ حسن، وخُلُقُهُ قبيح. وإنت كان لامحلّ لها، نحو زيد أخوك وعمرو صاحبك، ففائدة العطف الاشتراك فى مقتضى الحرف العاطف. فإن كان العطف بغير الواو ظهر له فائدة من التعقيب كالفاء، أو الترتيب كـ «ثم»، أو نفى الحكم عن الباقى كـ «لا».

وأما الواو فلا تفيد شيئاً هنا غير المشاركة فى الإعراب.

وقيل: بل تفيد أنهما كالنظيرين والشريكين؛ بحيث إذا عَلِم السامع حال الأول عَساه أن يعرف حال الثانى. ومن ثَمّةَ صار بعض الأصوليين إلى أن القِران فى اللفظ يوجب القِران فى الحكم. ومن هاهنا شرط البيانيون التناسبَ بين الجمل لتظهر الفائدة، حتى إنهم منعوا عطف الإنشاء على الخبر وعكسه.

ونقله الصَّفّار فى شرح سيبويه عن سيبويه؛ ألاترى إلى قوله: يقبح عندهم أن يُدخلوا الكلام الواجب فى موضع المنفيّ، فيصيروا قد ضمّوا إلى الأول ماليس بمعناه. انتهى.

ولهذا منع الناس من «الواو» فى «بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على محمد»، لأن الأولى

(١) سورة المائدة ٦

خبرية والثانية طلبية ، وجوّزه ابنُ الطَّراوة ؛ لأنهما يجتمعان فى التبرّك .

وخالفهم كثيرٌ من النحويين ، كابن خروف والصَّفّار وابن عمرو ، وقالوا : يُعطَف الأمر على الخبر ، والنهى على الأمر والخبر ، قال تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[1] ، فعطف خبراً على جملة شرط ، وجملة الشرط على الأمر .

وقال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[3] ، فعطف نهياً على خبر .

ومثله : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾[4] .

قالوا : وتعطف الجملة على الجملة ، ولا اشتراكَ بينهما ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[5] ، على قولنا بالوقف على « الله » وأنه سبحانه اختصّ به .

وقال : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[6] فإنّه عِلّة تامة بخبرها ، فلا يوجب العطف المشاركة فيما تمّ به الجملتان الأوليان ، وهو الشرط الذى تضمّنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا ﴾[6] ، كقولك: إن دخلتِ الدار فأنت طالق، وفلانة طالق ، لا يتعلّق طلاق الثانية بالشرط ، وعلى هذا يختصّ الاستثناء به ولا يرجع لما تقدمه، ويبقى المحدود فى القذف غير مقبول الشهادة بعد التوبة كما كان قبلها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾[7] ؛ فإنه

---

(١) سورة المائدة ٦٧
(٢) سورة يونس ٧٢
(٣) سورة يونس ١٠٥
(٤) سورة هود ٤٢
(٥) سورة آل عمران ٧
(٦) سورة النور ٤
(٧) سورة الشورى ٢٤

علّة تامة معطوفة على ماقبلها ، غير داخل تحت الشرط . ولو دخلت كان ختمُ القلب ومحوُ الباطل متعلقَيْن بالشرط ، والمتعلّق بالشرط معدوم قبل وجوده ، وقد عدم ختم القلب ووُجِد محو الباطل ، فعلمنا أنه خارج عن الشرط ، وإنما سقطت الواو فى الخطّ ، واللفظ ليس للجزم ، بل سقوطه من اللفظ لالتقاء الساكنين ، وفى الخطّ أتباعا للفظ ، كسقوطه فى قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَانُ ﴾(١) ، وقوله : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾(٢) ، ولهذا وقف عليه يعقوب بالواو نظرا للأصل ؛ وإن وَقَف عليه غيرُه بغير واو اتّباعا للخط .

والدليل على أنّها ابتداء إعادة الاسم فى قوله : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ﴾(٣) ولو كانت معطوفة على ماقبلها لقيل « ويمحُ الباطل » ، ومثله : ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٦) ، وغير ذلك .

قلت : وَكثيرٌ من هذا لايَرِدُ عليهم ؛ فإنّ كلامَهم فى الواو العاطفة ، وأما ﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ وما بعده فهى للاستئناف ؛ إذ لو كانت للعطف لانتصب « نقرّ » ، وجزم و « يتوب » . وكذلك فى ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ ﴾ للاستئناف ، ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ﴾ .

وقال البيانيون : للجملة ثلاثة أحوال :

فالأول : أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف ، والتأكيد من المؤكّد ، فلايدخلها عطف لشدة الامتزاج ؛ كقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(٧) .

---

(١) سورة الإسراء ١١
(٢) سورة العلق ١٧
(٣) سورة الشورى ٢٤
(٤) سورة الحج ٥
(٥) سورة التوبة ١٥
(٦) سورة الأعراف ٢٦
(٧) سورة البقرة ١ ، ٢

وقوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[١] مع قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

وكذلك : ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[٣] مع قوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ؛ فإن المخادعة ليست شيئاً غير قولهم : ﴿ آمَنَّا ﴾ من غير اتصافهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[٥]؛ وذلك لأن معنى قولهم: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أنا لم نؤمن، وقوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ خبر لهذا المعنى بعينه.

وقوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً ﴾[٦].

وقوله: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَراً إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[٧]؛ فإن كونه «ملكا» ينفي كونه « بشرا » ؛ فهي مؤكدة للأولى.

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾[٨].

وقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٩].

وقوله : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[١٠] ؛ فإنها مؤكدة لقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾.

وقوله : ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[١١] ؛ فإنها بيان للأمر بالصلاة.

---

(١) سورة البقرة ٧

(٢) من قوله تعالى فى الآية قبلها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

(٣) سورة البقرة ٩

(٤) من قوله تعالى فى الآية قبلها : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٥) سورة البقرة ١٤

(٦) سورة لقمان ٧

(٧) سورة يوسف ٣١

(٨) سورة يس ٦٩

(٩) سورة النجم ٣ ، ٤

(١٠) سورة الحج ١

(١١) سورة التوبة ١٠٣

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾(١) ؛ بعد قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٢) ؛ إذا جعلت ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ خبرا ؛ إذ الخبر لا يعطف على المبتدأ .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾(٣) ؛ بعد قوله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٣) .

والثانية : أنْ يغايرَ ما قبلها ، وليس بينهما نوع ارتباط بوجه ، فلا عطف أيضاً ؛ إذْ شرط العطف المشاكلة ؛ وهو مفقود ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾(٤) بعد قوله: ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

فإن قيل : إذا كان حكم هذه الحالة والتى قبلها واحدا أدّى إلى الإلباس ؛ فإنّه إذا لم يعطفْ التبس حالة المطابقة بحالة المغايرة؛ وهلّا عطفت الحالة الأولى بالحالة الثانية؟ فإنّ ترك العطف يُوهم المطابقة ، والعطف يُوهم عدمها ، فلِمَ اختير الأول دون الثانى ؛ مع أنه لم يخل عن إلباس ؟

قيل : العاطف يوهم الملابسة بوجه قريب أو بعيد ، بخلاف سقوط العاطف ؛ فإنّه وإنْ أوهم المطابقة ؛ إلا أن أمرَه واضح ؛ فبأدنى نظر يُعلم ، فزال الإلباس .

الحال الثالثة : أن يغاير ماقبلها ؛ لكن بينهما نوع ارتباط ، وهذه هى التى يتوسطها العاطف ؛ كقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة الدخان ٥٠ ، ٥١
(٢) سورة الكهف ٣٠
(٣) سورة الأنبياء ١٠٠ ، ١٠١
(٤) سورة البقرة ٥ ، ٦
(٥) سورة البقرة ٥
(٦) سورة الرعد ٥

فإن قلت : لم سقط العطف من ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾(١) ، ولم يسقط من ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ؟

قلت : لأن الغفلة شأن الأنعام ؛ فالجملة الثانية كأنها هى الجملة الأولى .

فإن قلت : لِمَ سقط فى قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(٢) ؟

قلت : لأن الثانية كالمسئول عنها ، فنُزِّل تقدير السؤال منزلة صريحه .

الحال الرابعة : أن يكون بتقدير الاستئناف ، كأنّ قائلا قال : لم كان كذا ؟ فقيل: كذا ؛ فهاهنا لا عطف أيضاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا : يَا أَبَانَا ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾(٤) ، التقدير: فما قالوا أو فعلوا ؟ فأجيب هذا التقدير بقوله : « قالوا » .

***

القاعدة الثانية

ينقسم ـ باعتبار عطف الاسم على مثله ، والفعل على الفعل ـ إلى أقسام :

الأول عطف الاسم على الاسم ، وشرط ابن عمرون وصاحبه ابنُ مالك فيه أن يصحّ أن يُسند أحدُهما إلى ما أُسند إلى الآخر ؛ ولهذا منع أن يكون:﴿وَزَوْجُكَ﴾ فى ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾(٥) ، معطوفا على المستكنّ فى « أنت » ، وجعله من عطف الجمل ؛ بمعنى أنه مرفوع بفعل محذوف ، أى ولتسكن زوجك .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾(٦) ؛ لأن من حقّ المعطوف حلوله محلّ المعطوف عليه ، ولا يصحّ حلول « زوجك » محلّ الضمير ، لأن فاعل

---

(١) سورة الأعراف ١٧٩
(٢) سورة البقرة ١٥
(٣) سورة يوسف ١٦ ، ١٧
(٤) سورة الشعراء ٤١
(٥) سورة البقرة ٣٥ ، الأعراف ١٩
(٦) سورة طه ٥٨

فعل الأمر الواحد المذكر ، نحو « قم » ، لا يكون إلّا ضميراً مستتراً ، فكيف يصحّ وقوع الظاهر موقع المضمر الذى قبله !

وردّ عليه الشيخ أثير الدين أبو حيان ، بأنه لا خلاف فى صحة « تقوم هند وزيد » ، ولا يصح مباشرةُ « زيد » لـ « تقوم » لتأنيثه .

الثانى : عطف الفعل على الفعل ؛ قال ابن عمرون وغيره : يشترط فيه اتفاق زمانهما؛ فإن خالف رُدّ إلى الاتفاق بالتأويل ، لا سيّما إذا كان لا يُلبِس ، وكانت مغايرة الصيغ اتساعا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾(١)، فعطف الماضى على المضارع ؛ لأنها من صلة « الذين » ، وهو يضارع الشرط لإبهامه ، والماضى فى الشّرط فى حكم المستقبل ، فقد تغايرت الصيغ فى هذا كما ترى ، واللبس مأمون ؛ ولا نظر فى الُجمل إلى اتفاق المعانى ؛ لأنّ كلّ جملة مستقلة بنفسها . انتهى .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ ﴾(٢) ، ثم قال : ﴿ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾(٣) .

وقال صاحب « المستوفى » : لا يتمشّى عطفُ الفِعْل على الفعل إلا فى المضارع ؛ منصوبا كان ، كقوله تعالى : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً ﴾(٤) ، أو مجزوما كقوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾(٥) .

فإن قيل : كيف حكمتُمْ بأنَ العاطف مختّص بالمضارع ، وهم يقولون : قام زيد وقعد

---

(١) سورة الأعراف ١٧٠
(٢) سورة الفرقان ١٠
(٣) سورة الكهف ٤٧
(٤) سورة المدثر ٣١
(٥) سورة نوح ٤

بكر ؛ وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾[1] فيه عطف الماضى على الماضى ، وعطف الدعاء على الدعاء !

فالجوابُ ، أن المراد بالعطف هنا أن تكون لفظتان ، تتبع الثانية منهما الأولى فى إعرابها ، وإذا كانت اللفظة غير معربة ، فكيف يصح فيها التبعية ؟ فصحّ أن هذه الألفاظ لا يصح أن يقال : إنها معطوفة على ماقبلها العطف الذى نقصده الآن . وإنْ صحّ أنْ يقال معطوفة العطف الذى ليس للإتباع ، بل يكون عطف الجملة على الجملة من حيث هما جملتان ؛ والجملة من حيث هى لا مدخل لها فى الإعراب ؛ إلا أن تحلّ محل الفرد ؛ وظهر أنّه يصحّ وقوع العطف عليه وعدمه باعتبارين .

***

الثالث : عطف الفعل على الاسم ، والاسم على الفعل ، وقد اختلف فيه ؛ فمنهم مَنْ منعه ؛ والصحيح الجواز إذا كان مقدّرا بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ ﴾[3] .

واحتجّ الزمخشرى بهـذا على أن اسم الفاعل حمله ، على معنى المصّدقين الذين تصدقوا .

قال ابن عمرون : ويدلّ لعطف الاسمية على الفعلية قولُه تعالى : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ

---

(١) سورة الكهف ١٠ (٢) سورة الملك ١٩.

(٣) سورة الحديد ١٨

مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] فعطف ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] وهى جملة اسمية على ﴿ فَاخْتَلَفَ ﴾ ، وهى فعلية ، بالفاء .

وقال تعالى : ﴿ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾[3].

قال : وإذن جاز عطف الاسمية على الفعلية بـ « أم » فى قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾[4] إذاً لوضع للمعادلة .

وقيل : إنه أوقع الاسمية موقع الفعلية ، نظرا إلى المعنى : « أصمتم » فما المانع هنا ؟

وجعل ابن مالك قوله تعالى : ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾[5] عطفا على ﴿ يُخْرِجُ ﴾ ، لأن الاسم فى تأويل الفعل .

والتحقق ما قاله الزمخشرى أنه عطف على : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾[5] ، ولا يصحّ أن يكون عطفا على ﴿ يُخْرِجُ ﴾ ، لأنّه ليس تفسيرا لقوله : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ ﴾ ، فيعطف على تفسيره ، بل هو قسيم له .

القاعدة الثالثة

ينقسم باعتبار المعطوف إلى أقسام : عطف على اللفظ ، وعطف على الموضع ، وعطف على التوهم .

فالأوّل أن يكون باعتبار عمل موجود فى المعطوف عليه ؛ فهو العطف على اللفظ ، نحو : ليس زيد بقائم ولا ذاهب ، وهو الأصل .

---

(١) سورة مريم ٣٧
(٢) سورة التوبة ٨٧
(٣) سورة الحاقة ١٨ ، ١٩
(٤) سورة الأعراف ١٩٣
(٥) سورة الأنعام ٩٥

والثانى : أن يكونَ باعتبار عملٍ لم يوجد فى المعطوف؛ إلا أنه مقدّر الوجود لوجود طالبه؛ فهو العطف على الموضع، نحو، ليس زيد بقائم ولا ذاهبا؛ بنصب « ذاهبا » عطفا على موضع « قائم » لأنه خبر ليس .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1] ؛ بأن يكون « يوم القيامة » معطوفا على محلّ « هذه » . ذكره الفارسىّ .

وقوله : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2] ؛ فى قراءة الجزم أنه بالعطف على محل ﴿ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ .

وجعل الزمخشرى وأبو البقاء منه قوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ ﴾[3] ، إن « بُشْرَى » فى محل نصب بالعطف على محل لينذر لأنه مفعول له[4] .

وغلطا فى ذلك ؛ لأن شرطه فى ذلك أن يكون الموضع بحقّ الأصالة والمحل ليس هنا كذلك؛ لأن الأصل هو الجر فى المفعول له ؛ وإنما النصب ناشئ عن إسقاط الخافض .

وجوز الزمخشرى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ ﴾[5] ، كون « الشمس » معطوفاً على محل « الليل » .

والثالث : أن يكونَ باعتبار عَمَلٍ لم يوجد هو ولا طالبه، هوالعطف على التوهم، نحو ليس زيد قائماً ولا ذاهبٍ ، بجرّ « ذاهب » ، وهو معطوف على خبر « ليس » المنصوب باعتبار جَرّه بالباء، ولو دخلت عليه فالجر على مفقود، وعامله وهو الباء مفقود أيضا؛ إلا أنه متوهَّم الوجود لكثرة دخوله فى خبر ليس؛ فلما تُوُهِّم وجودُه صَحّ اعتبار مثله؛ وهذا قليل من كلامهم .

وقيل : إنه لم يجئ إلّا فى الشعر ؛ ولكن جَوّزه الخليل وسيبويه فى القرآن، وعليه

(١) سورة هود ٦٠ (٢) سورة الأعراف ١٨٦

(٣) سورة الأحقاف ١٢ (٤) الكشاف ٤ : ٣٣٨ ، وإعراب القرآن للعكبرى ٢ : ١٢٤

(٥) سورة الأنعام ٩٦

خرّجا قولَه تعــالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[١] ؛ كأنه قيل : « أصدق وأكُنْ » .

وقيل : هو من العطف على الموضع ؛ أى محل « أصَّدَّق » .

والتحقيق قول سيبويه : هو على توهّم أن الفاء لم ينطق بها .

واعلم أن بعضهم قد شنّع القول بهذا فى القرآن على النحويين ، وقال : كيف يجوزُ التوهّمُ فى القرآن !

وهذا جهل منه بمرادِهم؛ فإنه ليس المراد بالتّوهم الغلَط؛ بل تنزيل الموجود منه منزلةَ المعدوم ؛ كالفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ ليبنىَ على ذَلِكَ مايقصد من الإعراب .

وجعل منه الزمخشرىّ قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[٢] ، فيمن فتح الباء ، كأنه قيل : « ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » على طريقة :

. . . لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ولا ناعبٍ[٣] .

وقد[٤] يجىء اسم آخر، وهو العطف على المعنى ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ ﴾[٥] ؛ ثم قال : ﴿ أَوْ كَالَّذِى ﴾[٦] ، عطف المجرور بالـكاف على المجرور بـ « إلى » ، حملًا على المعنى ؛ لأن قوله : « إِلَى الَّذِى » فى معنى : « أرأيت كالذى » .

وقال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾[٧] ؛ إنه عطف على معنى

---

(١) سورة المنافقين ١٠ (٢) سورة هود ٧١ (٣) البيت بتمامه :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

وانظر شواهد الكشاف ١ : ٢٩٢ (٤) الكشاف ٢ : ٣٢١

(٥) سورة البقرة ٢٥٨ (٦) سورة البقرة ٢٥٩ : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (٧) سورة الصافات ٧

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا ﴾[١] ؛ وهو أنا خلقنا الكواكب فى السماء الدنيا زينة للسماء الدنيا .

وفى قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّى أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ ٱلسَّمَٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ ﴾[٢] ، على قراءة النصب : إنه عطف معنى ﴿ لَعَلِّى أَبْلُغُ ﴾ ، وهو « لعلى أن أبلغ » ؛ فإن خبر « لعلّ » يقترن بـ « أن » كثيرا .

* * *

القاعدة الرابعة

الأصل فى العطف التغاير ؛ وقد يعطف الشىء على نفسه فى مقام التأكيد ، وقد سبق إفراده بنوع فى فصول التأكيد .

* * *

القاعدة الخامسة

يجوز فى الحكاية عن المخاطبين إذا طالت : قال زيد ، قال عمرو ، من غير أن تأتىَ بالواو وبالفاء ؛ وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ . . . . ﴾[٣] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤] ، ونظائرها .

وإنّما حَسُن ذلكَ للاستغناء عَن حرف العطف ؛ من حيث إنّ المتقدّم من القولين

---

(١) سورة الصافات ٦
(٢) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧
(٣) سورة البقرة ٢٥٨
(٤) سورة الشعراء ٢٣ ، ٢٤

يستدعي التأخر منهما ؛ فلهذا كان الكلام مبنيا على الانفصال ، وكان كلّ واحدٍ من هذه الأقوال مستأنفا ظاهراً ؛ وإن كان الذهن يلائم بينهما .

***

القاعدة السادسة

العطف على المضمر ؛ إن كان منفصلا مرفوعا ؛ فلا يجوز من غير فاصل تأكيد أو غيره ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾(١) .

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾(٢) .

﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾(٣) عند الجمهور ؛ خلافا لابن مالك فى جعله من عطف الجمل ، بتقدير : « ولتسكنْ زوجُك » .

وقوله : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾(٤) .

﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ ﴾(٥) .

﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾(٦) .

وجعل الزمخشرىّ منه : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَآبَاؤُنَا ﴾(٧) فيمن قرأ بفتح الواو ؛ وجعل الفصل بالهمزة .

ورُدّ بأن الاستفهام لا يدخل على المفردات .

وجعل الفارسىّ منه ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾(٨) ، وأعرب ابن الدهان ﴿ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ مبتدأ خبره ﴿ أشركوا ﴾ مقدراً .

---

(١) سورة الأعراف ٢٧

(٢) سورة المائدة ٢٤

(٣) سورة البقرة ٣٥ ، سورة الأعراف ١٩

(٤) سورة الأنعام ٩١

(٥) سورة الرعد ٢٣

(٦) سورة آل عمران ٢٠

(٧) سورة الصافات ١٦ ، ١٧

(٨) سورة الأنعام ١٤٨

وأجاز الكوفيون العطف من غير فاصل ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ ﴾(١) .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَوَى . وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٢)، فقال الفارسىّ : ﴿وَهُوَ﴾ مبتدأ ، وليس معطوفا على ضمير ﴿فَٱسْتَوَى﴾ ، وإن كان مجروراً فلا يجوز من غير تكرار الجار فيه؛ نحو مررت به وبزيد، كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾(٣) ، ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ﴾(٤) ، ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٥) .

وأما قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾(٦)، فإنْ جعلنا ﴿ وَمِنْ نُوحٍ﴾ معطوفا على﴿مِنْكَ﴾، فالإعادة لازمة ، وإن جُعل معطوفا على ﴿النَّبِيِّينَ﴾ فجائزة .

وقال الكوفيون : لاتلزم الإعادة ، محتجّين بآيات :

الأولى : قراءة حمزة : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾(٧) ، بالجرّ عطفا على الضمير فى ﴿ به ﴾ .

فإن قيل : ليس الخفض على العطف ؛ وإنما هو على القَسَم ، وجوابه:﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٧) .

قلنا : ردّه الزجّاج بالنهى عن الحلف بغير الله وهو عجيب ؛ فإن ذلك على المخلوقين.

الثانية : قوله تعالى : ﴿فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾(٨)،﴿وَمَنْ لَسْتُمْ﴾ أوّلها المانعون كابْنِ الدّهّان بتقدير : « ويرزق مَنْ لستم » ، والزجاج بتقدير: «أعنى مَنْ لستم» . قال أبو البقاء :(٩)لأن المعنى : «أغناكم وأغنى من لستم»، وقدّم أنها نصب

(١) سورة المائدة ٦٩
(٢) سورة النجم ٦ ، ٧
(٣) سورة المؤمنون ٢٢
(٤) سورة فصلت ١٢
(٥) سورة الإسراء ٤٥
(٦) سورة الأحزاب ٧
(٧) سورة النساء ١
(٨) سورة الحجر ٢٠
(٩) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٤٠

به ﴿جَعَلْنَا﴾ ، قال : والمراد بـ « من »(١) العبيد والإماء والبهائم فإنها مخلوقة لمنافعها .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٢) وليس من هـذا الباب ، لأن ﴿الْمَسْجِدِ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في قوله : ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٣) .

ويدلّ لذلك أنّهُ صرّح بنسبة الصدّ إلى المسجد في قوله : ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٣) .

وهذا الوجه حَسَن ، لولا مايلزم منه الفصل بين ﴿صَدّ﴾ و ﴿الْمَسْجِدِ﴾ بقوله : ﴿وَكُفْرٌ﴾ ، وهو أجنبيّ .

ولا يحسن أن يقال : إنّه معطوف على ﴿الشهر﴾(٤) ، لأنهم لم يسألوا عنه ، ولا على ﴿سَبيل﴾ ؛ لأنه إذ ذاك من تتمّة المصدر ، ولا يعطف على المصدر قبل تمامه .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾(٥) ، قالوا : الواو عاطفة لـ « مَنْ » على الكاف المجرورة ، والتقدير : حسبك من اتبعك .

ورُدّ بأن الواو للمصاحبة ، « ومَنْ » في محلّ نصب عطفا على الموضع ؛ كقوله :

* فَحَسْبُكَ والضحّاكَ سيفٌ مُهَنَّدُ(٦) *

الخامسة : قوله تعالى : ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٧) ؛ كما تقول : كذكر قُرَيْش آباءهم ، أو قوم أشد منهم ذكرا .

لكن هذا عطف على الضمير المخفوض ؛ وذلك لا يجوز على قراءة حمزة .

---

(١) الأصول : « من » وصوابه من العكبري (٢) سورة البقرة ٢١٧
(٣) سورة المائدة ٢ (٤) من قوله تعالى في أول الآية السابقة : ﴿يسألونكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه﴾ .
(٥) سورة الأنفال ٦٤ (٦) صدره :
* إذا كانتِ الهيجاء واشتقتْ العصا *
وانظر شواهد الكشاف ٢ : ١٨٣ . (٧) سورة البقرة ٢٠٠

وقد خالفه الجمهور وجعلوه مجروراً عطفا على ﴿ ذِكْرِكُمْ ﴾ المجرور بكاف التشبيه ، تقديره : «أو كذكركم أشدّ» فجعل للذكر ذكرا مجازا؛ وهو قول الزجاج؛ وتابعه ابن عطية وأبو البقاء[1] وغيرهما .

ومما اختلف فيه العطف على عاملين، نحو ليس زيد بقائم ولا قاعد عمرو؛ على أن يكون «ولا قاعد» معطوفا على «قائم» ، و«عمرو» على «زيد» . منعه الجمهور وأجازه الأخفش، محتجا بقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[2] ، ثم قال : ﴿ آيَاتٍ ﴾[3] بالنصب عطفا على قوله: ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ المنصوب بـ «إنّ» فى أول الكلام، و﴿ٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ مجرور بالعطف على ﴿ ٱلسَّمَٰوَاتِ ﴾[4] ، المجرور بحرف الجرّ الذى هو « فى » ، فقد وجد العطف على عاملين . وأجيب بجعل ﴿ آيَاتٍ ﴾ تأكيد لـ « آيات » الأولى .

***

قواعد فى العدد

القاعدة الأولى

فى اسم الفاعل المشتق من العدد ، له استعمالان :

أحدهما : أن يُرادَ به واحد من ذلك العدد ؛ فهذا يضاف للعدد الموافق له، نحو رابع أربعة ؛ وخامس خمسة ، وليس فيه إلّا الإضافة خلافاً لثعلب ؛ فإنه أجاز . ثالثٌ ثلاثة بالتنوين ، قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾[5] وهذا القِسْم لا يجوز إطلاقه فى حق الله تعالى،

(١) إملاء ما من به الرحمن ١ : . . .

(٢) سورة الجاثية ٥ ، والآية بتمامها: ﴿ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

(٣) آيات ، بالنصب ، هى قراءة حمزة والكسائى ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر ٣٨٩

(٤) فى الآية قبلها ٣ ، وهى : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٥) سورة التوبة ٤٠

ولهذا قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾(١) .

الثانى : أن يكون بمعنى التصيير ، وهذا يضاف إلى العدد المخالف له فى اللفظ؛ بشرط أن يكون أنقصَ منه بواحد؛ كقولك: ثالث اثنين، ورابع ثلاثة، وخامس أربعة، كقوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾(٢)، أى يصيّرهم بعلمه وإحاطته أربعة وخمسة .

فإن قيل : كيف بدأ بالثلاث، وهلّا جاء: « ما يكون من نجوى واحد إلاهو ثانيه، ولا اثنين إلا هو ثالثهم » ؟ قيل : لأنه سبحانه لمّا علم أن بعض عباده كفّر بهذا اللفظ ، وادّعى أنه ثالث ثلاثة ، فلو قال : ما يكون من نجوى واحد إلّا هو ثانيه، لثارت ضلالةُ مَنْ كفر بالله وجعله ثانيا، وقال: وهذا قول الله هكذا. ولو قال: ولااثنين إلاهو ثالثهم، لتمسّك به الكفّار ، فعدل سبحانه عن هذا لأجل ذلك ، ثم قال : ﴿ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ ﴾ ، فذكر هذين المعنيين بالتلويح لا بالتصريح ، فدخل تحته ما لا يتناهى ، وهذا من بعض إعجاز القرآن .

القاعدة الثانية

حقّ ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يكون اسمَ جنس أو اسم جمع ، وحينئذ فيجُرّ بـ « من » نحو ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ ﴾(٣) .

ويجوز إضافته ، نحو : ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾(٤) .

وإن كان غيرهما من الجموع ، أضيف إليه الجمع على مثال جمع القلّة من التكسير ، وعلّته أن المضاف موضوع للقلة ، فتلزم إضافتُه إلى جمع قلة ، طلبا لمناسبة المضافِ إليه

---

(١) سورة المائدة ٧٣
(٢) سورة المجادلة ٧
(٣) سورة البقرة ٢٦٠
(٤) سورة النمل ٤٨

المضافَ فى القلّة ؛ لأنّ المفسِّر على حسب المفسَّر ، فتقول : ثلاثة أفلُس وأربعة أعبد ، قال تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[1] .

وقد استشكل على هذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[2] ، فإن « قروء » جمع كثرة ، وقد أضيف إلى الثلاثة ، ولو جاء على القاعدة لقال « أقراء » .

والجواب من أوجه :

أحدها : أنه أوثر جمع الكثرة هنا ؛ لأنّ بناء القلة شاذّ ، فإنه جمع « قَرْء » بفتح القاف ، وجمع « فَعْل » على « أفعال » شاذّ ، فجمعوه على « فُعول » إيثاراً للفصيح ، فأشبه ما ليس له إلا جمع كثرة ؛ فإنه يُضاف إليه ، كثلاثة دراهم . ذكره ابن مالك .

والثانى : أنّ القلة بالنسبة إلى كل واحد من المطلّقات ؛ وإنما أضاف جمع الكثرة نظراً إلى كثرة المتربّصات ؛ لأنّ كل واحدة تتربص ثلاثة . حكاه فى « البسيط »[3] عن أهل المعانى .

الثالث : أنه على حذف مضاف ، أى ثلاثة أقراء قروء .

الرابع : أن الإضافة نعت فى تقدير الانفصال ؛ لأنه بمعنى « من » التى للتبعيض ، أى ثلاثة أقراء من قروء .

كما أجاز المبرّد « ثلاثة حمير » و« ثلاثة كلاب » ؛ على إرادة « من » أى من حمير ومن كلاب .

القاعدة الثالثة

ألفاظ العدد نصوص ، ولهذا لا يدخلها تأكيد ؛ لأنّه لدفع المجاز ، فى إطلاق الكلّ

---

(١) سورة لقمان ٢٧ (٢) سورة البقرة ٢٢٨

(٣) كتاب البسيط فى النحو ،لمؤلفه ركن الدين حسن بن محمد الأستراباذى شرح به كافية ابن الحاجب.

وإرادة البعض ؛ وهو منتف فى العدد . وقد أورد على ذلك آيات شريفة .

الأولى : قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾(١)، والجواب أن التأكيدهنا ليس لدفع نقصان أصل العدد ، بل لدفع نقصان الصّفة ، لأن الغالب فى البَدَل أن يكون دون للبدل منه ؛ معناه(٢) أن الفاقد للهدْى لاينقص من أجره شىء(٣) .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾(٤) ولو كانت ألفاظ العدد نصوصا لما دخلها الاستثناء ؛ إنما يكون عاما . والجواب أن التجوّز قد يدخل فى الألف ، فإنها تذكر فى سياق المبالغة ، للتكثير ، والاستثناء رَفَع ذلك .

الثالثة: قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾(٥)، وقد سبق فى باب التأكيد الجواب عنه .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾(٦) . وقوله ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾(٧) ، قالوا : المراد بها الكثرة ، وخصوص السبعين ليس مرادا ؛ وهذا مجاز .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾(٨)، قيل المراد: المراجعة من غير حَصْر ، وجِىء بلفظ التثنية ، تنبيها على أصل الكثرة ، وهو مجاز.

***

---

(١) سورة البقرة ١٩٦ (٢) م : « فأفاد »

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى الآية السابقة : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ . (٤) سورة العنكبوت ١٤

(٥) سورة النحل ٥١ (٦) سورة التوبة ٨٠

(٧) سورة الحاقة ٣٢ (٨) سورة الملك ٤

[أحكام لألفاظ يكثر دورانها فى القرآن]

[لفظ « فعل »]

(١) من ذلك لفظ «فعل» كثيرا مايجىء كناية عن أفعال متعددة؛ وفائدته الاختصار؛ كقوله تعالى : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(٢) .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾(٤) ، أى فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله .

وحيث أطلقتْ فى كلام الله ، فهى محمولة على الوعيد الشديد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾(٥) .

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾(٦) .

* * *

[لفظ « كان »]

ومن ذلك الإخبار عن ذات الله أو صفاته بـ « كان » .

وقد اختلف النحاة وغيرهم فى أنها تدلّ على الانقطاع ، على مذاهب :

أحدها : أنها تفيد الانقطاع ؛ لأنها فعل يُشعر بالتجدّد .

---

(١) وجد سقط فى الأصل قبل هذا الكلام .

(٢) سورة المائدة ٧٩ (٣) سورة النساء ٦٦

(٤) سورة البقرة ٢٤ (٥) سورة الفيل ١

(٦) سورة إبراهيم ٤٥

والثانى : لاتفيده ؛ بل تقتضى الدوام والاستمرار ، وبه جزم ابن معطٍ(١) فى ألفيته ؛ حيث قال :

* وكان للماضى الذى ماانقطعا *

وقال الراغب فى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾(٢) : نبّه بقوله : « كان » على أنه لم يزل منذ أوجد منطويا على الكفر .

والثالث : أنّه عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماضٍ على سبيل الإبهام ؛ وليس فيه دليل على عدم سابق ، ولا على انقطاع طارئٍ ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾(٣) ، قاله الزمخشرى(٤) فى قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٥) .

وذكر ابن عطية فى سورة الفتح أنها حيث وقعت فى صفات الله فهى مسلوبة الدلالة على الزّمان .

والصّواب من هذه المقالات مقالة الزمخشرى ، وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التى تليها بالزمن الماضى لاغير ، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه ؛ بل إن أفاد الكلام شيئا من ذلك كان لدليل آخر .

إذا علمتَ هذا فقد وقع فى القرآن إخبار الله تعالى عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ « كان » كثيراً ، نحو : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾(٦) . ﴿وَاسِعاً حَكِيماً﴾(٧) .

---

(١) هو الشيخ زين الدين يحيى بن عبد المعطى المتوفى سنة ٦٢٨ ؛ سماها الدرة الألفية ، أولها :

يَقُولُ رَاجِى رَبِّهِ ٱلْغَفُورِ   يَحْيَى بْنُ مُعْطِ بْنُ عَبْدِ ٱلنُّورِ

وإليها أشار ابن مالك بقوله فائقة ألفية ابن معطى .

(٢) سورة الإسراء ٢٧

(٣) سورة الأحزاب ٥٠

(٤) الكشاف ١ : ٣٠٧

(٥) سورة آل عمران ١١٠

(٦) سورة النساء ١٤٨

(٧) سورة النساء ١٣٠

﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(١) . ﴿ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾(٢) . ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾(٣) .
﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾(٤) .

فحيث وقع الإخبار « بكان » عن صفة ذاتيـة ؛ فالمراد الإخبار عن وجودها ، وأنها لم تفارق ذاته ؛ ولهذا يقررها بعضهم بما زال ؛ فرارا مما يسبق إلى الوهم ، إن كان يفيد انقطاع المخبَر به عن الوجود لقولهم : دخل فى خبر كان . قالوا : فكان وما زال مجازان ، يستعمل أحدهما فى معنى الآخر مجازا بالقرينة . وهو تكلّف لا حاجة إليه ، وإنما معناها ما ذكرناه من أزلية الصفة ، ثم تستفيد بقاءها فى الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية ، وباستصحاب الحال .

وعلى هذا التقدير سؤالان :

أحدهما : إن البارئ سبحانه وصفاته موجودة قبل الزمان والمكان ، فكيف تدلّ « كان » الزمانيّة على أزلية صفاته ؛ وهى موجودة قبل الزمان ؟

وثانيهما : مدلول « كان » اقتران مضمون الجملة بالزمان اقترانا مطلقا ، فما الدليل على استغراقه الزمان ؟

والجواب عن الأوّل أن الزمان نوعان :

حقيقىّ وهو مرور الليل والنهار ، أو مقدار حركة الفَلَك على ما قيل فيه .

وتقديرىّ وهو ما قبل ذلك وما بعده ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(٥) ، ولا بكرة هناك ولا عشيا ؛ وإنما هو زمان تقديرى فرضىّ .

وكذلك قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(٦) ،

---

(١) سورة الأحزاب ٥٩
(٢) سورة النساء ٦٤
(٣) سورة الأنبياء ٨١
(٤) سورة الأنبياء ٧٨
(٥) سورة مريم ٦٢
(٦) سورة الفرقان ٥٩

مع أن الأيام الحقيقية لا توجد إلا بوجود السموات والأرض والشمس والقمر؛ وإنما الإشارة إلى أيام تقديرية .

وعن الثانى أنّ « كان » لمّا دلّتْ على اقتران مضمون الجملة بالزمان ، لم يكن بعض أفراد الأزمنة أولى بذلك من بعض ، فإمّا ألّا يتعلق مضمونها بزمان فيعطّل ، أو يعلّق بعضها دون بعض ، وهو ترجيح بلا مرجح ؛ أو يتعلّق بكلّ زمان ، وهو المطلوب .

وحيث وقع الإخبار بها عن صفة فعلية، فالمراد تارة الإخبار عن قدرته عليها فى الأزل ، نحو كان الله خالقاً ورازقاً ومحييا ومميتا ، وتارة تحقيق نسبتها إليه ، نحو: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾(١) . وتارة ابتداء الفعل وإنشاؤه ؛ نحو : ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ﴾(٢) ؛ فإن الإرث إنما يكون بعد موت المورّث ، والله سبحانه مالك كل شىء على الحقيقة ، من قبل ومن بعد .

وحيث أخبر بها عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة فى نفسه ، نحو : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ . ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣) .

ويدل عليه قوله :﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾(٤) ، أى خُلِق على هذه الصفة ، وهى مقدّرة أو بالقوة ، ثم تخرج إلى الفعل .

وحيث أخبر بها عن أفعالهم دلّت على اقتران مضمون الجملة بالزمان ، نحو : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ﴾(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٩
(٢) سورة القصص ٥٨
(٣) سورة الأحزاب ٧٢
(٤) سورة المعارج ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
(٥) سورة الأنبياء ٩٠

ومن هذا الباب الحكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ « كان يصوم » و« كنا نفعل » . وهو عند أكثر الفقهاء والأصوليين يفيد الدّوام؛ فإن عارضه مايقتضى عدم الدوام مثل أن يروى: « كان يمسح مرة » ثم نقل « أنه يمسّح ثلاثا »، فهذا من باب تخصيص العموم ، وإن روى النفى والإثبات تعارضا .

وقال الصّفّار فى شرح سيبويه : إذا استعملت للدلالة على الماضى فهل تقتضى الدوام والاتصال أولا ؟ مسألة خلاف؛ وذلك أنك إذا قلت: كان زيد قائما، فهل هو الآن قائم؟ الصحيح أنه ليس كذلك ، هذا هو المفهوم ضرورة؛ وإنما حملهم على جعلها للدوام ماورد من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾[2] وهذا عندنا يتخرج على أنه جواب لمن سأل : هل كان الله غفورا رحيما ؟ وأما الآية الثانية ، فالمعنى أى قد كان عندكم فاحشة وكنتم تعتقدون فيه ذلك ، فتركه يسْهل عليكم .

قال ابن الشجرى « فى أماليه » : اختلف فى « كان » فى نحو قوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[3] ، على قولين :

أحدهما : أنها بمعنى « لم يزل » كأنّ القوم شاهدوا عزّا وحكمة ومغفرة ورحمة ، فقيل لهم : لم يزل الله كذلك ، قال : وهذا قول سيبويه .

والثانى : أنها تدلّ على وقوع الفعل فيما مضى من الزمان ؛ فإذا كان فعلا متطاولا لم يدلّ دلالة قاطعة على أنه زال وانقطع ، كقولك : كان فلان صديقى ، لا يدلّ هذا على أن صداقته قد زالت ؛ بل يجوز بقاؤها ، ويجوز زوالها .

---

(١) سورة الأحزاب ٧٣ (٢) سورة الإسراء ٣٢

(٣) سورة النساء ١٦٥

فمن الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾[١] ، لأن عداوتهم باقية .

ومن الثانى : قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَادُمْتُ فِيهِمْ ﴾[٢] .

وقال بعضهم: يدلّ على أن خبرها كان موجودا فى الزمن الماضى، وأما فى الزمن الحاضر فقد يكون باقيا مستمرا ، وقد يكون منقطعا ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[٣] وكذا سائر صفاته ؛ لأنّها باقية مستمرة .

قال السِّيرافىّ: قد يرجع الانقطاع بالنسبة للمغفور لهم والمرحومين؛ بمعنى أنهم انقرضوا فلم يبق من يغفر له ، ولا من يرحم فتنقطع المغفرة والرحمة .

وكذا : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٤] ، ومعناه الانقطاع فيما وقع عليه العلم والحِكْمة، لا نفس العلم والحكمة .

وفيه نظر .

وقال ابن برّىّ ما معناه: إنّ « كان » تدل على تقديم الوصف وقِدَمه، وما ثبت قدمه استحال عدمه ؛ وهو كلام حسن .

وقال منصور بن فلاح اليمنى فى كتاب « الكافى » : قد تدلّ على الدوام بحسب القرائن ، كقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[٥] . ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[٦] . ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[٧] ، دلّت على الدوام المتصف بتلك الصفات ودوام التعبد بالصفات . وقد تدل على الانقطاع ، نحو : كان هذا الفقير غنيًّا ، وكان لى مال

---

(١) سورة النساء ١٠١
(٢) سورة المائدة ١١٧
(٣) سورة الأحزاب ٧٣
(٤) سورة النساء ١٧٠
(٥) سورة الأحزاب ٧٣
(٦) سورة النساء ١٣٤
(٧) سورة النساء ١٠٣

وقال أبو بكر الرازى : كان فى القرآن على خمسة أوجه :

بمعنى الأزل والأبد ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١) .

وبمعنى المضىّ المنقطع ، كقوله : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾(٢) ؛ وهو الأصل فى معانى « كان » ، كما تقول : كان زيد صالحا أو فقيرا أو مريضاً أو نحوه .

وبمعنى الحال ، كقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾(٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾(٤) .

وبمعنى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾(٥) .

وبمعنى « صار » ، كقوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(٦) .

مسألة

[فى حكم « كان » إذا وقعت بعد « إن »]

كان فعل ماض ، وإذا وقعت بعد « إن » كانت فى المعنى للاستقبال .

وقال المبرّد : تبقى على المضىّ لتجردها ، للدلالة على الزمان فلا يغيرها أداة الشرط ، قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾(٧) ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ﴾(٨) .

وهذا ضعيف لبنائه على أنها للزمان وحدَه ، والحقّ خلافه ؛ بل تدلّ على الحدث والزمان كغيرها من الأفعال .

وقد استعملت مع « إن » للاستقبال ، قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٩) .

وأما : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾(٧) ، فتأوّله ابن السراج على تقدير « إن أكن قلته » ، وكذا ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ﴾ « إن يكن قميصه » .

---

(١) سورة النساء ١٧٠
(٢) سورة النمل ٤٨
(٣) سورة آل عمران ١١٠
(٤) سورة النساء ١٠٣
(٥) سورة الدهر ٧
(٦) سورة البقرة ٣٤
(٧) سورة المائدة ١١٦
(٨) سورة يوسف ٢٦
(٩) سورة البقرة ٣١

مَسْأَلَة

[في نفى « كان » وأخواتها]

إذا نفيت « كان » وأخواتها ، فهي كغيرها من الأفعال . وزعم ابن الطَّراوة أنها إذا نُفيت كان اسمها مثبتاً والخبر منفيا ، قال : لأنّ النفى إنما يتسلَّطُ على الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾[1] ، فالقول مُثْبَت والحجّة هى المنفية ؛ وماذهب إليه غير لازم ، إذ قد قرئ ﴿ ما كان حجّتُهم ﴾ بالرفع على أنه اسم كان ، ولكن تأوّله على أن « كان » ملغاة ، أى زائدة ، تقديره : « ما حجتهم إلا » .

وهذا إن ساغ له هاهنا فلا يسوغ له تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ ،[2] فإنه قرئ بالرفع ولا يمكن أن تكون هنا ملغاة .

***

[لفظ « جعل »]

ومن ذلك « جعل » وهى أحد الأفعال المشتركة ؛ التى هى أمهات أحداث ؛ وهى : فعل ، وعمل ، وجعل ، وطفق ، وأنشأ ، وأقبل . وأعمّها « فعل » يقع على القول والهمّ وغيرها : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3] .

ودونه « عمل » لأنه يعم النية والهمّ والعزم والقول : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾[4] ، أى من صلاة وصدقة وجهاد .

وللجعل أحوال :

---

(١) سورة الجاثية ٢٥
(٢) سورة الأنعام ٢٣
(٣) سورة النحل ٥٠
(٤) سورة الفرقان ٢٥

أحدها : بمعنى «سمى»، كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾(١)، أى سموه كذبا، وقوله : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾(٢) على قول. ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾(٣).

الثانى : بمعنى المقاربة ، مثل كاد وطفق ، لكنها تفيد ملابسة الفعل والشروع فيه ، تقول : جعل يقول ، وجعل يفعل كذا ؛ إذا شرع فيه .

الثالث : بمعنى الخلق والاختراع ، فتتعدّى لواحد ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾(٤)، أى خلقهما .

فإن قيل : ما الفرق بين الجعل والخلق ؟

قيل: إن الخلق فيه معنى التقدير، وفى الجعل معنى التصيير(٥) كإنشاء شىء من شىء ، أو تصيير شىء شيئاً . أو نقله من مكان ، ويتعدى لمفعول واحد ؛ لأنه لا يتعلق إلا بواحد ، وهو المخلوق .

وأيضا ، فالخلق يكون عن عدم سابق ؛ حيث لا يتقدم مادة ولا سبب محسوس ، والجعل يتوقف على موجود مغاير للمجعول ، يكون منه المجعول أو عنه ، كالمادة والسبب. ولا يرد فى القرآن العظيم لفظ « جعل » فى الأكثر مرادا به الخلق ؛ إلا حيث يكون قبله مايكون عنه أو منه، أو شيئا فيه محسوسا عنه، يكوّن ذلك المخلوق الثانى، بخلاف «خلق» فإن العبارة تقع كثيرا به عمّا لم يتقدم وجودَه وجود مغاير ، يكون عنه هذا الثانى ، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾(٦) وإنما الظلمات والنور عن أجرام توجد بوجودها ، وتعدم بعدمها .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة الحجر ٩١
(٢) سورة الزخرف ١٩
(٣) سورة النجم ٧
(٤) سورة الأنعام ١
(٥) فى الكشاف : « التضمين » .
(٦) سورة الأنعام ١
(٧) سورة الرعد ٣

وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾(١) .

وقال سبحانه فى سورة الأعراف : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(٢) .

وفى سورة النساء : : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(٣) ؛ فهو يدلّ على أنهما قد يستعملان استعمال المترادفين .

الرابع: بمعنى النقل من حال إلى حال والتصيير ، فيتعدى إلى مفعولين ؛ إما حسًّا كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾(٤) ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾(٥) ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾(٦) ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾(٧) ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾(٨) .

وإمّا عقلا مثل ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾(٩) ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾(١٠) .

ونحو قوله : ﴿ اجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِنًا ﴾(١١) ، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاسًا﴾(١٢) ، لأنه يتعلق بشيئين : المنقول وهو الليل ؛ والمنقول إليه وهو اللباس .

وأبين منه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾(١٣) ، ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾(١٤) ، ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾(١٥) .

والمعاش فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾(١٥) اسم زمان ، لكون الثانى هو الأول ويجوز أن يكون مصدرا لمعنى المعيش .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾(١٦) ، ومعناه صيّرناه ، لأنّ مريم إنما صارت مع ولدها عليه السلام لمّا خُلق من جسدها لا من أب، فصارا عند ذلك آية للعالمين. ومحال أنه

---

(١) سورة الزخرف ١٢
(٢) سورة الأعراف ١٨٩
(٣) سورة النساء ١
(٤) سورة البقرة ٢٢
(٥) سورة نوح ١٩
(٦) سورة الأنبياء ٥٨
(٧) سورة القصص ٤١
(٨) سورة الإسراء ٦
(٩) سورة ص ٥
(١٠) سورة فاطر ١
(١١) سورة إبراهيم ٣٥
(١٢) سورة عم ١٠
(١٣) سورة الكهف ٨
(١٤) سورة هود ٨٢
(١٥) سورة عم ٩ ، ١١
(١٦) سورة المؤمنون ٥٠

يريد : «خلقناها» لأن مريم لم تخلق فى حين خلق ولدها؛ بل كانت موجودة قبله ، ومحال تعلّق القدرة بجعل الموجود موجودا فى حال بقائه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] ؛ فهو من هذا الباب على جهة الاتساع . أى صيرناه يُقرأ بلسان عربى ؛ لأن غير القرآن ماهو عبرى وسريانى ؛ ولأن معانى القرآن فى الكتب السالفة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾[2] .

وبهذا احتجّ مَن أجاز القراءة بالفارسية ، قال : لأنه ليس فى زُبُر الأولين من القرآن إلا المعنى ، والفارسية تؤدى المعنى . وإذا عُرِف هذا ، فكأنه نقل المعنى من لفظ القرآن فصيره عربيا .

وأخطأ الزمخشرى حيث جعله بالخلق ؛ وهو مردُود صناعةً ومعنى . أمّا الصِّناعة ، فلأنه يتعدّى لمفعولين ، ولو كان بمعنى الخلق لم يتعدّ إلا إلى واحد ، وتعديته لمفعولين — وإن احتمل هذا المعنى — لكن بجواز إرادة التسمية أو التصيير على ماسبق . وأمّا المعنى فلو كان بمعنى « خلقنا التلاوة العربية » فباطل ؛ لأنه ليس الخلاف فى حدوث ما يقوم بألسنتنا ؛ وإنما الخلاف فى أنّ كلام الله الذى هو أمْرُه ونهيه وخبره ؛ فعندنا أنه صفة من صفات ذاته ، وهو قديم .

وقالت القَدَرية : إنه صفة فعل أوجده بعد عدمه ، وأحدثه لنفسه ، فصار عند حدوثه متكلّما بعد أن لم يكن ، فظهر أن الآية على تأويله ليس فيها تضمن لعقيدته الباطلة .

وقال الآمدى فى « أبكار الأفكار » : الجعل فيه بمعنى التسوية ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[3] ، أى يسمّونه كذبا .

---

(١) سورة الزخرف ٣

(٢) سورة الأعلى ١٨

(٣) سورة الحجر ٩١

قال: ويحتمل أن الجعل على بابه، والمراد القرآن بمعنى القراءة دون مدلولها، فإن القرآن قد يطلق بمعنى القراءة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشيء أذنه لنبي يتغنى فى القرآن » أى بالقراءة .

وقال بعضهم : قاعدة العرب فى الجعل أن يتعدى لواحد ، وتارة يتعدى لاثنين ؛ فإن تعدى لواحد لم يكن إلا بمعنى الخلق، وأما إذا تعدى لاثنين فيجيء بمعنى الخلق، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾[1] ، وبمعنى القسمية : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[2] ، ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[3] .

ويجيء بمعنى التصيير ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾[4] ، أى صيرناهما .

* * *

إذا علمت هذا فإذن ثبت أن الجعل المتعدى لاثنين ليس نصًّا فى الخلق ، بل يحتمل الخلق وغيره ولم يكن فى الآية تعلق للقدرية على خلق القرآن، لأن الدليل لا بدّ أن يكون قطعيا لا احتمال فيه . ويجوز أن يكون بمعنى الخلق على معنى : جعلنا التلاوة عربية .

قلت : وهذا يمنع إطلاقه ؛ وإن جوزنا حدوث الألفاظ ، لأنها لم تأت عن السلف ، بل نقول : القرآن غير مخلوق على الإطلاق .

الخامس: بمعنى الاعتقاد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[5]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[6] .

---

(١) سورة الإسراء ١٢
(٢) سورة الزخرف ١٩
(٣) سورة الحجر ٩١
(٤) سورة المؤمنين ٥٠
(٥) سورة الأنعام ١٠٠
(٦) سورة النحل ٦٢

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾(١) ، أى اعتقدوهم إناثا .

ويجوز أن يكون كما قبله ؛ ووجه النقل فيه هو أنّ الملائكة فى نفس الأمر ليسوا إناثا ، فهؤلاء الكفار نقلوهم باعتقادهم ؛ فصيروهم فى الوجود الذهنىّ إناثا .

ومنهم من جعلها بمعنى التسمية ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢) ، أى لا تسمّوها أندادا وأنتم تعلمون ؛ أى لا تسموها أندادا ولا تعتقدوها ؛ لأنهم ما سموها حتى اعتقدوها .

وكذلك : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾(٣) ، أى سموه وجزّءوه أجزاء ، فجعلوا بعضه شعرا ، وبعضه سحْرا ، وبعضَه أساطير الأولين .

وقال الزجاج فى : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ﴾(٤) ، إنها بمعنى(٥) . . .

وقوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ﴾(٦) ، أى اعتقدتم هذا مثل هذا.

فأما قوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٧) ، فالنقل والتصيير راجعان إلى الحال ، أى لا تجعل حال هؤلاء مثل حال هؤلاء ، ولا تنقلها إليها.

وكذلك قوله : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾(٨) ، أى اعتقدوا له شركاء .

السادس : بمعنى الحكم بالشىء على الشىء ، يكون فى الحق والباطل .

فالحق ، كقوله : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٩) .

---

(١) سورة الزخرف ١٩
(٢) سورة البقرة ٢٢
(٣) سورة الحجر ٩١
(٤) سورة الزخرف ١٩
(٥) بياض بالأصلين
(٦) سورة التوبة ١٩
(٧) سورة ص ٢٨
(٨) سورة الرعد ١٦
(٩) سورة القصص ٧

والباطل ، كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ . . . ﴾(١) الآية .

وبمعنى أوجب ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾(٢) ، أى أوجبنا الاستقبال إليها .

وكقوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ ﴾(٣) ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾(٤) ومعنى « كنت عليها » أى أنت عليها ، كقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٥) ، أى أنتم .

السابع : ذكره الفارسى ، بمعنى « ألقى » فيتعدى لمفعولين : أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ، كما فى قولك : جعلت متاعك بعضه فوق بعض .

ومثاله قوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٦) و « بعضه » بدل من الخبيث .

وقوله : « على بعض » أى فوق بعض .

ومثله قوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾(٧) ، أى ألقى ، بدليل قوله فى الآية الأخرى التى علّل فيها المراد بخلق الجبال ، وأبان إنعامه ، فقال : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾(٨) .

فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾(٩) ، قيل : كيف يستعمل لفظ « الجعل »

---

(١) سورة الأنعام ١٣٦

(٢) سورة البقرة ١٤٣

(٣) سورة المائدة ١٠٣

(٤) سورة البقرة ١٤٣

(٥) سورة آل عمران ١١٠

(٦) سورة الأنفال ٣٧

(٧) سورة الرعد ٣

(٨) سورة النحل ١٥

(٩) سورة الإسراء ١٢

هنا مع أن المجعول عنه ينبغى أن يتحقّق قبل الجعل ، مع صفة المجعول ، كقولك : « جعلت زيدا قائما » ، فهو قبل ذلك كان متّصفا بضد القيام ، وهنا لم يوجد « الجَعْل » إلا على هذه الصفة ، فكيف يصحّ استعمال الجعل فيه ؟

والجواب أنّ الليل جوهر قام به السواد ، والنهار جوهر قام به النور ، وكذلك الشمس جسم قام به ضَوْء ، والأجسام والجواهر متقدمة على الأعراض بالذات ، والعرب تراعى مثلَ هذا ، نقل القرّاء أنهم قالوا : أحسنت إليك فكسوتك ؛ فجعلوا الإحسان متقدما على الكسوة ؛ بدليل العطف بالفاء ، وليس ذلك إلا تقدّم ذاتىّ ، لأن الإحسان فى الخارج هو نفس الكسوة .

ولك أن تقول : لا نسلّم أن الإحسان نفس الكسوة ؛ بل معنًى يقوم بالنفس ينشأ عنه الكسوة .

حَسِب

يتعدّى لمفعولين . وحيث جاء بعدها أنْ والفعل ، كقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾(١) ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾(٢) ونظائره ، فمذهب سيبويه أنّها سادّة مسدّ المفعولين ، ومذهب المبرّد أنها سادّة مسدّ المفعول الواحد ، والثانى عنده مقدّر .

ويشهد لسيبويه أنّ العرب لم يُسْمَع من كلامهم نُطْقٌ بما ادعاه من التصريح به ، ولو كان كما ذكره لنطقوا به ولو مرّة .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٢ (٢) سورة التوبة ١٦

كاد

وللنحويين فيها أربعة مذاهب :

أحدها : أن إثباتها إثبات ونفيها نفى ، كغيرها من الأفعال .

والثانى : أنها تفيد الدّلالة على وقوع الفعل بعسْر ، وهو مذهب ابن جنّى .

والثالث : أن إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإذا قيل: « كاد يفعل »، فمعناه أنه لم يفعله ، بدليل قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[1]، وإذا قيل « لم يكد يفعل » فمعناه أنه فعله، بدليل قوله : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

والرابع : التفصيل فى النفى بين المضارع والماضى، فنفى المضارع نفى، ونفى الماضى إثبات، بدليل : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[4]، مع أنه لم ير شيئا ، وهذا حكاه ابن أبى الربيع[5] فى « شرح الجمل » وقال : إنه الصحيح .

والمختار هو الأول؛ وذلك ، لأن معناها المقاربة ، فمعنى « كاد يفعل » قارب الفعل ، ومعنى « ما كاد يفعل » لم يقاربه ، فخبرها منفىّ دائما .

أما إذا كانت منفية فواضح ، لأنّه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله ، ويدلّ له قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[4] ، ولهذا كان أبلغ من قوله : « لم يرها » لأن مَنْ لم يرَ قد يُقارب الرؤية .

وأما إذا كانت المقاربة منفية، فلأن الإخبار بقرب الشىء يقتضى عُرْفا عدم حصوله، وإلّا لم يتجه الإخبار بقربه ؛ فأما قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] ؛

---

(١) سورة الإسراء ٧٣ — (٢) سورة البقرة ٧١

(٣) سورة البقرة ٨١ — (٤) سورة النور ٤٠

(٥) هو عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، أبو الحسين بن أبى الربيع القرشى الإشبيلى، إمام أهل النحو فى زمانه ؛ شرح الجمل فى عشر مجلدات لم يشذ عنه مسألة فى العربية ؛ مات سنة ٦٨٨ . بغية الوعاة ٣١٩

فإنها منفيّة مع إثبات الفعل لهم فى قوله : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ .

ووجْهه أيضاً إخبار عن حلهم فى أول الأمر ، فإنهم كانوا أولا بُعَداء من ذبحها ، بدليل ماذكر الله عنهم من تعنُّتهم . وحصولُ الفعل إنّما فهمناه من دليل آخر ، وهو قوله: ﴿ فذَبَحُوهَا ﴾ .

والأقرب أن يقال : إنّ النفى واردٌ على الإثبات ، والمعنى هنا : « وما كادوا يفعلون الذبح قَبْل ذلك » ، لأنهم قالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً ﴾ وغير ذلك من التشديد .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا ﴾[1] فالمعنى على النّفْى ، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يركن إليهم لا قليلا ولا كثيرا ، من جهة أن « لولا » الامتناعية تقتضى ذلك ، وأنه امتنع مقاربة الركون القليل لأجل وجود التثبيت ، لينتفىَ الكثير من طريق الأوْلَى .

وتأمّل كيف جاء « كاد » للمقتضية المقاربة للفعل ، بقدر الظاهرة للتقليل ، كلّ ذلك تعظيما لشأن النبى صلى الله عليه وسلم ، وما جُبِلَتْ عليه نفسه الزكية من كونه لا يكاد يركن إليهم شيئا قليلا ، للتثبيت مع ما جُبِلت عليه .

هكذا ينبغى أن يُفهم معنى هذه الآية ، خلافاً لما وقع فى كتب التفسير من ابن عطيّة وغيره ، فهُمْ عن هذا المعنى اللّطيف بمعزل .

وحكى الشريف الرضى فى كتاب « الدرر »[2] ثلاثة أقوال فى قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[3] .

الأول : أنها دالة على الرؤية بعسر ، أى رآها بعد عُسْر وبطء لتكاثف الظلم .

---

(١) سورة الإسراء ٧٤

(٢) أمالى المرتضى ، المسمى بالدرر ١ : ٣٣١ وما بعدها ، مع تصرف فى العبارة .

(٣) سورة النور ٤٠

والثانى : أنها زائدة ، والـكلام على النفى المحض ، ونقله عن أكثر المفسرين، أى لم يرها أصلا ، لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾(١) ، كان مقتضى هذه الظلمات تحول بين العين وبين النظر إلى البدن وسائر للناظر .

والثالث : أنها بمعنى « أراد » من قوله : ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾(٢) ، أى لم يُرِدْ أن يراها .

***

وذكر غيره أنّ التقدير : إذا أخرج يده ممتحنا لبصره لم يكد يخرجها ، و « يراها » صفة للظلمات ، تقديره : ظلمات بعضها فوق بعض يراها .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى﴾(٣) ، فيحتمل أنّ المعنى : أريد أخفيها ، لـكى تجزى كلُّ نفس بسعيها .

ويجوز أن تـكون زائدة ، أى أخفيها لتجزى .

وقيل : تمّ الـكلام عند قوله : ﴿آتِيَةٌ أَكَادُ﴾، والمعنى: أكاد آتى بها، ثم ابتدأ بقوله : ﴿أُخْفِيهَا لِتُجْزَى﴾ .

وقرأ سعيد بن جبير : ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ بفتح الألف، أى أظهرها ، يقال : أخفيت الشىء إذا سترته وإذا أظهرته .

وقراءة الضم تحتمل الأمرين ، وقراءة الفتح لا تحتمل غير الإظهار ؛ ومعنى سترتُها لأجل الجزاء ، لأنه إذا أخفى وقتها قويت الدواعى على التأهب لما خوف المجىء بغتة .

---

(١) سورة النور ٤٠
(٢) سورة يوسف ٧٦
(٣) سورة طه ١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾(١) ، فلم يثبت للزيت الضوء ، وإنما أثبت له المقاربة من الضوء قبل أن تمسّه النار ، ثم أثبت النور بقوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾(١) ، فيُؤخذ منه أن النور دون الضوء لا نفسه .

فإن قلت: ظاهره أن المراد : يكاد يضيء ؛ مسّته النار أو لم تمسّه ، فيُعطى ذلك أنّه مع أن مساس النار لا يضيء، ولكن يقارب الإضاءة، لكن الواقع أنه عند المساس يضيء قطعا!

أجيب : بأن الواو ليست عاطفة ، وإنما هي للحال ، أى يكاد يضيء والحال أنه لم تمسه نار ، فيفهم منه أنها لو مسته لأضاء قطعا .

قاعدة

[فى مجيء كاد بمعنى أراد]

تجيء كاد بمعنى أراد ، ومنه : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾(٢) ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾(٣) . وعكسه ، كقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾(٤) أى يكاد .

قاعدة

[فعل المطاوعة]

فعل المطاوعة هو الواقع مسبّبا عن سببٍ اقتضاه ، نحو كسرته فانكسر . قال ابن مالك فى شرح « الخلاصة » : هو الدّال على قبول مفعولٍ لأثرِ الفاعل ؛ ومعنى ذلك أنّ الفعل المطاوِع ، بكسر الواو ، يدلّ على أن المفعول لقولك : كسرت الشيء ، يدلّ على مفعول معالجتك فى إيصال الفعل إلى المفعول ، فإذا قلتَ : فانكسر ، علم أنه قَبِل

---

(١) سورة النور ٣٥
(٢) سورة يوسف ٨٦
(٣) سورة طه ١٥
(٤) سورة الكهف ٨٧

الفعل ، وإذا قلت: لم ينكسر على أنه لم يقبله وأمّا المطاوَع، بفتح الواو، فيدلّ على معالجة الفاعل فى إيصال فعله إلى المفعول ، ولا يدلّ على أن المفعول قَبِل الفعل أو لم يقبله .

وذكر الزمخشرىّ وغيره أن المطاوِع والمطاوَع ، لابدّ وأن يشتركا فى أصل المعنى ، والفرق بينهما إنما هو من جهة التأثر والتأثير ، كالكسر والانكسار، إذ لامعنى للمطاوعة إلا حصول فعل عن فعل، فالثانى مطاوِع؛ لأنه طاوَع الأوّل، والأول مطاوَع، لأنه طاوعه الثانى ، فيكون المطاوَع لازما للمطاوِع ومرتبا عليه.

وقد استشكل هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾،(١) فأثبت « الهدى » بدون « الاهتداء » .

وقوله: «أمرته فلم يأتمر» فأثبت الأمر بدون الائتمار. وأيضا فاشتراط الموافقة فى أصل المعنى منقوض بقوله : « أمرته فائتمر » ، أى امتثل ، فإنّ الامتثال خلاف الطلب .

وأجيب بأنّه ليس المراد: بـ﴿هَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾ الهُدَى الحقيقى، بل أوصلنا إليهم أسبابَ الهداية ، من بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يلزم وجود الاهتداء . وأمّا الأمر فيقتضيه لغة ألّا يثبت إلا بالامتثال والائتمار .

وقال المطرّزى فى « المغرب » (٢) : الائتمار من الأضداد ، وعليه قول شيخنا فى «الأساس»(٣): يقال: أمرتُه فائتمر ، وأبى أن يأتمر، أىأمرته فاستبدّ برأيه ولم يمتثل، والمراد بالمؤتمر الممتثل. ويقال : علّمته فلم يتعلم ؛ لأنّ التعليم فعل صالح لأن يترتّب عليه حصول العلم لإيجاده.

---

(١) سورة فصلت ١٧

(٢) كتاب المغرب فى اللغة؛ لمؤلفه الإمام أبو الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى؛ من أهل خوارزم ، قرأ على الزمخشرى والموفق ، وبرع فى النحو واللغة والفقه على مذهب أبى حنيفة ؛ وكان لهم كالأزهرى للشافعية ، توفى سنة ٦١٠ . بغية الوعاة ٤٠٢

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى ص ٩ .

كذا قاله الإمام فخر الدين ، ومنعه بعضهم .

وقال الشيخ علاء الدين الباجى : لو لم يصحّ : علّمته فما تعلّم ، لما صحّ علّمته فعلِم ؛ لأنّه إذا كان التعليم يقتضى إيجاد العلم وهو علّة فيه ، فمعلوله ـ وهو التعلّم ـ يوجد معه ؛ بناء على أنّ العلّة مع المعلول ، والفاء فى قولنا : « فتعلّم » تقتضى تعقب العلم . وإنْ قلنا : المعلول يتأخّر ، فلا فائدة فى « فتعلّم » لأن التعلّم قد فهم من « علّمته » ، فوضح أنه لو صحّ « علّمته فما تعلّم » لـكان إمّا ألا يصحّ علّمته فتعلّم ، بناء على أن العلّة مع المعلول ، أو لا تـكون فى قولنا : « فتعلّم » فائدة بتأخّر المعلول .

فإن قيل : قد منعوا « كسَرْتُه فما انـكَسر » فما وجهُ صحة قولهم : « علّمته فما تعلّم » ؟

قيل : فرّق بعضهم بينهما ؛ بأن العلمَ فى القلب من الله يتوقّف على أمرٍ من المعلّم ومن المتعلّم ، وكان علمه موضوعا للجزاء الذى من المعلّم فقط ، لعدم إمكان فعلٍ من المخلوق يحصل به العلم ، ولا بدّ بخلاف الـكسر ، فإنّ أثره لا واسطة بينه وبين الانـكسار .

واعلَمْ أن الأصل فى فعل المطاوعة أنْ يُعْطَف عليه بالفاء ، تقول دعوته فأجاب ، وأعطيته فأخذ ، ولا تقولها بالواو ؛ لأن المراد إفادة السببية ، وهو لا يكون فى الغالب إلا بالفاء ، كقوله : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾(١) .

ويجوز عطفه بالواو ، كقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾(٢) .

وكقوله : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ ﴾(٣) .

وفى موضع آخر : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الأعراف ١٧٨
(٢) سورة الـكهف ٢٨
(٣) سورة الأنبياء ٨٨
(٤) سورة الأنبياء ٧٦

وزعم ابن جنّى فى كتاب « الخصائص » أنه لايجوز فعل المطاوعة إلا بالفاء .

وأجاب عن قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (١)، بأنّ « أغفل » فى الآية بمعنى وجدناه غافلا ، لاجعلناه يَغفل ، وإلا لقيل : « فاتبع هواه » بالفاء ؛ لأنه يكون مطاوعا .

وفى كلامه نظر ؛ لأنّا نقول : ليس اتّباع الهوى مطاوعا لـ « أغفلنا » ، بل المطاوع لـ « أغفلنا » ، غفل .

فإن قيل : إنه من لازم الغفلة اتباع الهوى ، والمسبّب عن السبب سبب .

قيل : لا نسلّم أن اتّباع الهوى مسبّب عن الغفلة ، بل قد يُغفل عن الذكر ولا يُتبع الهوى ، ويكون المانع له منه غفلة أخرى عنه .

واعلم أن الحاملَ لأبى الفتح على هـذا الـكلام اعتقاده الاعتزالىّ أنّ معصيةَ العبد لا تُنْسَب إلى الله تعالى ؛ وأنّها مسبّبة له ، فلهذا جعل « أفعل » هنا بمعنى « وجـد » لا بمعنى التعدية خاصة . وقد بينا ضعفَ كلامه ، وأنّ المطاوع لا يجب عطفه بالفاء .

وقال الزمخشرىّ فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (٢) : هذا موضع الفاء ، كما يقال : أعطيته فشكر ، ومنعته فصبر ؛ وإنما عطف بالواو للإشعار بأن ماقالاه بعض ماأحدث فيهما [إيتاء] (٣) العلم ، [فأضمر ذلك ثم عطف عليه بالتحميد] (٣) كأنه قال : فعملا به وعلّماه ، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ، وقالا الحمد لله (٤) .

وقال السكّاكى : يحتمل عندى أنّه تعالى أخبر عمّا صنع بهما ، وعمّا قالا ؛ كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد ، من غير بيان ترتّبه عليه اعتمادا على فهم السامع ، كقولك : « قم يدعوك » بدل « قم فإنه يدعوك » .

---

(١) سورة الكهف ٢٨
(٢) سورة النمل ١٥
(٣) تكملة من الكشاف
(٤) الكشاف ٣ : ٢٧٨

وأما قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(١) ؛ فظنَّ بعضُ الناس أنّ التقوى سبب التعليم ، والمحققون على منع ذلك ؛ لأنّه لم يربط الفعل الثانى بالأول ربطَ الجزاء بالشرط ، فلم يَقُل : واتقوا الله يعلمكم » ولا قال : « فيعلمكم الله » ، وإنما أتى بواو العطف ، وليس فيه مايقتضى أن الأوّل سبب للثانى ، وإنما غايته الاقتران والتلازم، كما يقال : زرنى وأزورك ، وسلّم علينا ونسلّم عليك ، ونحوه ، مما يقتضى اقتران الفعلين والتعارض من الطرفين ، كما لو قال [عبد] لسيّده : أَعتقنى ولك علىّ ألف ، أو قالت المرأة لزوجها: طلقنى ولك ألف؛ فإن ذلك بمنزلة قولها: بألف أو على ألف. وحينئذٍ فيكون متى علّم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك .

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾(٢) .

وقوله عقيب ذكر الغِيبَة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(٣)، ووجه هذا الختام التنبيه على التوبة من الاغتياب ، وهو من الظُلْم .

وهاهنا بحث ، وهو أن الأئمة اختلفوا فى أنّ العِلْم هل يستدعى مطاوعة أم لا ! على قولين :

أحدها : نعم ، بدليل قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾(٤)، فأخبر عن كلّ من هداه اللهُ بأنه يهتدى . وأما قوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾(٥) ، فليس منه لأن المراد بالهداية فيه الدعوة ، بدليل : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾(٥) .

والثانى: لا يدلّ على المطاوعة، بدليل قوله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾(٦) . وقوله : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾(٦) ، لأن التخويف حصل، ولم يحصل

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢
(٢) سورة هود ١٢٣
(٣) سورة الحجرات ١٢
(٤) سورة الأعراف ١٧٨
(٥) سورة فصلت ١٧
(٦) سورة الإسراء ٥٩ ، ٦٠

للكفار خوف نافع يصرفهم إلى الإيمان ؛ فإنّه المطاوع للتخويف المراد بالآية الكريمة ، وعلى الأول تكون الفاء للتعقيب فى الزمان ، ويكون : « أخرجته فما خرج » حقيقة .

فائدة

[فى قوله تعالى : « إنما أنت منذر من يخشاها]

قالوا فى قوله: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾(١) : إن التقدير « منذرٌ إنذاراً نافعا من يخشاها » .

قال الشيخ عز الدين : ولا حاجة إلى هذا ، لأن فعل وأفعل ، إذا لم يترتب عليه مطاوعة، كخوف وعلم وشبهه لا يكون حقيقة؛لأن «خوف» إذالم يحصل الخوف،و«علم» إذا لم يحصل العلم كان مجازا ، و ﴿ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ ، يترتب عليه أثره ، وهو الخشية ، فيكون حقيقة لمن يخشاها ، فإذاً ليس منذرا من لم يخش ، لأنه لم يترتب عليه أثر . فعلى هذا : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ ﴾(١) فيه جمع بين الحقيقة والمجاز لترتب أثره عليه ، بالنسبة إلى « من يخشى » دون « من لم يخش » .

احتمال الفعل للجزم والنصب

فمنه قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾(٢) ،يحتمل أن يكون ما بعد الفاء مجزوما، ويحتمل أن يكون منصوبا ،، وإذا كان مجزوما كان داخلا فى النهى ، فيكون قد نهى عن الظلم ، كما نهى عن قربان الشجرة ، فكأنه قال : « لاتقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين » .

---

(١) سورة النازعات ٤٥ (٢) سورة الأعراف ١٩

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ ﴾(١)، فإنه يحتمل أن يكون « تكتموا » مجزوماً ؛ فهو مشترك مع الأول فى حرف النهى ؛ والتقدير : لا تلبسوا ولا تكتموا ، أى لا تفعلوا هذا ، كما فى قولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، بالجزم . أى لا تفعل واحدا من هذين . ويحتمل أن يكون منصوبا ، والتقدير : لا تجمعوا بين هذين ، ويكون مثل لا تأكل السمك وتشربَ اللبن ، والمعنى : لا تجمعوا بين هذين الفعلين القبيحين ، كما تقول لمن لقيته : أما كفاك أحدُهما حتى جمعت بينهما ! وليس فى هذا إباحة أحدهما . والأول أظهر .

وقوله : ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾(٢) ، أى ما لم يكن أحد الأمرين : المسّ أو الفرض المستلزم ؛ لعدم كلّ منهما ، أى لا هذا ولا هذا ؛ فإن وُجد أحدهما فعليكم الجناح ، وهو المهر(٣) أو نصف المفروض ، و « تفرضوا » مجزوم عطفا على « تَمَسُّوهُنَّ » .

وقيل: نصب ، و« أو » بمعنى « إلا أنْ » .

والصحيح الأول ؛ ولا يجوز تقدير « لم » بعد « أو » لفساد المعنى ، إذ يؤول إلى رفع الجناح عند عدم المسّ مع الفرض وعدمه . وعند عدم الفرض مع المسّ وعدمه . وليس كذلك ؛ ولا يقدر فيما انتفى أحدهما ، للزوم نفى الجناح عند نفى أحدهما ووجود الآخر ، فلا بدّ من المحافظة على أحدهما على الإبهام وانسحاب حكم « لم » عليه.

ونظيره : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾(٤) .

وقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾(٥):

---

(١) سورة البقرة ٤٢
(٢) سورة البقرة ٢٣٦
(٣) ت : « الفرض »
(٤) سورة الدهر ٢٤
(٥) سورة البقرة ١٨٨

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[1] ، والوجه الجزم ، ويجوز النصب .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ... ﴾[2] الآية.

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[4] .

وقوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾[5] .

وقوله فى آل عمران : ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[6] .

وقوله فى الأعراف : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[7] .

وقوله فى الأنفال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[8] .

وقوله فى سورة التوبة : ﴿ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا ﴾[9] .

وقوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[10] .

وقوله فى سورة يونس: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[11] ، يجوز أن يكون معطوفا على: ﴿ لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾[11] فيكون منصوبا، ويجوز أن يكون منصوبا بالفاء

---

(١) سورة آل عمران ١٤٩
(٢) سورة البقرة ٢٨٤
(٣) سورة النساء ١٩
(٤) سورة النساء ٩٧
(٥) سورة النساء ١٢٩
(٦) سورة آل عمران ١٤٩
(٧) سورة الأعراف ١٩
(٨) سورة الأنفال ٢٧
(٩) سورة التوبة ٥٠
(١٠) سورة التوبة ١٢٠
(١١) سورة يونس ٨٨

على جواب الدعاء ، وأن يكون مجزوما ، لأنه دعاء .

وقوله في سورة يوسف: ﴿ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾(١) .

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٢) .

وقوله في سورة هود: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا﴾(٣)، أي «بأن لا تعبدوا» فيكون منصوبا ، ويجوز جزمه لأنه نهى .

وقوله في سورة النحل : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا ٱلسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ﴾(٤) يجوز عطف ، «وتذوقوا» على «تتخذوا» أو «فتزلّ» قبل دخول الفاء ، فيكون مجزوما .

وقوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(٥)، أى بألا تعبدوا، أو على نهى .

وفيها : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٦) .

وقوله في سورة الكهف : ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾(٧) .

وقوله في الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾(٨)، يجوز أن يكون لام كى أو لام الأمر ، وفائدة هذا تظهر فى جواز الوقف .

وقوله : ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾(٨) ، فيمن كسر اللامات .

---

(١) سورة يوسف ٩
(٢) سورة غافر ٨٢
(٣) سورة هود ١ ، ٢
(٤) سورة النحل ٩٤
(٥) سورة الإسراء ٢٣
(٦) سورة الإسراء ٣٣
(٧) سورة الكهف ٢٠
(٨) سورة الحج ٢٨ ، ٢٩

وقوله فى النمل : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾(١) ، أى بأن ، أو نهى .

وقوله فى العنكبوت : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ﴾(٢) .

وفى فاطر : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾(٣) .

وفى يس : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾(٤) ، هل هى لام كى ، أو لام الأمر ؟

وفى المؤمن : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾(٥) .

وفى فصلت : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾(٦) .

وفى الأحقاف : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾(٧) .

وفى القتال : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾(٨) .

ويدل على جواز النصب ظهوره فى مثله ، ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾(٩) .

وقوله : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾(١٠) .

وقوله : ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾(١١) أى لئلا . أو مجزوم .

وقوله : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾(١٢) .

وقوله : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾(١٣) ، فإن ﴿ يَعْتَذِرُونَ ﴾ داخل مع الأول فى النفى عند سيبويه ، بدليل قوله : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، فإن كان النطق قد نفى عنهم فى ذلك اليوم فالاعتذار نطق ، فينبغى أن يكون منفيا معطوفا على قوله :

(١) سورة النمل ٣١
(٢) سورة العنكبوت ٦٦
(٣) سورة فاطر ٤٤
(٤) سورة يس ٣٥
(٥) سورة غافر ٨٢
(٦) سورة فصلت ٣٠
(٧) سورة الأحقاف ٢١
(٨) سورة محمد ١٠
(٩) سورة الحج ٤٦
(١٠) سورة محمد ٣٥
(١١) سورة الرحمن ٨
(١٢) سورة الممتحنة ٢
(١٣) سورة المرسلات ٣٥ ، ٣٦ .

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾(١) ، ولو حُمِل على إضمار المبتدأ ، ـ أى فهم يعتذرون ـ لجازَ على أن يكون المعنى فى ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ أنّهم وإن نطقوا فنطقهم كلا نطق ؛ لأنه لم يقع الوقع الذى أرادوه ، كقولهم : تكلّمتَ ولم تتكلم .

وقوله : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾(٢) ، وعلى الأول يكون هذا قولا فى أنفسهم من غير نطق .

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٣)، يجوز أن يكون لام كى، والفعل منصوب، أو لام الأمر ، والفعل مجزوم .

وقوله : ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾(٤) ، فالظاهر أنه منصوب، ويجوز أن يكون مجزوما، واللام زائدة، ومن نصب ﴿وَيَذَرَكَ﴾، عطفه على ﴿ليفسدوا﴾.

رأى

إن كانت بصَرية تعدّت لواحد ، أو علمية تعدّت لاثنين ؛ وحيث وقع بعد البصرية منصوبان كان الأول مفعولها ، والثانى حالاً .

ومما يحتمل الأمرين قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾(٥)، فإن كانت بَصَرية كان « الناس » مفعولا و « سكارى » حالا ، وإن كانت علمية فهما مفعولاها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾(٦) .

وقوله : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾(٧) ،

(١) سورة المرسلات ٣٦
(٢) سورة الشعراء ١٠٢
(٣) سورة البقرة ٢٦٠
(٤) سورة الأعراف ١٢٧
(٥) سورة الحج ٢
(٦) سورة الجاثية ٢٨
(٧) سورة الزمر ٦٠

فهذه الجملة ـ أعنى قوله : ﴿ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾[١] ـ فى موضع نصب، إمّا على الحال إن كانت بَصَرِيَّة ، أو مفعول ثان إن كانت قلْبية .

واعلم أنه قد وقع فى القرآن : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾[٢] ، فى بعض المواضع بغير واو كما فى الأنعام ، وفى بعضها بالواو[٣] ، وفى بعضها بالفاء ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا ﴾[٤] .

وهذه الكلمة تأتى على وجهين :

أحدها : أن تتّصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ، فيذكر بالألف والواو ، ولتدلّ الألف على الاستفهام ، والواو ، على عطف جملة على جملة قبلها . وكذلك الفاء ؛ لكنها أشدّ اتصالًا مما قبلها .

والثانى : أن يتصل بما الاعتبارُ فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو والفاء، ليجرىَ مجرى الاستئناف .

ولا ينتقض هذا الأصل بقوله فى النحل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾[٥] ، لاتصالها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾[٦] وسبيلها الاعتبار بالاستدلال ، فبُنى عليه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾ .

وأما «أرأيت» فبمعنى «أخبرنى» ولا يذكر بعدها إلا الشرط ؛ وبعده الاستفهام ، على التقديم والتأخير ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ . . . ﴾[٧] الآية ، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾[٨] .

---

(١) سورة الزمر ٦٠ (٢) سورة الأنعام ٦

(٣) كقوله تعالى فى سورة الرعد ٤١ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ .

(٤) سورة سبأ ٩ (٥) سورة النحل ٧٩

(٦) سورة النحل ٧٨ (٧) سورة الأنعام ٤٦

(٨) سورة الملك ٣٠

وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾[١] .

وأما « رأيت » الواقعة فى كلام الفقهاء ، فهى كذلك ، قال ابن خروف : إلا أنهم يلحنون فيها ، وجوابها : أرأيت إن كان كذا وكذا ؟ كيف يكون كذا ؟ بمعنى عدم الشرط . ثم الاستفهام بعده على نمط الآيات الشريفة ، وهى معلّقة عن العمل بما بعدها من الآيات الكريمة ، وكذلك الرؤية كيف تصرفت .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[٢] ، فدخلها معنى التعجب ، كأنه قيل : ألم تعجب إلى كذا ! فتعدّت بـ« إلى » كأنه : ألم تنظر ، ودخلت « إلى » بمعنى التعجب ، وعلّق الفعل على جملة الاستفهام ؛ وليست ببدل من « الرب » تعالى ؛ لأن الحرف لا يعلّق .

وأما « أَرَأَيْتَكَ » فقد وقعت هذه اللفظة فى سورة الأنعام فى موضعين[٣] وغيرها ، وليس لها فى العربية نظير ؛ لأنه جمع فيها بين علامتى خطاب ، وهما التاء والكاف ، والتاء اسم بخلاف الكاف ؛ فإنها عند البصريين حرف يفيد الخطاب ، والجمع بينهما يدلّ على أن ذلك تنبيهاً على مبناها عليه من مرتبة ، وهو ذكر الاستبعاد بالهلاك ، وليس فيما سواها ما يدلّ على ذلك ، فاكتفى بخطاب واحد .

قال أبو جعفر بن الزبير : الإتيان بأداة الخطاب بعد الضمير المفيد لذلك تأكيد

---

(١) سورة الماعون ١ (٢) سورة الفرقان ٤٥

(٣) فى سورة الأنعام بلفظ «أَرَأَيْتَكُمْ» آية ٤٠ ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ . . . ﴾ ، وآية ٤٧ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً . . . ﴾ ، وفى سورة يونس بلفظ «أَرَأَيْتَكَ» ، آية الإسراء ٦٢ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ . . . ﴾ .

باستحكام غفلته ؛ كما تحرّك النائم باليد ، والمفرط الغفلة باليد واللسان ؛ ولهذا حذفت الكاف فى آية يونس[١] ؛ لأنه لم يتقدم قبلها ذكر صَمَم ولا بَكَم يوجب تأكيد الخطاب ، وقد تقدم قبلها قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ . أَمْ مَنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ ﴾[٢] إلى ما بعدهنّ ، فحصل تحريكهم وتنبيههم بما لم يبق بعده إلا التذكيرُ بعذابهم . انتهى .

وقال ابن فارس فى قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[٣] قال : البصريون[٤] : هذه الكاف [زائدة، زيدت لمعنى المخاطبة، قال محمد بن يزيد: وكذلك رويدكَ زيدا ، قال : والدليل على ذلك أنك إذا قلت : أرأيتك زيدا ، فإنما هى : أرأيت زيدا ؟ لأن الكاف][٥] لو كانت اسما استحال أن تعدى « أرأيت » إلى مفعولين ، والثانى هو الأول . يريد قولهم: « أرأيت زيدا قائما »لا يعدى « رأيت » إلا إلى مفعول هو « زيد » ، ومفعول آخر هو « قائم » ؛ فالأول هو الثانى .

وقال غيره : مَنْ جعل الأداة المؤكّد بها الخطاب فى « أرأيتكم » ضميرا لم يلزمه اعتراضٌ بتعدّى فعل الضمير المتصل إلى مضمَره المتصل ؛ لأن ذلك جائز فى باب الظنّ ، وفى فعلين من غير باب ظننت؛ وهما «فقدت» و«عدمت» ، وكذلك تعدّى فعل الظاهر إلى مضمره المتصل جائز فى الأفعال المذكورة ؛ والآيات المذكورة من باب الظن ، لأن المراد بـ« رأيت » رؤية القلب ، فهى من المستثنى ؛ وإنما الممتنع[٦] مطلقا تعدى

---

(١) وهو قوله تعالى فى الآية ٥٠ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ .

(٢) سورة يونس ٣١

(٣) سورة الإسراء ٧٢

(٤) فقه ص ٨٣

(٥) الزيادة من فقه اللغة للصاحبى

(٦) ت : « وإنما امتنع » .

فعل المضمر المتصل إلى ظاهره ، فلا اختلاف فى منع هذا من كل الأفعال .

وأما مَنْ جَرَّد أداة الخطاب المؤكد بها للحرفية ـ وهو قول الجمهور ـ فلا كلام فى ذلك .

وقد اختلف فى موضع الكاف من هذا اللفظ على أقوال :

قال سيبويه : لا موضع لها .

وقال السَّكَّاكِيّ : موضعها نصب .

وقال الفراء : رفع .

* * *

إذا علمت هذا ، فلها موضعان : أحدهما أن تكون بمعنى « أخبرنى » فلا تقع إلا على اسم مفرد أو جملة شرط ، كقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ... ﴾ (١) الآية ولا يقع الشرط إلا ماضيا ، لأن ما بعده ليس بجواب له ، وإنما هو معلّق بـ « أرأيتك » ، وجواب الشرط ؛ إما محذوف للعلم به ، وإما للاستفهام مع عامله . وإذا ثُنّى هذا أو جمع لحقت بالتثنية والجمع الكاف ، وكانت التاء مفردة بكل حال .

قال السِّيرافى : يجوز أن يكون إفرادهم للتاء ، استغناء بتثنية الكاف وجمعها ، لأنها للخطاب ، وإنما فعلوا ذلك للفرق بين « أرأيت » بمعنى « أخبرنى » وغيرها إذا كانت بمعنى « علمت » .

والثانى : تكون فيه بمعنى « انتبه » كقولك : أرأيت زيدا فإنى أحبه ، أى انتبه له ؛ فإنى أحبه ؛ ولا يلزمه الاستفهام .

* * *

---

(١) سورة الأنعام ٤٦

وقد يحذف الكلام الذى هو جواب للعلم به فلا يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(١)، فلم يأتِ بجواب .

وأتى فى موضع آخر بالجواب ولم يأت بالشرط ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ ﴾(٢) فـ « من » الأول بمنزلة « الذى » .

تَنْبِيه

قال سيبويه : لا يجوز إلغاء « أرأيت » كما يُلغَى : علمت أزيد عندك أم عمرو ؟ ولا يجوز هذا فى «أرأيت» ، ولا بد من النصب إذا قلت: « أرأيت زيد أبو من هو؟ » قال : لأن دخول معنى « أخبرنى » فيها لا يجعلها بمنزلة أخبرنى فى جميع أحوالها .

قال السهيلىّ : وظاهر القرآن يقتضى خلافَ قوله ، وذلك أنها فى القرآن ملغاة ، لأن الاستفهام مطلوبها ، وعليه وقع فى قوله: ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ ﴾(٣)، فقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ ﴾(٣) ، استفهام ، وعليه وقعت « أرأيت » وكذلك « أرأيتم » و « أرأيتكم » فى الأنعام ، والاستفهام واقع بعدها . نحو : ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٤) و ﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾(٥) .

---

(١) سورة هود ٨٨
(٢) سورة الجاثية ٢٣
(٣) سورة العلق ١٣ ، ١٤
(٤) سورة الأنعام ٤٧
(٥) سورة الأحقاف ٣٥

وهـذا هو الذى منع سيبويه فى « أرأيت » و « أرأيتك » ولا يقال : « أرأيتك أبو من أنت » ؟ قال : لـكنّ الذى قاله سيبويه صحيح ، لـكن إذا وَلِيَ الاستفهام « أرأيت » ولم يكن لها مفعول سوى الجملة .

وأمّا فى هذه المواضع التى فى التنزيل فليست الجملة المستفهم عنها هى مفعول «أرأيت»، ولم يكن لها مفعول محذوف يدلّ عليه الشرط ، ولا بدّ من الشرط بعدها فى هذه الصورة، لأنّ المعنى « أرأيتم صنيعَـكم إن كان كذا وكذا » ؟ كما تقول: « أرأيت إن لقيت العدو أتقاتل أم لا ؟ »؛ تقديره: أرأيت رأيك وصنعكَ إن لقيت العدو؟ فحذف الشرط وهو «إن» دالّ على ذلك المحذوف ، ومرتبط به ، والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع؛ إلا أن فيها زيادة بيان لمـا يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ووليها الاستفهام لَقَبُح ، كما قال سيبويه وغيره فى « علمت » ، وهل «علمت» ، وهل «رأيت» ، وإنما يتجه مع «أرأيت» خاصة ، وهى التى دخلها معنى « أخبرنى »[(١)] .

عَلِم العرفانيّة

لا تتعلق إلا بالمعانى ؛ نحو : ﴿ لَا تَعْـلَمُونَ شَيْئًا ﴾[(٢)] .

فأما نحو قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْـلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿فَلَيَعْـلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْـكَاذِبِينَ ﴾[(٤)] فالتقدير « لا تعلم خبرهم نحن نعلم خبرهم »، «فليعلمنّ الله صِدْقَ الذين صدقوا وليعلمنّ الله نفاق المنافقين » ، فحذف المضاف .

وذكر ابن مالك أنها تختص باليقين، وذكر غيره أنها تستعمل فى الظنّ أيضا، بدليل قوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾[(٥)] .

وله أن يقول : العلم على حقيقته . والمراد بالإيمان التصديق اللسانىّ .

---

(١) الروض الأنف ١ : ١٨٨ (المطبعة الجمالية) .
(٢) سورة النحل ٧٨ — (٣) سورة التوبة ١٠١
(٤) سورة العنكبوت ٣ — (٥) سورة الممتحنة ١٠

ظنّ

أصلها للاعتقاد الراجح ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا ﴾(١) .

وقد تستعمل بمعنى اليقين ؛ لأن الظنّ فيه طرف من اليقين، لولاه كان جهلا ، كقوله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾(٢) ، ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ ﴾(٣) ، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾(٤) ، ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ ﴾(٥) ، وللفرق بينهما فى القرآن ضابطان :

أحدهما : أنّه حيث وجد الظنّ محموداً مثابا عليه ، فهو اليقين ، وحيث وجد مذموماً متوعَّداً بالعقاب عليه ، فهو الشك .

الثانى : أنّ كل ظن يتصل بعده « إِنْ » الخفيفة فهو شكّ ، كقوله: ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾(١) . وقوله : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾(٦) .

وكلّ ظن يتصل به « إن » المشددة ، فالمراد به اليقين ، كقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾(٧)، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾(٨) .

والمعنى فيه أنّ المشددة للتأكيد ، فدخلت على اليقين ، وأنّ الخفيفة بخلافها ، فدخلت فى الشك .

مثال الأول ، قوله سبحانه : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾(٩) ذكره بـ «أنّ» وقوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴾(١٠) .

ومثال الثانى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(١١) ، والحُسْبان الشكّ .

فإن قيل : يرد على هذا الضابط قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾(١٢) .

---

(١) سورة البقرة ٢٣٠
(٢) سورة البقرة ٤٦
(٣) سورة الحاقة ٢٠
(٤) سورة القيامة ٢٨
(٥) سورة المطففين ٤
(٦) سورة الفتح ١٢
(٧) سورة الحاقة ٢٠
(٨) سورة القيامة ٢٨
(٩) سورة الأنفال ٦٦
(١٠) سورة محمد ١٩
(١١) سورة المائدة ٧١
(١٢) سورة التوبة ١١٨

قيل : لأنها اتصلت بالفعل .

فتمسك بهذا الضابط ، فإنه من أسرار القرآن !

ثم رأيت الراغب قال فى تفسير سورة البقرة :

الظنّ أعمّ ألفاظ الشكّ واليقين، وهو اسم لما حصل عن أمارة، فمتى قويت أدّت إلى العلم ، ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حَدّ الوهم ، وأنه متى قوىَ استعمل فيه « أنّ » المشددة و « أن » المخففة منها ، ومتى ضعف استعمل معه « أن » المختصة بالمعدومين من الفعل ، نحو ظننت أن أخرج وأن يخرج ، فالظنّ إذا كان بالمعنى الأول محمود ، وإذا كان بالمعنى الثانى فمذموم .

فمن الأول : ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[1] .

ومن الثانى : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2] ، وقوله : ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا﴾[3] .

فائدة

لا يجوز الاقتصار فى باب « ظنّ » على أحد المفعولين؛ إلّا أن يكون بمنزلة أنهم قالوا: قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[4] ، قرأ الحرميان وابن كثير بالظاء ، وهو «فعيل» بمعنى «مفعول» والضمير هو المفعول الذى لم يسمّ فاعله . وقرأه الباقون بالضاد ، وهو بمعنى فاعل ، وفيه ضمير هو فاعله ، والمعنى : « بخيل على الغيب » فلا يمنعه كما تفعله الـكهّان ، والمعنى على القراءة الأولى : ليس بمتّهم على الغيب ؛ لأنه الصادق .

وأما قوله : ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾[5] فإنها بمنزلتها فى قولك : « نزلت بزيد »

(١) سورة البقرة ٤٦
(٢) سورة الجاثية ٢٤
(٣) سورة النجم ٢٨
(٤) سورة التكوير ٢٤
(٥) سورة الأحزاب ١٠

شعر

ومنه شعر ، بمعنى « علم » ومصدره « شِعْرة » بكسر الشين ، كالفِطْنة ، وقالوا : ليت شِعْرى ، لحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة . قال الفارسىّ : وكأنه مأخوذ من الشِّعار ، وهو ما يلى الجسد ، فكأن شعرت به ، علمته من حس ، فهو نوع من العلم ، ولهذا لم يوصف به الله .

وقوله تعالى فى صفة الكفار : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(١) ، أبلغ فى الذمّ للبعد عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ، فإن البهيمة قد تشعر بحيث كانت تحس ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم .

وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾(٢) ، إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٢) ولم يقل: « لا تعلمون » لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء ، علموا أنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفىَ عنهم العلم ، ولكن يجوز أن يقال: ﴿لا تشعرون﴾ ، لأنه ليس كلّ ما علموه يشعرون به ، كما أنه ليس كل ماعلموه يحسُّونه بحواسّهم ، فلما كانوا لا يعلمون بحواسّهم حياتَهم ، وأنهم علموها بإخبار الله ، وجب أن يقال : ﴿ لا تشعرون ﴾ دون « لا تعلمون » .

عسى ولعلّ

من الله تعالى واجبتان ، وإن كانتا رجاء وطمعاً فى كلام المخلوقين ، لأنّ الخلْق هم الذين يَعرض لهم الشكوك والظنون ، والبارئُ منزّه عن ذلك .

والوجه فى استعمال هذه الألفاظ أنّ الأمور الممكنة لما كان الخلقُ يشكّون فيها

---

(١) سورة القصص ١١　　(٢) سورة البقرة ١٥٤

ولا يقطعون على الكائن منها ، وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله تعالى ، تسمى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوق ، وتسمى نسبة شك وظن ، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله ، كقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(١) .

وتارة بلفظ الشك بحسب ماهي عليه عند المخلوقين، كقوله : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾(٢) ، ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(٤) ، وقد علم الله حين أرسلهما(٥) ما يُفضي إليه حالُ فرعون ، لكن ورد اللفظ بصورة ما يحتاج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع ؛ فكأنه قال : انهضا إليه وقولا في نفوسكما ، لعله يتذكر أو يخشى .

ولما كان القرآنُ قد نزل بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك ، والعرب قد تُخرج الكلام المتيقَّن في صورة المشكوك ؛ لأغراض ، فتقول : لاتتعرض لما يسخطني ، فلعلك إن تفعل ذلك ستندم ؛ وإنما مراده أنه يندم لامحالة ، ولكنه أخرجه مخرج الشك تحريرا للمعنى ، ومبالغة فيه ؛ أي أن هذا الأمر لو كان مشكوكا فيه لم يجب أن تتعرض له ؛ فكيف وهو كائن لاشك فيه !

وبنحو من هذا فسّر الزجاج قوله تعالى : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾(٦) .

وأما قوله : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾(٧) ، فاطلاعه إلى الإله مستحيل ، فبجهله اعتقد في المستحيل الإمكان ؛ لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان .

---

(١) سورة المائدة ٥٤
(٢) سورة المائدة ٥٢
(٣) سورة الإسراء ٧٩
(٤) سورة طه ٤٤
(٥) ت : « إرسالها » .
(٦) سورة الحجر ٢
(٧) سورة غافر ٣٦

ونصّ ابن الدهّان فى لعل جواز استعماله فى المستحيل ، محتجا بقوله : « لعل زمانا تولّى يعود » .

وقال أيضا : كلُّ ما وقع فى القرآن من « عسى » ، فاعلها الله تعالى ، فهى واجبة .

وقال قوم: إلا فى موضعين، قال تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِنْ طَلَّقَكُنَّ ﴾(١)، ولم يطلقهن ولم يبدل بهنّ .

وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾(٢)، وهذه فى بنى النَّضِير ، وقد سباهم النبى صلى الله عليه وسلم وقتلهم وأبادهم .

وقال أيضاً : وهـذا عنـدى متأوّل ، لأنّ الأوّل تقديره : « إن طلّقكن يبدله » وما فعل ، فهذا شرط يقع فيه الجزاء ولم يفعلْه ، والثانى تقديره : « إن عدتم رحمكم » ، وهم أصروا ، وعسى على بابها .

قال : وعسى ماضى اللفظ والمعنى ، لأنه طمع ، وذلك حصل فى شىء مستقبل .

وقال قوم : ماضى اللفظ مستقبل فى المعنى ، لأنه أخبر عن طمع ، يريد أن يقع .

* * *

واعلم أن عسى تستعمل فى القرآن على وجهين :

أحدهما : ترفع اسما صريحا ويؤتى بعده بخبر ، ويلزم كونه فعلا مضارعا ، نحو عسى زيد أن يقوم ، فلا يجوز « قائما » ، لأنّ اسم الفاعل لا يدلّ على الزمان الماضى ، قال الله تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾(٣) فيكون « أن والفعل » فى موضع نصب ، بـ « عسى » .

---

(١) سورة التحريم ٥

(٢) سورة الإسراء ٨

(٣) سورة المائدة ٥٢

وقال الكوفيون : فى موضع رفع بدل .

ورُدّ بأنه لا يجوز تركه ، ويجوز تقديمُه عليه .

الثانى : أن يكون المرفوع بها « أن والفعل » ، وهو عسى أن يقوم زيد ، فلا يفتقر هنا إلى منصوب .

ونظيره : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾(٢) لا يجوز رفع «ربك» بـ « عسىٰ » ؛ لئلا يلزم الفصلُ بين الصلة والموصول بالأجنبىّ ، وهو « ربك » ، لأن « مقاما محموداً » منصوب بـ « يبعثك » .

وكذلك كقوله : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(٣) ، لأن الضميرين متصلان بـ « تكرهوا » و « تحبوا » ، فلا يكون فى « عسى » ضمير .

اتّخذ

قال تعالى : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾(٤) . قال الفارسى : ولا أعلم «تخذت» يتعدّى إلا إلى واحد .

وقيل : أصل « اتخذت » « تخذت » ، فأما « اتخذت » فعلى ثلاثة أضرب :

أحدها : ما يتعدّى به إلى مفعول واحد ، كقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(٥) .

﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾(٦) .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾(٧) .

---

(١) سورة المائدة ٧١

(٢) سورة الإسراء ٧٩

(٣) سورة البقرة ٢١٦

(٤) سورة الكهف ٧٧

(٥) سورة الفرقان ٢٧

(٦) سورة الزخرف ١٦

(٧) سورة الفرقان ٣

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾(١) .

﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾(٢) .

والثانى : ما يتعدّى لمفعولين ، والثانى منهما الأول فى المعنى .

وهما إمّا مذكوران ، كقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾(٣) .

وقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٤) .

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾(٥) .

وإما مع حذف الأول ، كقوله : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾(٦) ، فمفعول « اتخذوا » الأول الضمير المحذوف الراجع إلى الذين ، الثانى « آلهة » و« قربانا » على الحال .

قال الكواشىّ : ولو نصب « قربانا » مفعولا ثانيا ، و« آلهتــــه » بدلا منه فسد المعنى .

وإما مع حذف الثانى ، كقوله : ﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾(٧) .

﴿ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾(٨) .

﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(٩) .

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾(٩) ، تقديره فى الجميع : اتخذوه آلهة ؛ لأن نفس اقتناء العجل لا يلحقه الوعيد الشديد ، فيتعيّن تقدير آلهة .

الثالث : ما يجوز فيه الأمران ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾(١٠) .

---

(١) سورة الأنبياء ١٧
(٢) سورة العنكبوت ٤١
(٢) سورة المنافقون ٢
(٤) سورة الممتحنة ١
(٥) سورة المؤمنون ١١٠
(٦) سورة الأحقاف ٢٨
(٧) سورة البقرة ٥١
(٨) سورة البقرة ٥٤
(٩) سورة الأعراف ١٤٨
(١٠) سورة البقرة ١٢٥

فإن جوزنا زيادة « من » فى الإيجاب كان من التعــدّى لاثنين ، وإن منعنا كان لواحد .

ونظيره « جعلت » قال : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾(١) ، أى خلقهما .

فإذا تعدّى لمفعولين كان الثانى الأول فى المعنى ، كقوله : ﴿ وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾(٢) ، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾(٣) ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾(٤) .

أخذ

تجىء بمعنى « غصَب » ، ومنه : « من أخـذ قيد شبْر من أرض طُوّق من سبع أرضين » .

وبمعنى « عاقب » ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٥) .

﴿ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ ﴾(٦) .

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ ﴾(٧) .

﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾(٨) .

﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾(٩) .

﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾(١٠) .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾(١١) .

---

(١) سورة الأنعام ١
(٢) سورة يونس ٨٧
(٣) سورة القصص ٤١
(٤) سورة السجدة ٢٤
(٥) سورة هود ١٠٢
(٦) سورة الأعراف ٩٤
(٧) سورة هود ٦٧
(٨) سورة الأعراف ١٦٥
(٩) سورة القمر ٤٢
(١٠) سورة الكهف ٥٨
(١١) سورة فاطر ٤٥

و ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(١) .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾(٢) .

وتجيء للمقاربة ، قالوا : أخذ يفعل كذا ، كما قالوا : جعل يقول ، وكَرَب يقول .

وتجيء قبل القسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾(٣) .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾(٤) .

وبمعنى «اعمل» ، كقوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾(٤) ، أي اعملوا بما أمرتم به ، وانتهوا عما نُهيتم عنه بجد واجتهاد .

سأل

تتعدّى لمفعولين كأعطى ، ويجوز الاقتصار على أحدهما .

ثم قد تتعدّى بغير حرف ، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾(٥) .

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾(٦) .

وقد تتعدّى بالحرف ؛ إما بالباء كقوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾(٧) .

وإما بـ «عن» ، كقولك : سل عن زيد . وكذا : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾(٨) .

والمتعدّية لمفعولين ثلاثة أضرب :

أحدها : أن تكون بمنزلة « أعطيت » كقولك : سألت زيدا بعد عمرو حقًّا ، أي استعطيته ، أو سألته أن يفعل ذلك .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦
(٢) سورة المائدة ٨٩
(٣) سورة آل عمران ١٨٧
(٤) سورة البقرة ٦٣
(٥) سورة الممتحنة ١٠
(٦) سورة الأنبياء ٧
(٨) سورة المعارج ١
(٨) سورة الأعراف ١٦٣

والثانى : بمنزلة : اخترت الرجال زيدا ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾(١) ، أى عن حميم لذهوله عنه .

والثانى : أن يقع موقع الثانى منهما استفهام ، كقوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ ﴾(٢) .

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾(٤) ، فالمعنى : سأل سائل النبىّ صلى الله عليه وسلم أو المسلمين بعذاب واقع ، فذكر المفعول الأول ، وسؤالهم عن العذاب إنما هو استعجالهم له كاستبعادهم لوقوعه ، ولردّهم ما يوعدون به منه .

وعلى هذا : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾(٥) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾(٦) ، فيجوز أن تكون « من » فيه موضع المفعول الثانى ، وأن يكون للمفعول الثانى محذوفا ، والصفة قائمة مقامه .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾(٧) فيحتمل أنّ « عنها » متعلقة بالسؤال ، كأنه : يسألونك عنها كأنك حفىّ عنها ، فحذف الجار والمجرور ، فحسُن ذلك لطول الكلام . ويجوز أن يكون ﴿ عنها ﴾ بمنزلة « بها » ، وتتصل بالحفاوة .

وَعَد

فعل يتعدى لمفعولين ، يجوز الاقتصار على أحدهما كأعطيته ، وليس كظننت ، قال

(١) سورة المعارج ١٠
(٢) سورة البقرة ١١
(٣) سورة الزخرف ٤٥
(٤) سورة المعارج ١
(٥) سورة الرعد ٦
(٦) سورة النساء ٣٢
(٧) سورة الأعراف ١٨٧

تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ﴾(١) ، فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفا لاختصاصه ، أى وعدناكم إتيانه ، أو مُكْثًا فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾(٢)، فالغنيمة تكون الغُنْم.

فإن قلت : الغُنْم حدث لا يؤخذ ؛ إنما يقع الأخذُ على الأعيان دون المعانى !

قلت : يجوز أن يكون سُمِّىَ باسم المصدر ، كالخلْق والمخلوق ، أو يُقدَّر محذوف ، أى تمليك مغانم .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾(٣) ، وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾(٤) فإن الفعلَ لم يتعدّ فيه إلى مفعول ثان ؛ ولكن قوله : ﴿ ليستخلفنّهم ﴾ ولهم ﴿ مغفرة ﴾ تفسير للوعد ، كما أنّ قوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(٥) ؛ تبيين للوصية فى قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٥) .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾(٦) ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾(٧) ، فيحتمل انتصاب الواحد بالمصدر ، أو بأنه المفعول الثانى ، وسمّىَ الموعود به الوعد ، كالمخلوق الخلق .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾(٨) ، و ﴿ إِحْدَى ﴾ فى موضع نصب مفعول ثان ، و ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ بدل منه ، أى إتيان إحدى الطائفتين أو تمليكه ؛ والطائفتان العير والنصر .

وأما قوله : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ ﴾(٩) فمنْ قدر فى أنّ الثانية البدل،

---

(١) سورة طه ٨٠
(٢) سورة الفتح ٢٠
(٣) سورة المائدة ٩
(٤) سورة النور ٥٥
(٥) سورة النساء ١١
(٦) سورة طه ٨٦
(٧) سورة إبراهيم ٢٢
(٨) سورة الأنفال ٧
(٩) سورة المؤمنون ٣٥

فينبغى أن يقدر محذوفا ، ليتمّ الكلام ، فيصحّ البدل ، والتقدير : أيعدكم إرادةَ أنّكم إذا متم ، ليكون اسم الزمان خبراً عن الحدَث، ومن قدّر فى الثانية البدل لم يحتجْ إلى ذلك.

وأما قوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[1]، فالجملة فى موضع جرّ صفة للنكرة ، وقد عاد الضمير فيها إلى الموصوف ، والفعل متعدّ إلى واحد .

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾[2]، فلايجوز أن يكون «ثلاثين» ظرفا ، لأنّ الوعد ليس فى كلّها بل فى بعضها ، فيكون مفعولا ثانيا .

وَدّ

قال أبو مسلم الأصبهانى[3] بمعنى « تمنّى » يستعمل معها « لو » و « أن » ، وربما جُمع بينهما نحو : ودّوا لو أن فعل ، ومصدره الوَدادة ، والاسم منه وُدّ . وقد يتداخلان فى الاسم والمصدر .

وقال الراغب : إذا كان « ودّ » بمعنى أحبّ لايجوز إدخال « لو » فيه أبدا .

وقال على بن عيسى[4]: إذا كان بمعنى «تمنى» صلح للمضىّ والحال والاستقبال، وإذا كان بمعنى المحبة لم يصلح للماضى؛ لأن الإرادة هى استدعاء الفعل، وإذا كان للماضى لم يجُز أن » ، وإذا كان للحال أو للاستقبال جاز « أن » و « لو » .

وفيما قاله نظر ، لأن « أن » توصل بالماضى ؛ نحو سرنى أنْ قمت .

---

(١) سورة التوبة ١٩٤ (٢) سورة الأعراف ١٤٢

(٣) كان أبو مسلم الأصفهانى على مذهب المعتزلة ، وصنف التفسير على طريقتهم، وتوفى سنة ٣٧٠ . لسان الميزان ٢١٢

(٤) هو أبو الحسن على بن عيسى الرمانى ، كان متفننا فى علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة ؛ وله مصنفات فى كل ذلك . توفى سنة ٣٨٤ إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤

قلت : فكان الأحسن الردّ عليه بكلامه، وهو أنّه جوّز إذا كان بمعنى الحال دخول « أنْ » وهى للمستقبل ، فقد خرجت عن موضعها .

أفعل التفضيل

فيه قواعد :

* * *

الأولى : إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بعضه ، كقولك زيد أشجع الأسُود وأجود السحب ، فيصير المعنى زيد أشجع من الأسود ، وأجود من السحب ؛ وعليه قوله تعالى : ﴿ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ ﴾[1] ، و ﴿ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾[2] ، و ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[3] . أى خير مِنْ كلّ مَنْ تسمى برازق ، وأحكم من كل من تسمى بحاكم . كذا قاله أبو القاسم السعدىّ .

قال الشيخ أثير الدين : الذى تقرر عن الشيوخ أن « أفعل » هذه لاتضاف إلا ويكون المضاف بعض المضاف إليه ، فلا يقال : هذا الفرس أسبق الحمير ؛ لأنه ليس بعض الحمير ؛ وعلى هذا بنَى البصريون مَنْع « زيد أفضل إخوته » ، وأجازوا « أفضل الإخوة » ، إلّا إذا أخرجت عن معناها ؛ فإنه قد يجوز ذلك عن بعضهم .

* * *

الثانية : إذا ذكر بعد « أفعل » جنسه، وواحد من آحاد جنسه، وجب إضافتُه إليه، كقولك : زيد أحسن الرجال ، وأحسن رجل قال تعالى ...[4] .

وإذا ذُكِر بعد ما هو من متعلقاته ، وجب نصبه على التمييز، نحو زيد أحسن وجها، وأغزر علما .

---

(١) سورة الجمعة ١١

(٢) سورة هود ٤٥

(٣) سورة المؤمنون ١٤

(٤) هنا سقط فى الأصول .

وقد أشكَلَ على هذه القاعدة قولُه تعالى: ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَزْكَى طَعَامًا ﴾[2]، فقد أضيف إلى غير جنسِه، وانتصب.

وقد تأوّل العلماء هذا حتى رجعوا به إلى جعل «أشد» لغير الخشية، فقال الزمخشري معنى: ﴿ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[1]، أى مثل أهل خشية الله، أو مثل قوم أشد خشية من أهل خشية الله.

قال ابن الحاجب: وعلى مثل هذا يحمل ماخالف هذه القاعدة.

* * *

الثالثة: الأصل فيه الأفضلية على ما أضيف إليه؛ وأشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[3]، لأن معناه: ما من آية من التسع إلا وهى أكبر من كلّ واحدة منها، فاضلة ومفضولة، فى حالة واحدة.

وأجاب الزمخشريّ بأن[4] الغرض وصفهنّ بالكِبَر من غير تفاوت فيه، وكذلك العادة فى الأشياء التى تتفاوت فى الفضل التفاوت اليسير، أنْ تختلفَ [آراء][5] الناس فى تفضيلها، وربما اختلف آراء الواحد فيها، كقول الحماسيّ:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَهْدِي بِهَا السَّارِي[6]

وأجاب ابن الحاجب، بأن المراد الأعلى أكبر من أختها عندهم، وقت حصولها، لمشاهدة الآية فى النفس أثرا عظيما ليس للغائب عنها.

* * *

الرابعة: قالوا: لاينبغى من العاهات: فلا يقال: ماأعور هذه الفرس! وأما قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء ٧٧

(٢) سورة الكهف ١٩

(٣) سورة الزخرف ٤٨

(٤) الكشاف ٤ : ٢٠٢ مع تصرف فى العبارة.

(٥) من الكشاف.

(٦) للعرندس، الحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٣

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١) ، ففيه وجهان :

أحدهما : أنه من عَمَى القلب الذى يتولّد من الضلالة ، وهو مايقبل الزيادة والنقص ، لا من عَمَى البصر الذى يحجب المرئيات عنه .

وقد صرّح ببيان هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٢) وعلى هـذا فالأول اسم فاعل والثانى أفعل تفضيل ، من فقْد البصيرة .

والثانى : أنه من عَمَى العين ، والمعنى : مَنْ كان فى هذه أعمى من الكفار؛ فإنه يحشر أعمى ، فلا يكون « أفعل تفضيل » .

ومنهم من حمل الأوّلَ على عمى القلب ، والثانى على فقْد البصيرة ، وإليه ذهب أبو عمرو ، فأمال الأوّل ، وترك الإمالة فى الثانى ؛ لما كان اسما ، والاسم أبعد من الإمالة.

* * *

الخامسة : يكثر حذف المفضول إذا دلّ عليه دليل ، وكان « أفعل » خبرا ، كقوله تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾(٣) .

﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾(٤) .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾(٥) .

﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(٦) .

﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(٧) .

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(٨) .

﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾(٩) .

---

(١) سورة الإسراء ٧٢
(٢) سورة الحج ٤٦
(٣) سورة البقرة ٦١
(٤) سورة البقرة ٢٨٢
(٥) سورة آل عمران ٣٦
(٦) سورة آل عمران ١١٨
(٧) سورة النحل ٩٥
(٨) سورة الكهف ٤٦
(٩) سورة مريم ٧٣

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾(١) .

وقد يحذف المفضول و «أفعل» ليس مخبر، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٢) .

* * *

السادسة : قد يجىء مجرّدا عن معنى التفضيل ، فيكون للتفضيل لا للأفضلية .

ثم هو تارة يجىء مؤوّلا باسم فاعل ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٣) .

ومؤولا بصفة مشبّهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(٤) .

فـ «أعلم» هاهنا بمعنى « عالم بكم » ، إذ لا مشارك لله تعالى فى علمه بذلك، « وأهون عليه » بمعنى هيّن ، إذ لا تفاوتَ فى نسبة المقدورات إلى قدرته تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾(٦) .

أو لفظا لا معنى ، كقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾(٧) .

و ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(٨) .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾(٩) فمعناه: الضرر بعبادته؛ أقرب من النفع بها .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾(٩) ، ولا نفع من قِبَله البتة ؟ .

قيل : لما كان فى قوله : ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ تبعيد لنفعه ، والعرب تقول

---

(١) سورة مريم ٧٥
(٢) سورة طه ٧
(٣) سورة النجم ٣٢
(٤) سورة الروم ٢٧
(٥) سورة فصلت ٤٠
(٦) سورة الفرقان ٢٤
(٧) سورة الإسراء ٤٧
(٨) سورة طه ١٠٤
(٩) سورة الحج ١٣

لما لم يصح فى اعتقادهم : هذا بعيد ـ جاز الإخبار بـ « بُعْد » نفع الوَنْى ، والشاهد له قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾(١) .

* * *

السابعة : « أفعل » فى الكلام على ثلاثة أضرب :

مضاف ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾(٢) .

ومعرّف باللام ، نحو : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾(٣) و ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾(٤) .

وخال منهما . ويلزم اتصاله بـ « من » التى لابتداء الغاية جارّة للمفضّل عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا ﴾(٥) .

وقد يستغنى بتقديرها عن ذكرها ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾(٥) .

ويكثر ذلك إذا كان أفعل التفضيل خبرا ، كقوله : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾(٦) .

وحيث أضيف إنما يضاف إلى جمع معرّف، نحو «أحكم الحاكين»، ولا يجوز «زيد أفضل رجل» ، ولا « أفضل رجال » ، لأنه لا فائدة فيه ، لأن كلّ شخص لا بد أن يكون جماعة يفضّلها ، وإنما الفائدة فى أن تقول : « أفضل الرجال » .

فأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾(٧) فجوابه أنه غير مضاف إليه تقديرا، بل المضاف إليه محذوف ، وقامت صفته مقامه ، وكأنه قال : « أسفل قوم سافلين » .

ولا خلاف أنه يضاف إلى اسم الجمع معرفا ومنكّرا ، نحو أفضل الناس والقوم ، وأفضل ناس وأفضل قوم .

فإن قيل : لم أجازوا تنكير هذا ولم يجيزوا ذلك فى الجمع ؟

(١) سورة ق ٣
(٢) سورة التين ٨
(٣) سورة الأعلى ١
(٤) سورة المنافقون ٨
(٥) سورة الكهف ٣٤
(٦) سورة الأعلى ١٧
(٧) سورة التين ٥

قلت : لأن « أفضل القوم » ليس من ألفاظ الجموع ، بل من الألفاظ المفردة فخففوه بترك الألف واللام الثانية ، إذا كان « أفعل » بالألف واللام أو مضافا جاز تثنيته وجمعه ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾(١) ، و ﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾(٢) .

وقال فى المفرد : ﴿ إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾(٣) .

وقال فى الجمع : ﴿ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾(٤) ، و ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾(٥) .

وتقول فى المؤنث « هذه الفضلى » ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾(٦) ، ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾(٧) .

وحكم « فُعْلى » حكم « أفعل » لا يستعمل بغير « من » إلا مضافا أو معرّفا بأل .

وأما قوله : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾(٨) ، فقالوا : إنه على تقدير « من » أىْ وأخر منها متشابهات .

تنبيه

لفظ « سواء »

سواء : أصله بمعنى الاستواء ، وليس له اسم يجرى عليه ، يقال : استوى استواء ، وساواه مساواة لا غير ؛ فإذا وقع صفةً كان بمعنى مستوٍ ، ولهذا تقول : هما سواء ، هم سواء ، كما تقول : هما عدل ، وهم عدل ؛ والسواء التامّ ، ومنه دِرْهم سواء ، أى تام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً ﴾(٩) ، أى مستويات . ومن نصب فعلى

---

(١) سورة الشعراء ١١١
(٢) سورة الكهف ١٠٣
(٣) سورة الشمس ١٢
(٤) سورة الأنعام ١٢٣
(٥) سورة هود ٢٧
(٦) سورة المدثر ٣٥
(٧) سورة طه ٧٥
(٨) سورة آل عمران ٧
(٩) سورة فصلت ١٠

المصدر ، أى استوت استواء ، كذا قال سيبويه[١] . وجوّز غيره أن يكون حالا من النكرة .

ويجىء السواء بمعنى الوسط ، كقوله تعالى: ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[٢] أى عدل ، وهو الحق .

قال ابن أبى الربيع : وسواء لا يرفع الظاهرَ إلا إذا كان معطوفا على المضمر فى سواء وهو مرفوع بسواء ، وهو مما جاز فى المعطوف ما لا يجوز فى المعطوف عليه .

---

(١) الكتاب ١ : ٢٧٥

(٢) سورة آل عمران ٦٤

النوع السابع والأربعون

فى الكلام على المفردات من الأدوات

والبحث عن معانى الحروف ؛ مما يحتاج إليه المفسّر لاختلاف مدلولها.

ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها ، وترجّح استعمالها فى بعض المحالّ على بعض، بحسب مقتضى الحال.

كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] ، فاستعملت « على » فى جانب الحق ، و « فى » فى جانب الباطل ؛ لأنّ صاحب الحق كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء ، ظاهرة له الأشياء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس فى ظلام ؛ ولا يدرى أين توجه !

وكما فى قوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾[2] ، فعطف هذه الجمل الثلاث بالفاء ، ثم لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو ، فقال تعالى : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾[3] ، إذ لم يكن التلطّف مترتبا على الإتيان بالطعام ، كما كان الإتيان منه مرتبا على التوجّه فى طلبه ، والتوجّه فى طلبه مترتّبا على قطع الجدال فى المسألة عن مدّة اللبث ، بتسليم العلم له سبحانه.

وكما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ . . . ﴾[3] الآية ؛ فعدل عن اللام

---

(١) سورة سبأ ٢٤ (٢) سورة الكهف ١٩

(٣) سورة التوبة ٦٠ ، والآية : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

إلى «فى» فى الأربعة الأخيرة، إيذانا بأنهم أكثر استحقاقا للتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام ؛ لأن «فى» للوعاء، فنبّه باستعمالها على أنهم أحقّاء بأن يجعلوا مظنّة لوضع الصدقات فيهم ، كما يُوضع الشىء فى وعائه مستقرًّا فيه . وفى تكرير حرف الظرف داخلا على « سبيل الله » دليل على ترجيحه على الرقاب والغارمين .

قال الفارسى : وإنّما قال : ﴿ وفى الرقاب ﴾ ، ولم يقل « والرقاب » ليدلّ على أن العبد لا يُملك .

وفيه نظر ؛ بل ما ذكرناه من الحكمة فيه أقرب .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾(١) ، فإنه يقال : أحسنَ بى وإلىّ ؛ وهى مختلفة المعانى وأليقها بيوسف عليه السلام « بى » ، لأنه إحسانٌ درج فيه دون أن يقصد الغاية التى صار إليها .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(٢) ، ولم يقل « على » كما ظن بعضهم ؛ لأن « على » للاستعلاء ، والمصلوب لا يجعل على رءوس النخل ؛ وإنما يُصلب فى وسطها ، فكانت « فى » أحسن من « على » .

وقال : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٣)، ولم يقل « فى الأرض » ؛ لأن عند الفناء ليس هناك حال القرار والتمكين .

وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾(٤) وقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾(٥) ، وما قال « على الأرض » ؛ وذلك لمّا وَصَفَ العباد بيّن أنهم لم يوطّنوا أنفسهم فى الدنيا؛ وإنما هم عليها مُسْتَوْفِزُون. ولمّا أرشده ونهاه عن فعل التبختر، قال : ولا تمش فيها مرحا ، بل امش عليها هَوْنا .

(١) سورة يوسف ١٠٠
(٢) سورة طه ٧١
(٣) سورة الرحمن ٢٦
(٤) سورة الفرقان ٦٣
(٥) سورة الإسراء ٣٧ ، لقمان ١٨

وقال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلمؤْمِنِينَ ﴾(١) .

وقال ابن عباس: الحمد لله الذى قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٢)، ولم يقل: «فى صلاتهم».

وقال صاحب الكشاف فى قوله تعالى : ﴿ وَمِن بَيْنِنَا وبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾(٣) : لو سقطت « من » جاز كونُ الحجاب فى الوسط ، وإن تباعدت. وإذا أتيت بـ « من » أفادت أن الحجاب ابتداء من أول ما ينطلق عليه « من » ، وانتهى إلى غايته ، فكأن الحجاب قد ملأ ما بينك وبينه(٤) .

وقال : كرّر الجار فى قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾(٥) ليكون أدلّ على شدة الختم فى الموضعين ، حين استجدّ له تعدية أخرى .

وهذا كثير لا يمكن إحصاؤه ؛ والمعين عليه معرفة معانى المفردات ، فلنذكر مهمات مطالبها على وجه الاختصار .

---

(١) سورة التوبة ٦١

(٢) سورة الماعون ٥

(٣) سورة فصلت ٥

(٤) الكشاف ٤ : ١٤٤ ــ ١٤٥

(٥) سورة البقرة ٧

(٦) الكشاف ١ : ٤١

الهمزة

أصلها الاستفهام ، وهو طلب الإفهام . وتأتى لطلب التصور والتصديق ، بخلاف «هل» فإنها للتصوُّر خاصة . والهمزة أغلب دوَرانا ، ولذلك كانت أم الباب .

واختصّت بدخولها على الواو ، نحو : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا ﴾[1] .

وعلى الفاء ، نحو : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى ﴾[2] .

وعلى ثُمّ ، نحو : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾[3] .

و«هل» أظهر فى الاختصاص بالفعل من الهمزة ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[4] ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ مُنتَهُونَ ﴾[5] ، و ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[6] ؛ فذلك لتأكيد الطلب للأوصاف الثلاثة ؛ حيث أن الجملة الإسمية أدلّ على حصول المطلوب وثبوته ؛ وهو أدلّ على طلبه من « فهل تشكرون » « وهل تسلمون » لإفادة التجدد .

واعلم أنه يُعدَل بالهمزة عن أصلها ، فيُتجوز بها عن النفى والإيجاب والتقرير ، وغير ذلك من المعانى السالفة فى بحث الاستفهام مشروحة ، فانظره فيه .

مَسْأَلَة

[فى دخول الهمزة على « رأيت »]

وإذا دخلت على «رأيت» امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب ، وصارت بمعنى « أخبرنى » ، كقولك : « أرأيك زيدا ما صنع » ؟ فى المعنى تعدّى بحرف ، وفى اللفظ تعدّى بنفسه .

---

(١) سورة البقرة ١٠٠
(٢) سورة الأنبياء ٩٧
(٣) سورة يونس ٥١
(٤) سورة الأنبياء ٨٠
(٥) سورة المائدة ٩١
(٦) سورة هود ١٤

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾(١) .
﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾(٢) .
﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾(٣) .

مسألة

[في دخول الهمزة على « لم »]

وإذا دخلت على « لم » أفادت معنيين :

أحدهما : التنبيه والتذكير ، نحو : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾(٤) .

والثاني : التعجّب من الأمر العظيم ، كقولك : ألم تر إلى فلان يقول كذا ، ويعمل كذا ! على طريق التعجّب منه . وكيف كان فهي تحذير .

---

(١) سورة مريم ٧٧
(٢) سورة العلق ٩ ، ١٠
(٣) سورة الماعون ١
(٤) سورة الفرقان ٤٥

أم

حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل ، نحو أزيد عندك أم عمرو ؟

وقيل : إنما تُشرِك بين المتعاطفين كما تُشرِك بينهما « أو » .

وقيل : فيها معنى العطف . وهى استفهام كالألف[1] ؛ إلا أنها لا تكون فى أول الكلام لأجل معنى العطف .

وقيل : هى « أو » أبدلت [الميم][2] من الواو ، ليحوّل إلى معنى . يريد إلى معنى « أو » .

وهى قسمان : متصلة ومنفصلة :

فالمتّصلة هى الواقعة فى العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد، والمرادبها الاستفهام عن التعيين ؛ فلهذا يُقدَّر بأىّ . وشرطُها أن تتقدّمها همزةُ الاستفهام ، ويكون ما بعدها مفردا ، أو فى تقديره .

والمنفصلة ما فُقد فيها الشرطان أو أحدهما ، وتقدّر بـ « بل » والهمزة .

ثم اختلف النحاة فى كيفية تقدير المنفصلة فى ثلاثة مذاهب ، حكاها الصفّار :

أحدها : أنها تقدر بهما وهى بمعناها ، فتفيد الإضراب عمّا قبلها على سبيل التحول والانتقال كـ « بل » ، والاستفهام عما بعدها . ومن ثَمّ لا يجوز أن تستفهم مبتدئا كلامك بـ « أم » . ولا تكون إلا بعد كلام ، لإفادتها الإضراب ، كما تقدم .

قال أبو الفتح : والفارق بينها وبين « بل » أنّ مابعد « بل » منفىّ، وما بعد « أم » مشكوك فيه .

والثانى : أنها بمنزلة « بل » خاصة ، والاستفهام محذوف بعدها ، وليست مفيدة الاستفهام وهو قول الفراء فى « معانى القرآن » .

(١) فى الأصلين : « بالألف » ، صوابه من فقه اللغة لابن فارس ٧٩ .

(٢) من فقه اللغة .

والثالث : أنهـــا بمعنى الهمزة ، والإضراب مفهوم من أخذك فى كلام آخر وترك الأول .

قال الصفار : فأمّا الأول فباطل ؛ لأنّ الحرف لا يعطى فى حيّز واحد أكثر من معنى واحد ، فيبقى الترجيح بين المذهبين . وينبغى أن يرجّح الأخير ؛ لأنه ثبت من كلامهم : إنّها لإبلٌ أم شاء .

ويلزم على القول الثانى حـذف همزة الاستفهام فى الكلام ؛ وهو من مواضع الضرورة . قال : والصحيح أنها لا تخلو عن الاستفهام ؛ وكذلك قال سيبويه . انتهى .

* * *

واعلم أن المتصلة يصير معها الاسمان بمنزلة « أىّ » ، ويكون ماذكر خبراً عن « أىّ » ، فإذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فالمعنى : أيّهما عندك ؟ والظرف خبر لهما .

ثم المتصلة تكون فى عطف المفرد على مثله ، نحو أزيد عندك أم عمرو ؟ كقوله تعالى: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[1] ، أى أىّ المعبودين خير ؟ وفى عطف الجملة على الجملة المتأوّلتين بالمفرد ، نحو : ﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ ﴾[2] ، أى الحال هذه أم هذه ؟

والمنقطعة إنّما تكون على عطف الجمل ، وهى فى الخبر والاستفهام بمثابة « بل » والهمزة ، ومعناها فى القرآن التوبيخ ، كما كان فى الهمزة ، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[3] أى بل أتخذ ؟ لأن الذى قبلها[4] خبر ، والمراد بها التوبيخ لمن قال ذلك وَجَرْىٌ على كلام العباد .

وقوله : ﴿ الٓمٓ . تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[5] ثم قال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ

---

(١) سورة يوسف ٣٩ (٢) سورة الواقعة ٧٢

(٣) سورة الزخرف ١٦

(٤) وهو قوله تعالى فى الآية قبلها ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ .

(٥) سورة السجدة ١ ـ ٣

ٱفْتَرَاهُ ﴾ ، تقديره : بل أيقولون ؟ كذا جعلها سيبويه(١) منقطعة ، لأنها بعد الخبر .

ثم وجّه اعتراضا : كيف يستفهم اللهُ عن قولهم هذا؟ وأجيب بأنّه جاء فى كلام العرب؛ يريد أن فى كلامهم يكون المستفهم محققا للشيء لكن يورده بالنظر إلى المخاطب، كقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٢) ، وقد علم الله أنه لا يتذكر ولا يخشى؛ لكنه أراد : « لعله يفعل ذلك فى رجائكما » .

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾(٣)، تقديره : بل أتخذ ؟ بهمزة منقطعة للإنكار.

وقد تكون بمعنى « بل » من غير استفهام ، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٤) ، وما بعدها فى سورة النمل .

قال ابن طاهر(٥) : ولا يمتنع عندى إذا كانت بمعنى « بل » أن تكون عاطفة ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾(٦) ، وقوله : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ﴾(٧) .

وقال البغوىّ فى قوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾(٨) بمعنى « بل » وليس بحرف عطف ، على قول أكثر المفسرين .

وقال الفرّاء وقوم من أهل المعانى : الوقف على قوله « أم »، وحينئذ تَمّ الكلام، وفى الآية إضمار، والأصل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٩) أم تبصرون؟ ثم ابتدأ فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾(٨).

قلت : فعلى الأول تكون منقطعة ، وعلى الثانى متصلة .

وفيها قول ثالث ، قال أبو زيد : إنها زائدة، وإنّ التقدير: أفلا تبصرون أنا خير منه! والمشهور أنّها منقطعة، لأنه لا يسألهم عن استواء علمه فى الأول والثانى؛ لأنه إنما أدركه

---

(١) الكتاب ١ : ٤٨٤
(٢) سورة طه ٤٤
(٣) سورة الزخرف ١٦
(٤) سورة النمل ٦٠ ــ ١٤
(٥) هو محمد بن أحمد بن طاهر الإشبيلى أبو بكر ،كان من حذاق النحويين المتأخرين ، أخذ عنه ابن خروف ، ومصعب الخشنى ، وله تعليق على الإيضاح : توفى فى عشر الثمانين وخمسمائة . بغية الوعاة ١٢
(٦) سورة الطور ٣٠
(٧) سورة النمل ٢٠
(٨) سورة الزخرف ٥١
(٩) سورة الزخرف ٥٢

الشكّ في تبصّرهم بعد ما مضى كلامه على التقرير، وهو مثبت وجواب السؤال « بلى »، فلما أدركه الشكّ في تبصّرهم، قال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ .

وسأل ابن طاهر شيخَه أبا القاسم بن الرّماك: لِمَ لم يجعل سيبويه أم متصلة! أي «أفلا تبصرون أم تبصرون» ؟ أي أيّ هذين كان منكم ؟ فلم يُحر جوابا، وغضب وبقي جمعة لا يقرّر حتى استعطفه .

والجواب من وجهين : أحدهما أنه ظن أنهم لا يبصرون، فاستفهم عن ذلك، ثم ظنّ أنهم يبصرون، لأنه معنى قوله: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ ﴾ ، فأضرب عن الأول واستفهم، وكذلك : أزيد عندك أم لا ؟ .

والثاني : أنه لو كان الإبصار وعدمه عنده مُتَعَادِلَين لم يكن للبدء بالنفي معنى، فلا يصح إلا أن تكون منقطعة .

وقد تحتمل المتصلة والمنقطعة ، كما قال في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ كَيْداً ﴾(١) .

قال الواحدي: إن شئت جعلت قبله استفهاما رُدّ عليه، وهو قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾(٢) وإن شئت منقطعة عمّا قبلها مستأنفا بها الاستفهام ، فيكون استفهاما متوسطا في اللفظ ، مبتدأ في المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ . . . ﴾(٣) الآية ، ثم قال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾(٣) . انتهى .

والتحقيق ما قاله أبو البقاء: إنها هاهنا منقطعة؛ إذ ليس في الكلام همزة تقع موقعها، وموقع «أم» «أيّهما» والهمزة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ، ليست من «أم» في شيء، والتقدير: بل أتريدون أن تسألوا ؟ نخرج بـ « أم » من كلام إلى آخر(٤) .

---

(١) سورة البقرة ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١٠٦

(٣) سورة الزخرف ٥١ ، ٥٢

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٢٢

وقد تكون بمعنى «أو» كما فى قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُمْ ﴾[١] .

وقوله : ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا . أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾[٢] .

ومعنى ألف الاستفهام عند أبى عبيد ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾[٣] أى أتريدون ؟

وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾[٤] .

وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٥] ، أى أيحسدون ؟

وقوله : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾[٦] ، أى أزاغت عنهم الأبصار ؟

وقوله : ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾[٧] ، أى أله !

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾[٧] أى أتسألهم أجرا ؟

وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾[٨] ، قيل : أى أظننت هذا ؟ ومن عجائب ربك ماهو أعجب من قصّة أصحاب الكهف !

وقيل : بمعنى ألف الاستفهام ، كأنه قال : أحسبت ؟ وحسبت بمعنى الأمر ، كما تقول لمن تخاطبه : أعلمت أنّ زيدا خرج بمعنى الأمر ، أى اعلم أن زيدا خرج ، فعلى هذا التدريج يكون معنى الآية : اعلم يا محمد ، أن أصحاب الكهف والرقيم .

(١) سورة الملك ١٦ ، ١٧
(٢) سورة الإسراء ٦٨ ، ٦٩
(٣) سورة البقرة ١٠٨
(٤) سورة البقرة ٢١٤
(٥) سورة النساء ٥٤
(٦) سورة ص ٦٢ ، ٦٣
(٧) سورة الطور ٣٩ ، ٤٠
(٨) سورة الكهف ٩

وقال أبو البقاء فى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾(١) تقديره بل «أتخذا» بهمزة مقطوعة على الإنكار ، ولو جعلناه همزة وصل لصار إثباتاً : تعالى الله عن ذلك ! ولو كانت «أم» المنقطعة بمعنى «بل» وحدها دون الهمزة وما بعد «بل» متحقق، فيصير ذلك فى الآية متحققا ، تعالى الله عن ذلك !

مَسْأَلة

[فى ضرورة تقدّم الاستفهام على « أم »]

أم لا بدّ أن يتقدّمها استفهام أو مافى معناه . والذى فى معناه التّسوية ؛ فإن الذى يَستفهم ، استوى عنده الطرفان ؛ ولهذا(٢) يسأل ، وكذا المسئول استوى عنه الأمران.

فإذا ثبت هذا ؛ فإنّ المعادلة تقع بين مُفْردَيْن وبين جملتين ، والجملتان يكونان اسميتين وفعليّتين ؛ ولا يجوز أن يعادَلَ بين اسمية وفعلية ؛ إلّا أن تكون الاسمية بمعنى الفعلية، أو الفعلية بمعنى الاسمية ، كقوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾(٣) أى أم صمتم .

وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾(٤) ؛ لأنهم إذا قالوا له : أنت خير ، كانوا عنده بصراء ، فكأنه قال : أفلا تُبْصِرُونَ أم أنتم بصراء ؟

قال الصّفار : إذا كانت الجملتان مُوجَبتين قدّمت أيّهما شئت ، وإن كانت إحداهما منفيّة أخرتها ، فقلت : أقام زيد أم لم يقم ؟ ولا يجوز : ألم يقم ، أم لا ؟ ولا سواء علىّ ألم تقم أم قمت ! لأنهم يقولون : سواء علىّ أقمت أم لا ، يريدون : أم لم تقم ، فيحذفون لدلالة الأول ، فلا يجوز هذا : سواء علىّ أم قمت ، لأنه حذف من غير دليل ، فحملت سائر المواضع المنفية على هذا .

---

(١) سورة الزخرف ١٦
(٢) م : « سأل »
(٣) سورة الأعراف ١٩٣
(٤) سورة الزخرف ٥١ ، ٥٢

قال : فإنه لا بد أن يتقدمها الاستفهام أو التسوية ، بخلاف « أو » فإنّه يتقدمها كلّ كلام إلا التسوية ، فلا تقول: سواء علىّ قمت أو قعدت؛ لأن الواحد لا يكون «سواء» .

مسألة

قال الصّفار : ينبغى أن يُعلَمَ أنّ السؤال بـ « أو » غير السؤال بـ « أم » .

فإذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فجواب هـذا : زيد أو عمرو ، وجواب « أو » نعم ، أولا . ولو قلت فى جواب الأول : نعم ، أولا ، كان محالًا ، لأنك مدّعٍ أنّ أحدهما عنده .

فإن قلت : وهل يجوز أن تقول : زيد أو عمرو ، فى جواب : أقام زيد أو عمرو ؟

قلت : يكون تطوعا بما لا يلزم ، ولا قياس يمنعه .

وقال الزمخشرى[1] وابن الحاجب : وضع « أم » للعلم بأحدَ الأمرين ، بخلاف « أو » فأنت مع «أم» عالم بأن أحدهما عندَه ، مستفهِم عن التعيين، ومع « أو » مستفهم عن واحد منهما ، على حسب ما كان فى الخبر ، فإذا قلت : أزيد عندك أو عمرو ؟ فمعناه : هل واحد منهما عندك ؟ ومن ثَمّ كان جوابه بـ« نعم» أولا مستقيما، ولم يكن ذلك مستقيما فى « أم » لأن السؤال عن التعيين .

(١) المفصل ٣٥

إذن

نوعان :

الأول : أن تدلّ على إنشاء السببية والشرط ؛ بحيث لا يُفهم[1] الارتباط من غيرها ، نحو « أزورك فتقول : « إذن أكرمَك » ، وهى فى هـذا الوجه عاملة تدخل على الجملة الفعلية ، فتنصب المضارع المستقبل ؛ إذا صُدِّرت ، ولم تفصل ، ولم يكن الفعل حالا .

والثانى : أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم ، أو منبّهة على سبب حصل[2] فى الحال وهى فى الحال غير عاملة ؛ لأن المؤكدات لا يعتمد عليها ، والعامل يُعتمد عليه ، نحو « إن تأتنى إذن آتك » ، « واللهِ إذَنْ لأَفْعَلَنّ » ، ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط .

وتدخل هذه على الاسمية ، نحو أزورك فتقول : إن أنا أكرمك .

ويجوز توسطها وتأخرها .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنَ بَعْدِ مَاجَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[3] ، فهى مؤكدة للجواب ، وتربطه بما تقدم .

وذكر بعضُ المتأخرين لها معنى ثالثا ؛ وهى أن تكون مركبة من « إذ » التى هى ظرف زمن ماض ومن جملة بعدها تحقيقا أو تقديرا ، لكن حذفت الجملة تخفيفاً ، وأبدل التنوين منها ، كما فى قولهم : « حينئذ » .

وليست هذه الناصبة المضارع ؛ لأن تلك تختص به ، وكذلك ما عملت فيه ، ولا يعمل إلا ما يختص ، وهذه لا تختص به ، بل تدخل على الماضى نحو : ﴿ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4] ، و ﴿ إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنْفَاقِ ﴾[5] ، و ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ﴾[6] .

---

(١) ت : « يعلم »

(٢) ت : « جعل » .

(٣) سورة البقرة ١٤٥

(٤) سورة النساء ٦٧

(٥) سورة الإسراء ١٠٠

(٦) سورة الإسراء ٧٥

وعلى الاسم ، نحو : إن كنت ظالما فإذَنْ حكمُك فىّ ماضٍ ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(١) .

ورام بعض النحويين جعلها فيه بمعنى « بعد » .

* * *

واعلم أن هذا المعنى لم يذكره النحاة ، لكنه قياس قولهم: إنه قد تحذف الجملة المضاف إليها « إذ » . ويعوّض عنها التنوين كيومئذ ، ولم يذكروا حذف الجملة من « إذا » وتعويض التنوين عنها .

وقال الشيخ أبو حيّان : فى « التذكرة » : ذكر لى علم الدين البلقينى ، أن القاضى تقى الدين بن رزين ، كان يذهب إلى أن« إذن »عوض من الجملة المحذوفة . وليس هذا بقول نحوىّ . انتهى .

وقال القاضى ابن الجوينى : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال :أناآتيك : «إذنْ أكرمُك » بالرفع ، على معنى « إذا أتيتنى أكرمُك »فحذف« أتيتنى »وعوض التنوين عن الجملة ، فسقطت الألف لالتقاء الساكنين .

وقال : ولا يقدح فى ذلك اتفاق النحاة ، على أن الفعل فى مثل هذا المثال منصوب بـ « إذن » ؛ لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفا ناصبا للفعل ، ولا ينفى ذلك رفع الفعل بعده ، إذا أريد به « إذ » الزمانية معوضا عن جملته التنوين ، كما أنّ منهم مَنْ يجزم ما بعدها ، نحو : من يزرنى أكرمْه . يريد بذلك الشرطية ، ولا يمنع مع ذلك الرفع بها إذا أريد الموصولة ، نحو : مَنْ يزرونى أكرمِه .

قيل : ولو لا قول النحاة : إنه لا يعمل إلا ما يختص،وإن «إذن» عاملة فى المضارع، لقيل : إن « إذن » فى الموضعين واحدة ، وإن معناها تقييد ما بعدها بزمن أو حال؛لأن

---

(١) سورة الشعراء ٤٢

معنى قولهم : أنا أزروك ، فيقول السامع : إذن أكرمك ، هو بمعنى قوله : أنا أكرمك زمن أو حال أو عند زيارتك لى .

ثم عند سيبويه معناها الجواب ، فلا يجوز أن تقول : « إذن يقوم زيد » ابتداء ، من غير أن تجيب به أحدا .

وأما قوله تعالى: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[1] ،فيحمل على أنه لجواب مقدر، وأنه أجاب بذلك قوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] ، أى بأنعمنا ، فأجاب : لم أفعل ذلك كفرا للنعمة كما زعمت ، بل فعلتها وأنا غير عارف بأن الوكزة تقضى ، بدليل قراءة بعضهم : ﴿وَأَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

---

(١) سورة الشعراء ١٩ ، ٢٠

إذا

نوعان : ظرف ومفاجأة .

فالتى للمفاجأة نحو : خرجت فإذا السبع .

وتجىء اسما وحرفا ، فإذا كانت اسما كانت ظرف مكان ، وإذا كانت حرفا كانت من حروف المعانى الدّالة على المفاجأة ؛ كما أنّ الهمزة تدلّ على الاستفهام . فإذا قلت : خرجت فإذا زيدٌ ، فلك أن تقدر « إذا » ظرف مكان ، ولك أن تقدّرها حرفا ؛ فإن قدرتها حرفا كان الخبر محذوفا، والتقدير « موجود » ، وإن قدّرتها ظرفا كان الخبر ، وقد تقدم ؛ كما تقول : عندى زيد ، فتخبر بظرف المكان عن الجثة ، والمعنى : حيث خرجت فهناك زيد .

ولا يجوز أن يكون فى هذه الحالة ظرف زمان ؛ لامتناع وقوع الزمان خبرا عن الجثّة ، وإذا امتنع أن تكون للزمان تعين أن تكون مكانا. وقد اجتمعا فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(١) ، فإذا الأولى ظرفية ، والثانية مفاجأة .

وتجىء ظرف زمان وحق زمانها أن يكون مستقبلا ، نحو ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾(٢) .

وقد تستعمل للماضى من الزمان ، كـ « إذْ » كما فى قوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٣) ، لأن « قالوا » ماض ، فيستحيل أن يكون زمانه مستقبلا .

ومثله قوله تعـالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِى ٱلنَّمْلِ ﴾(٤) ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ

---

(١) سورة الروم ٤٨ (٢) سورة النصر ١

(٣) سورة آل عمران ١٥٦ (٤) سورة النمل ١٨

﴿ يُجَادِلُونَكَ ﴾(١) ، ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾(٢) ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾(٣) ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾(٤) ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾(٥) لأن الانفضاض واقع فى الماضى .

وتجىء للحال ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾(٦) ، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾(٧) ؛ والتقدير : والنجم هاويا ، والليل غاشيا ، والنهار متجليا ، فـ« إذا » ظرف زمان ، والعامل فيه استقرار محذوف فى موضع نصب على الحال ، والعامل فيها « أقسم » المحذوف .

وقد استشكل الزمخشرىّ تقديرَ العامل فى ذلك ، وأوضحه الشيخ أثير الدين ، فقال : إذا ظرف مستقبل ، ولا جائز أن يكون العامل فيه فعل القَسَم المحذوف ، لأن « أقسم » إنشائى فهو فى الحال ، وإذا لما يُستقبل فيأبى أن يعمل الحال فى المستقبل ؛ لاختلاف زمان العامل والمعمول . ولا جائز أن يكون ثَمّ مضاف أقيم المقسم به مقامه ، أى وطلوعَ النجوم ، ومجىء الليل ؛ لأنه معمول لذلك الفعل ، فالطلوع حال ، ولا يعمل فى المستقبل ، ضرورةَ أنّ زمان العامل زمان المعمول . ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به ، لأنه ليس من قبيل مايعمل ، ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف ، ويكون قدعمل فيه ، فيكون ذلك العامل فى موضع الحال ، وتقديره : والنجم كائنا إذا هوى ، والليل كائنا إذا يغشى ، لأنه يلزم « كائنا » ألّا يكون منصوبا بعامل ، إذ لا يصح ألّا يكون معمولا لشىء مما فرضناه أن يكون عاملا .

وأيضاً فيكون المقسم به جثة ، وظروف الزمان لا تكون أحوالا عن الجُثث ، كما لا تكون أخبارا لهنّ .

---

(١) سورة الأنعام ٢٥
(٢) سورة الكهف ٩٣
(٣) سورة الكهف ٩٦
(٤) سورة الكهف ٩٦
(٥) سورة الجمعة ١١
(٦) سورة النجم ١
(٧) سورة الليل ١ ، ٢

فأما الوجه الأول فهو الذى ذكره أبو البقاء، قال فى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[١]: العامل فى الظرف فعل القسم المحذوف ، تقديره : أُقسِمُ بالنجم وقت هُوِيّه[٢] .

وما ذكره الشيخ عليه من الإشكال فقد يجاب عنه بوجهين :

أحدهما : أن الزمانين لما اشتركا فى الوقوع المحقّق نُزِّلا منزلة الزمان الواحد؛ ولهذا يصحّ عطفُ أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ ﴾[٣] ، ثم قال : ﴿ وَيَجْعَلْ ﴾[٣] .

وهو قريب من جواب الفارسى، لما سأله أبو الفتح عن قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾[٤] مستشكلا إبدال « إذ » من « اليوم » فقال : « اليوم » حال و « ظلمتم » فى الماضى ، فقال : إنّ الدنيا والآخرة متّصلتان ، وإنهما فى حكم الله تعالى سواء[٥] فكأنّ « اليوم » ماض ، وكأن « إذ » مستقبله .

والثانى : أنه على ظاهره ، ولا يلزم ماذكر ، لأن الحال كما تأتى مقارنة، تأتى مقدرة، وهى أن تقدر المستقبل مقارنا ، فتكون أطلقت ما بالفعل على ما بالقوّة مجازا ، وجعلت المستقبل حاضرا ، كقوله تعالى : ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[٦] .

وأما الوجه الثانى ؛ فيمكن أن يقال: يجوز تقديره ، وهو العامل، ولا يلزم ماقال من اختلاف الزمانين؛ لأنه يجوز الآن أن يقسم بطلوع النجم فى المستقبل، ويجوز أن يقسم بالشىء الذى سيوجد .

وأما الوجه الأخير ، فهو الذى ذكره ابن الحاجب فى شرح « المفصل » فقال : إذا

---

(١) سورة النجم ١ (٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣٢

(٣) سورة الفرقان ١٠ ، والآية بتمامها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴾ .

(٤) سورة الزخرف ٣٩ (٥) ت : ٥ ١٠٠ .

(٦) سورة الزمر ٧٣

ثبت أنها لمجرد الظرفية ، فليست متعلقة بفعل القسم ، لأنه يصير المعنى : أقسم فى هذا الوقت، فهى إذن فى موضع الحال من الليل . انتهى .

وقد وقع فى محذور آخر ؛ وهو أن الليل عبارة عن الزمان المعروف ، فإذا جعلت « إذا » معمولة لفعل هو حال من الليل ، لزم وقوع الزمان فى الزمان ، وهو محال .

وقوله : « يلزم ألّا يكون له عامل » .

قلنا : بل له عامل ، وهو فعل القسم ، ولا يضرّ كونه إنشاء[1] لما ذكرنا أنها حال مقدّرة .

وأما الشبهة الأخيرة فقد سألها أبو الفتح، فقال: كيف جاز لظرف الزمان هنا أن يكون حالا من الجثة ، وقد علم امتناع كونه صلة له وصفة وخبرا !

وأجاب بأنها جرت مجرى الوقت الذى يؤخّر ويقدم. وهى أيضا بعيدة لا تنالها أيدينا، ولا يحيط علمنا بها فى حال نصبها، إحاطتنا بما يقرب منها، فجرت لذلك[2] مجرى المعدوم .

فإن قيل كيف جاز لظرف الزمان أن يكون حالا من النجم ؟

وأجاب : بأن مثل هذا يجوز فى الحال ، من حيث كان فضلة . انتهى .

وقد يقال : ولئن سلّمنا الامتناع فى الحال أيضا ، فيكون على حذف مضاف ، أى وحضورَ الليل ، وتجعله حالا من الحضور لا من الجثّة .

والتحقيق ـ وبه يرتفع الإشكال فى هذه المسألة ـ أن يُدّعى أن « إذا » كما تجرد عن الشرطية كذلك تجرّد عن الظرفية ،فهى فى هذه الآية الشريفة لمجرّد الوقت من دون تعلّق بالشيء تعلّقَ الظرفية الصناعية ، وهى مجرورة المحلّ هاهنا لكونها بدلا عن الليل ، كما جُرّتْ بـ« حتّى » فى قوله : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾[3] . والتقدير : أقسم بالليل وقت

(١) ت : « إنشائيا » .

(٢) ت : « كذلك » .

(٣) سورة الزمر ٧١

غشيانه ، أى أقسم بوقت غشيان الليل ، وهذا واضح .

فإن قلت : هل صار أحدٌ إلى تجرّدها عن الظرفية والشّرطية معا ؟

قلت : نعم نصّ عليه فى « فى التسهيل » ، فقال : وقد تفارقها الظرفية ، مفعولا بها ، أو مجرورة بحتى ، أو مبتدأ .

وعلم مما ذكرنا زيادة رابع ، وهو البدلية .

فائدة

وتستعمل أيضا للاستمرار ، كقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾(١) وقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٢) فهذا فيما مضى ، لكن دخلت «إذا» : لتدلّ على أنّ هذا شأنهم أبدا ومستمر فيما سيأتى ، كما فى قوله :

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيبا سُقِيتُ إِذَا تَغَوَّرَتِ ٱلنُّجُومُ(٣)

ثم فيه مسائل :

***

الأولى : المفاجأة عبارة عن موافقة الشىء فى حالٍ أنت فيها ، قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ، وقوله :﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾(٤) .

قالوا : ولا تقع بعد « إذا » المفاجأة إلا الجملة الاسمية ، وبعد « إذ » إلّا الفعل الماضى.

---

(١) سورة البقرة ١٤ (٢) سورة آل عمران ٥٦

(٣) البيت من شواهد المغنى ١ : ٨١ ، ونسبه فى الحاشية — نقلا عن تصحيف العسكرى — إلى البرج ابن مسهر الطائى .

(٤) سورة الروم ٣٦

ومذهب المبرّد ـ وتبعه أكثر المتأخرين ـ أن الفاجأة نقلها إلى المكان عن الزمان ومعنى الآية موافقة الثعبان لإلقاء موسى العصا فى المكان . وكذلك قولهم : خرجت فإذا السبع ، أى فإذا موافقة السبع ، وعلى هذا لا يكون مضافا إلى الجملة بعدها .

***

الثانية : الظرفية ضربان : ظرف مَحْض ، وظرف مضمّن معنى الشرط .

فالأول : نحو قولك : راحة المؤمن إذا دخل الجنة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾[1] .

ومنه « إذا كنتِ علىّ راضية » و «إذا كنتِ علىّ غضبى» ، لأنه لو كان فيها معنى الشرط ، لكان جوابها معنى ما تقدم ، ويصير التقدير الأوّل « إذا يغشى أقسم » فيفسد المعنى ، أو يصير القَسَم متعلّقا على شرط، لا مطلقا فيؤدى إلى أن يكونَ القَسَم غير حاصل الآن ؛ وإنما يحصل إذا وجد شرطه ، وليس المعنى عليه ، بل على حصول القسم الآن من غير تقييد . وكذا حكم : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[2] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[3] .

ومما يتمحض للظرفية العارية من الشرط قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[4] ، لأنّه لو كان فيها معنى الشرط لوجبت الفاء فى جوابها .

والضرب الثانى : يقتضى شرطاً وجواباً ، ولهذا تقع الفاء بعدها على حدّ وقوعها بعد « إن » ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا ﴾[5]. وكذا كثر وقوع الفعل بعد ماضى اللفظ مستقبل المعنى ، نحو : إذا جئتنى أكرمتك .

ومنه : « إذا قلتَ لصاحبك أنْصِت فقد لغوت » .

وتختص المضمّنة معنى الشرط بالفعل ، ومذهب سيبويه أنها لا تضاف إلا إلى جملة

---

(١) سورة الليل ١
(٢) سورة النجم ١
(٣) سورة الفجر ٤
(٤) سورة الشورى ٣٩
(٥) سورة الأنفال ٤٥

فعلية ، ولهذا إذا وقع بعدها اسم قدِّر بينه وبينها فعل ، محافظة على أصلها؛ فإن كان الاسم مرفوعا كان فاعلَ ذلك الفعل المقدر ، كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾(١) ، وإن كان منصوبا كان مفعولا والفاعل فيه أيضاً ذلك المقدّر ، كقوله :

* إذا ابنُ أبى موسى بلالًا بلغْتِهِ *

والتقدير : إذا بلغتِ .

ومنهم من منع اختصاصَها بالفعل ، لجواز : « إذا زيد ضربته » .

وعلى هذا فالمرفوع بعدها مبتدأ ، وهو قول الكوفيّين ، واختاره ابن مالك .

وعلى القولين فمحلّ الجملة بعدها الجر بالإضافة . والفاعل فيها جوابها. وقيل: ليست مضافة والعامل فيها الفعل الذى يليها ، لاجوابها .

تنبيـه : مما يفرّق فيه بين المفاجأة والمجازاة ، أنّ « إذا » التى للمفاجأة لا يبتدأ بها ، كقوله : ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾(٢) ، والتى بمعنى المجازاة يبتدأ بها ، نص عليه سيبويه ، فقال فى الأولى : إذا جواب بمنزلة الفاء ، وإنما صارت جوابا بمنزلة الفاء، لأنه لا يبدأ بها كما لا يُبدأ بالفاء .

قال ابن النحاس : ولكن قد عورِض سيبويه بأن الفاء قد تدخل عليها ، فكيف تكون عِوَضا منها ؟

والجواب أنها إنما تدخل توكيدا ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾(٣) ، فيحتمل أنها متمحضة الظرفية لعدم الفاء فى جوابها

(١) سورة الانشقاق ١ (٢) سورة الروم ٣٦
(٣) سورة الجاثية ٢٥

مع « ما » ، ويحتمل أن يكون « ما » جواب قسم مقدر ، لا جواب الشرط ، فلذلك لم يجئ بالفاء .

***

الثالثة : جوّز ابن مالك أن تجيء لا ظرفا ولا شرطا ، وهي الداخلة عليها « حتى » الجارة ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا ﴾(١) . أو الواقعة مفعولا ، كقوله عليه السلام: « إني لأعلم إذا كنتِ عليّ راضية » . وكما جاز تجردها عن الشرط جاز تجردها عن الظرف.

وتحصّل أنها تارة ظرف لما يُستقبل وفيها معنى الشرط، نحو: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾(٢)، وتارة ظرف مستقبل غير شرط، نحو: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾(٣)، وتارة ظرف غير مستقبل ، نحو: ﴿ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾(٤) وتارة لا ظرف ولا شرط، وتارة لا تكون اسم زمان ، وهي المفاجأة .

***

الرابعة : أصلُ « إذا » الظرفية لما يُستقبل من الزمان ؛ كما أنّ « إذْ » لما مضى منه ، ثم يتوسع فيها، فتستعمل في الفعل المستمرّ في الأحوال كلها: الحاضرة والماضية والمستقبلة. فهي في ذلك شقيقة الفعل المستقبل الذي هو يفعل حيث يفعل به نحو ذلك . قالوا : إذا استُعطِي فلانٌ أعطَى ، وإذا استُنصِر نَصَر ، كما قالوا : فلان يعطي الراغب ، وينصر المستغيث ، من غير قصد إلى تخصيص وقت دون وقت . قاله الزمخشري في كشافه القديم .

***

الخامسة : تجاب الشرطية بثلاثة أشياء :

---

(١) سورة الزمر ٧١
(٢) سورة الطلاق ١
(٣) سورة مريم ٦٦
(٤) سورة التوبة ٩٢

أحدها : الفعل ، نحو إذا جئتنى أكرمتك .

وثانيها : الفاء ، نحو إذا جئتنى فأنا أكرمك .

ثالثها : إذا المكانية ؛ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾[٢] .

وما قبلها إمّا جوابها ، نحو إذا جئتنى أكرمتك ، أو ما دل عليه جوابها ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾[٣] . والمعنى : فإذا نفخ فى الصور تقاطعوا ، ودلّ عليه قوله : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ ﴾ .

وكذا قوله : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[٤] وإنما احتيج لهذا التقدير ؛ لأن ما بعد « ما » النافية فى مثل هذا الموضع لا يعمل فيه ما قبلها . وأيضاً فإن « بشرى » مصدر ، والمصدر لا يتقدم عليه ما كان فى صلته .

ومن ذلك قوله : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[١] ، فالعامل فى « إذا » الأولى مادلّ عليه ﴿ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ، والتقدير « خرجتم » . ولا يجوز أن يعمل فيه « تخرجون » لامتناع أن يعمل ما بعد « إذا » المكانية فيما قبلها، وحكمها فى ذلك حكم الفاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾[٥] ، فالعامل فى «إذا» ما دلّ عليه قوله : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ، والتقدير : فإذا نُقر فى الناقور صَعُب الأمر .

وقوله : ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ ﴾[٦] ، فالعامل

---

(١) سورة الروم ٢٥
(٢) سورة المؤمنون ٦٤
(٣) سورة المؤمنون ١٠١
(٤) سورة الفرقان ٢٢
(٥) سورة المدثر ٨ ، ٩
(٦) سورة سبأ ٧

فى « إذا » مادل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] من معنى « بُعثتم » أو « مبعوثون » .

فإن قيل : أيجوز نصب « إذا » بقوله « جديد » ، لأن المعنى عليه ؟

قيل: لا يجوز ، لامتناع أن يعمل ما بعد « إنّ » فيما قبلها،وهذا يسمى مجاوبة الإعراب، والمعنى للشيء الواحد وكان أبو على الفارسى يلمّ به كثيرا؛ وذلك أنه يوجد فى المنظوم والمنثور. والمعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ؛ وقد سبق بيانه فى نوع ما يتعلق بالإعراب.

* * *

السادسة : « إذَا » توافق « إنْ » فى بعض الأحكام ، وتخالفها فى بعض :

فأما الموافقة ؛ فهى إنّ كل واحد منهما يطلب شرطا وجزاء ، نحو ، إذا قمتَ قمتُ ، وإذا زرتنى أكرمتُك .

وكلّ واحدة منهما تطلب الفعل ، فإن وقع الاسم بعد واحدة منهما قُدّر له فعلٌ يرفعُه يفسّره الظاهر ؛ مثاله [فى إنْ] قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾[2] ، ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[4] . ومثاله فى « إذا » قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ ﴾[5] ، ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[6] وما بعدها فى السورة من النظائر ، وكذا قوله : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْفَطَرَتْ ﴾[7] وما بعدها من النظائر ، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾[8] .

وأما الأحكام التى تخالفها فنى مواضع :

---

(١) سورة سبأ ٧
(٢) سورة النساء ١٢٨
(٣) سورة النساء ١٧٦
(٤) سورة التوبة ٦
(٥) سورة الانشقاق ١
(٦) سورة التكوير ١
(٧) سورة الانفطار ١
(٨) سورة الواقعة ١

الأول : ألا تدخل إلا علَى مشكوك ؛ نحو إن جئتَنِى أكرمتُك، ولا يجوز: إن طلعت الشمس آتيك ؛ لأنّ طلوع الشمس متيقّن . ثم إن كان المتيقّن الوقوع مُبْهم الوقت ، جاز ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ ﴾(١) ، ونظائره .

وأما « إذا » فظاهر كلام النحاة ، يُشعر بأنها لا تدخل إلا على المتيقّن وما فى معناه ؛ نحو إذا طلعت الشمس فأتنى .

وقوله :

* إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّى إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ(٢) *

وقوله :

* إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ فَسَلِّمِى *

وذلك لكونها للزمن المعيّن بالإضافة على مذهب الأكثر ؛ ولم يجزموا بها فى الاختيار لعدم إبهامها ، كالشروط ، ولذلك وردت شروط القرآن بها ، كقوله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾(٣) ونظائرها السابقة ، لكونها متحققه الوقوع .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾(٤) ، فقد أشكل دخولها على غير الواقع .

وأجيب بأن التبديل محتمل وجهين :

أحدها : إعادتهم فى الآخرة ، لأنهم أنكروا البعث .

---

(١) سورة الأنبياء ٣٤

(٢) لأبى محجن الثقفى ؛ من أبيات فى تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٤ ، وبقيته :

* تُرَوِّى عِظَامِى بَعْدَ مَوْتِى عُرُوقُهَا *

(٣) سورة التكوير ١ (٤) سورة الإنسان ٢٨

والثانى : إهلاكهم فى الدنيا وتبديل أمثالهم؛ فيكون كقوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾(١)؛ فإن كان المراد فى الدنيا ، وجب أن يجعل هذا بمعنى « إن » الشرطية ؛ لأنّ هذا شىء لم يكن ، فهى مكان « إن » ، لأنّ الشرط يمكن أن يكون وألّا يكون ، ألا ترى إلى ظهورها فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾(١)،﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾(٢)، وإنما أجاز لـ « إذا » أن تقع موقع « إن » لما بينهما من التداخل والتشابه .

وقال ابن الجوينى : الذى أظنه أنه يجوز دخولها على المتيقّن والمشكوك ، لأنها ظرف وشرط ، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك، كـ « إن » وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقّن كسائر الظروف .

وإنما اشترط فيما تدخل عليه «إن » أن يكون مشكوكا فيه ؛ لأنها تفيد الحثّ على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء ، ويمتنع فيه لامتناع الجزاء ، وإنما يُحَثّ على فعل ما يجوز ألّا يقع ، أما ما لابدّ من وقوعه فلا يحثّ عليه . وإنما امتنع دخول « إذا » على المشكوك إذا لحظت فيها الظرفية ، لأن المعنى حينئذٍ التزام الجزاء فى زمان وجود الشرط ، والتزام الشىء فى زمان لا يعلم وجود شرط فيه ليس بالتزام . ولما كان الفعل بعد « إن » مجزوما به يستعمل فيه ماينبىء عن تحققه ، فيغلب لفظ الماضى ، كقوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾(٣) ؛ فجىء بـ « إذا » جانب الحسنة ، و بـ « إن » فى جانب السيئة ؛ لأن المراد بالحسنة جنس الحسنة ، ولهذا ت ، وحصولُ الحسنة المطلقة مقطوع به ، فاقتضت البلاغة التعبير بـ « إذا » وجىء بـ « إن » فى جانب السيئة ، لأنها نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، كالمرض بالنسبة إلى الصحة ، والخوف بالنسبة إلى الأمن .

(١) سورة النساء ١٣٣ (٢) سورة سبأ ٩

(٣) سورة الأعراف ١٣١

ومنه قوله تعالى فى سورة الروم: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[2] .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ ﴾[3]، بلفظ « إذا » مع « الضر » فقال السكاكى : نظر فى ذلك إلى لفظ المسّ ، وتنكير « الضرّ » المفيد للتعليل ليستقيم التوبيخ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر ، وللتنبيه على أن مسّ قَدْرٍ يسير من الضرّ لأمثال هؤلاء ، حقّه أن يكون فى حكم المقطوع به .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾[4]، بعد قوله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾[4] ، أى أعرض عن الشكر ، وذهب بنفسه وتكبّر . والذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير للمعرض المتكبّر لا لمطلق الإنسان ، ويكون لفظ « إذا » للتنبيه على أنّ مثل هذا المعرض المتكبّر يكون ابتلاؤه بالشرّ مقطوعاً به.

الثانى : من الأحكام المخالفة أنّ المشروط بـ « إنْ » إذا كان عدماً لم يمتنع الجزاء فى الحال ؛ حتى يتحقق اليأس من وجوده ، ولو كان العدم مشروطا بـ « إذا » وقع الجزاء فى الحال ؛ مثل : إن لم أطلقك فأنت طالق ، لم[5] تطلق إلا فى آخر العمر . وإذا قال : إذا لم أطلقك فأنت طالق، تطلق فى الحال ؛ لأن معناه : أنت طالق فى زمان عدم تطليقى لك ، فأىّ زمان تخلّف عن التطليق يقع فيه الطلاق . وقوله : « إن لم أطلقك » تعليق للطلاق على امتناع الطلاق ، ولا يتحقق ذلك إلا بموته غير مطلّق .

الثالث: أنّ « إن » تجزم الفعل المضارع إذا دخلت عليه، و« إذا » لا تجزمه؛ لأنها لا تتمحض شرطا، بل فيها معنى التزام الجزاء فى وقت الشرط، من غير وجوب أن يكون معلّلا بالشرط .

(١) سورة الروم ٣٦
(٢) سورة الروم ٤٨ ، ٤٩
(٣) سورة الزمر ٨
(٤) سورة فصلت ٥١
(٥) ت : « لا » .

وقد جاء الجزم بها إذا أريد بهـا معنى « إن » وأعرض عما فيهـا من معنى الزمان ، كقوله :

* وَإِذَا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ *

الرابع : أن « إذا » هل تفيد التـكرار والعموم ؟

فيه قولان ، حـكاهما ابن عصفور :

أحدهما : « نعم » ، فإذا قلت : إذا قام زيد قام عمرو ، أفادت أنه كلّما قام زيد قام عمرو .

والثانى : لا يلزم .

قال : والصحيح أن المراد بها العموم كسائر أسماء الشرط، وأما « إن » ففيها كلام عن ابن جنى يأتى فى باب « إن » .

الخامس : أنك تقول: أقوم إذا قام زيد، فيقتضى أن قيامَك مرتبط بقيامه لا يتقدم عليه ولا يتأخّر عنه ، بل يعاقبه على الاتصال، بخلاف: أقوم إن قام زيد؛ فيقتضى أن قيامَك بعد قيامه . وقد يكون عَقِبه وقد يتأخر عنه .

فالحاصل أن التقييد بالاستقبال دون اقتضاء مباعدة، بخلاف « إذا » . ذكره أبو جعفر ابن الزبير فى كتابه ملاك التأويل.

* * *

السابعة: قيل: قد تأتى زائدة، كقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾(١)؛ تقديره: انشقت السماء، كما قال : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾(٢) ، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾(٣) .

وردّ هذا بأن الجواب مضمَر .

---

(١) سورة الانشقاق ١ — (٢) سورة القمر ١

(٣) سورة النحل ١

ويجوز مجيئها بمعنى « إذ » وجعل منه ابن مالك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾[١] .

وردّ بفوات المعنى ، لأن « إذا » تفيد أنّ هذا حالهم المستمرّ ، بخلاف « إذ » فإنها لاتعطى ذلك .

وقولهم : « إذا فعلت كذا » ، فيكون على ثلاثة أضرب :

أحدها : يكون المأمور به قبل الفعل ، تقول: إذا أتيت البابَ، فالبس أحسن الثياب، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾[٢] ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾[٣] .

الثانى : أن يكون مع الفعل ، كقولك : إذا قرأت فترسّل .

الثالث : أن يكون بعده، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٤]، ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ﴾[٥] .

فائدة

من الأسئلة الحسنة ، فى قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾[٦] أنّه يقال: لم أتى قبل « أضاء » بـ « كلّما » ؟

وقبل « أظلم » بـ « إذا » ؟ وما وجْه المناسبة فى ذلك ؟

وفيه وجوه : الأول أن تكرار الإضاءة يستلزم تكرار الإظلام ، فكان تنويع الكلام أعذَب .

---

(١) سورة الجمعة ١١
(٢) سورة المائدة ٦
(٣) سورة النحل ٩٨
(٤) سورة المائدة ٢
(٥) سورة الجمعة ٩
(٦) سورة البقرة ٢٠

الثانى : أن مراتب الإضاءة مختلفة متنوعة ، فذكر « كلما » تنبيهاً على ظهور التعدد وقوته لوجوده بالصورة والنوعية ، والإظلام نوع واحد ، فلم يؤتَ بصيغة التكرار لضعف التعدد فيه ، بعد ظهوره بالنّوعية ، وإن حصل بالصورة .

الثالث : قاله الزمخشرىّ ، وفيه تكلّف ـ أنهم لما اشتدّ حرصُهم على الضوء المستفاد من النور، كانوا كلّما حدث لهم نور تجدّد لهم باعث الضوء فيه ، لا يمنعهم من ذلك تقدّم فقده واختفاؤه منهم ، وأما التوقّف بالظلام فهو نوع واحد .

وهذا قريب من الجواب الثانى ، لكنّه بمادة أخرى . ويفترقان بأن جواب الزمخشرىّ يرجع التكرار فيه إلى جواب « كلّما » لا إلى مشروطها الذى يليها ويباشرها ، فطلب تكراره ـ وهو الأولى فى مدلول التكرار ، والجواب المتقدم يرجع إلى تكرار مشروطها، يتبعه الجواب من حيث هو ملزومه ، وتكرره فرع تكرر الأول .

الرابع: أن إضاءة البرق منسوبة إليه وإظلامه ليس منسوبا إليه، لأن إضاءته هى لمانه، والظلام أمرٌ يحدث عن اختفائه ؛ فتظلم الأماكن كظلام الأجرام الكثائف، فأتى بأداة التكرار عند الفعل المتكرر من البرق ، وبالأداة التى لا تقتضى التكرار عند الفعل الذى ليس متكرّراً منه ، ولا صادراً عنه .

الخامس : ذكره ابن المنيِّر ـ أن المراد بإضاءة البرق الحياة، وبالظلام الموت، فالمنافق تمرّ حاله فى حياته بصورة الإيمان ، لأنها دار مبنية على الظاهر ، فإذا صار إلى الموت رفعت له أعماله ، وتحقق مقامه ، فتستقيم « كلما » فى الحياة ، و« إذا » فى الممات ، وهكذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحيِنى ما دامت الحياة خيراً لى ، وأمتنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » ، فاستعمل مع الحياة لفظ التكرار والدوام ، واستعمل مع لفظ الوفاة لفظ الاختصار والتقييد .

وقيل : إن ذلك لأحد معنيين : إمّا لأنّ الحياة مأثورة لازدياد العمل الصالح الذى المهم العالية معقودة به ، فمرّض بالاستكثار منه ، والدوام عليه ، ونبّه على أنّ الموت لا يُتمنّى ، ولكن إذا نزل وقته رضى به . وإما لأن الحياة يتكرر زمانها، وأما الموت مرة واحدة .

وجواب آخر ، أنّ الكلام فى الأنوار هو الأصل المستمرّ ، وأما خَفَقَان البرق فى أثناء ذلك فعوارض تتصل بالحدوث والتكرار ، فناسب الإتيان فيها « بكلما » وفى تلك بـ « إذا » ، والله أعلم .

إذ

ظرف لماضى الزمان ، يضاف للجملتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾[١] ، وتقول : أيدك الله إذْ فعلت ؟

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾[٢] فـ « تَرَى » مستقبل ، « وإذ » ظرف للماضى ، وإنما كان كذلك لأن الشىء كائن ، وإن لم يكن بعد ؛ وذلك عند الله قد كان ؛ لأنّ علمه به سابق ، وقضاءه به نافذ ؛ فهو كائن لامحالة .

وقيل : المعنى : ولو ترى ندمَهم وخِزْيَهم فى ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار فـ « إذا » ظرف ماض ، لكن بالإضافة إلى ندمهم الواقع بعد المعاينة ، فقد صار وقت التوقف ماضيا بالإضافة إلى مابعده ، والذى بعده هو مفعول « ترى » .

وأجاز بعضُهم مجيئها مفعولا به ، كقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾[١] ، ومنعه آخرون ، وجعلوا المفعول محذوفاً ، و« إذ » ظرف ، عامله ذلك المحذوف ، والتقدير ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ إذاً ، واذكروا حالكم .

ونحوه قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ﴾[٣] ، قيل : قال له ذلك لمّا رفعه إليه .

وتكون بمعنى « حين » كقوله : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[٤] ، أى حينَ تُفيضون فيه .

وحرف تعليل ، نحو : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾[٥] ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾[٦] .

وقيلَ : تأتى ظرفا لما يستقبَل بمعنى « إذا » ، وخُرِّج عليه بعض ماسبق .

وكذا قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾[٧] وأنكره السُّهيلى ؛ لأن « إذا » لايجىء بعدها المضارع مع النفى .

---

(١) سورة الأنفال ٢٦
(٢) سورة الأنعام ٢٧
(٣) سورة آل عمران ٥٥
(٤) سورة يونس ٦١
(٥) سورة الزخرف ٣٩
(٦) سورة الأحقاف ١١
(٧) سورة غافر ٧٠ ، ٧١

وقد تجىء بعد القسم ، كقوله : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[1] لانعدام معنى الشرطية فيه.
وقيل : تجىء زائدة، نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾[2]. وقيل هى فيه بمعنى «قد».
وقد تجىء بمعنى «أن» ، حكاه السُّهيلىّ فى « الروض » عن نص سيبويه فى كتابه،
قال : ويشهد له قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3] .
وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[4] . قال : وغفل الفارسىّ عمّا فى الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذى بعد «لن» عاملا فى الظرف الماضى، فصار بمنزلة من يقول : سآتيك اليوم أمس[5].
قال : وليت شعرى ماتقول فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[6] ، فإن جوز وقوع الفعل فى الظرف الماضى على أصله ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها ؛ لاسيما مع السين وهو قبيح أن تقول : غداً سآتيك ! فكيف إن قلت : غدا فسآتيك ! فكيف إن زِدْتَ على «إذ» وقلت : أمس فسآتيك وإذ على أصله بمعنى أمس .

تنبيه

[فى وقوع « إذ » بعد « واذكر »]

حيث وقعت « إذ » بعد « واذكر » ، فالمراد به الأمر بالنظر إلى ما اشتمل عليه ذلك الزمان ، لغرابة ما وقع فيه ، فهو جدير بأن ينظر فيه . وقد أشار إلى هذا الزمخشرىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنْتَبَذَتْ ﴾[7] .
وقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾[8]، ونظائره .

---

(١) سورة الفجر ٤
(٢) سورة البقرة ٣٠
(٣) سورة آل عمران ٨٠
(٤) سورة الزخرف ٣٩
(٥) فى الكلام غموض .
(٦) سورة الأحقاف ١١
(٧) سورة مريم ١٦
(٨) سورة مريم ٤١ ، ٤٢

أو

تقع في الخبر والطلب ؛ فأمّا في الخبر فلها فيه معان :

الأول : الشكّ ، نحو قام زيد أو عمرو .

والثاني : الإبهام ، وهو إخفاء الأمر على السامع مع العلم به ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى ﴾[1] .

وقوله : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾[2] ، يريد : إذا أخذت الأرض زخرفها ، وأخذ أهلُها الأمن ، أتاها أمرنا وهم لا يعلمون . أي فجأة ؛ فهذا إبهام ؛ لأنّ الشكّ محال على الله تعالى .

وقوله : ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[3] .

فإن قلت : « يزيدون » فعل ، ولا يصحّ عطفه على المجرور بـ « إلى » ، فإنّ حرف الجرّ لا يصح تقديره على الفعل ، ولذلك لا يجوز : مررت بقائم ويقعد ، على تأويل : قائم وقاعد .

قلت : « يزيدون » خبر مبتدأ محذوف في محل رفع، والتقدير « أوهم يزيدون ». قاله ابن جني في « المحتسب » .

وجاز عطف الاسمية على الفعلية بـ « أو » لاشتراكهما في مطلق الجملة .

فإن قلت : فكيف تكون « أو » هنا لأحد الشيئين ، والزيادة لا تنفكّ عن المزيد عليه ؟

---

(١) سورة سبأ ٢٤

(٢) سورة يونس ٢٤

(٣) سورة الصافات ١٤٧

قلت : الأمر كذلك ، ولهذا قدروا في المبتدأ ضمير المائة ألف ، والتقدير : وأرسلناه إلى مائة ألف معها زيادة . ويحتمل أن تكون على بابها للشكّ ، وهو بالنسبة إلى المخاطب، أي لو رأيتموهم لعلمتم أنهم مائة ألف أو يزيدون .

الثالث : التنويع، كقوله تعالى: ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[1]، أي أن قلوبهم تارة تزداد قسوة، وتارة تردّ إلى قسوتها الأولى، فجيء بـ « أو » لاختلاف أحوال قلوبهم.

الرابع : التفصيل ، كقوله : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[2] ، أي قالت اليهود : لا يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا الذين هم نصارى. وكذلك قوله : ﴿ كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[3] .

الخامس : للإضراب كـ « بل »، كقوله: ﴿ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[4] ، و ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[5] على حدّ قوله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[6] .

السادس : بمعنى الواو ، كقوله : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾[7] .

﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[8] .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[9] .

* * *

وأما في الطلب فلها معان :

الأول : الإباحة ، نحو تعلّم فقها أو نحوا ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ . . . ﴾[10] الآية .

وكذلك قوله : ﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[11] ، يعني إن شُبّهت قلوبهم بالحجارة فصواب ، أو بما هو أشدّ فصواب .

---

(١) سورة البقرة ٧٤
(٢) سورة البقرة ١١١
(٣) سورة البقرة ١٣٥
(٤) سورة النحل ٧٧
(٥) سورة الصافات ١٤٧
(٦) سورة النجم ٩
(٧) سورة المرسلات ٥ ، ٦
(٨) سورة طه ٤٤
(٩) سورة طه ١١٣
(١٠) سورة النور ٦١

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[1] ، ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾[1]
والمعنى أن التمثيل مباح فى المنافقين إن شبّهتموهم بأىّ النوعين .

قوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2] إباحة لإيقاع أحد الأمرين .

الثانى : التخيير ، نحو خذ هذا الثوب أو ذاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَاءِ . . . ﴾[3] الآية ؛ فتقديره : « فافعل » ؛ كأنه خيّر على تقدير الاستطاعة أن يختار أحدَ الأمرين ؛ لأنّ الجمع بينهما غير ممكن .

والفرق بينهما أن التخيير فيما أصله المنع ؛ ثم يرد الأمر بأحدهما ؛ لا على التعيين ، ويمتنع الجمع بينهما . وأما الإباحة فأنْ يكون كلّ منهما مباحًا ويطلب الإتيان بأحدهما ؛ ولا يمتنع من الجمع بينهما ؛ وإنما يذكر بـ « أو » لئلا يُوهم بأن الجمع بينهما هو الواجب لو ذكرت الواو ؛ ولهذا مثّل النحاة الإباحة بقوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ... ﴾[4]. وقوله : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[5] ؛ لأنّ المراد به الأمر بأحدهما رفقًا بالمكلّف ؛ فلو أتى بالجمع لم يمنع منه ؛ بل يكون أفضل .

وأما تمثيل الأصوليين بآيتى الكفّارة والفِدْية للتخيير مع إمكان الجمع ؛ فقد أجاب عنه صاحب « البسيط »[6] بأنه إنما يمتنع الجمع بينهما فى المحظور ؛ لأن أحدَهما ينصرف إليه الأمرُ ، والآخر يبقى محظوراً لا يجوز له فعله ؛ ولا يمتنع فى خصال الكفارة ؛ لأنه يأتى بما عدا الواجب تبرعاً ؛ ولا يمنع من التبرع .

* * *

واعلم أنّه إذا ورَد النهى على الإباحة جاز صرفُه إلى مجموعهما ؛ وهو ما كان يجوز فعله ؛ أو إلى أحدهما وهو ما تقتضيه « أو » .

---

(١) سورة البقرة ١٧ ، ١٩
(٢) سورة طه ٤٤
(٣) سورة الأنعام ٣٥
(٤) سورة المائدة ٨٩
(٥) سورة البقرة ١٩٦
(٦) البسيط فى شرح الكافية للأستراباذى

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾(١) ؛ فليس المراد منه النهى عن إطاعة أحدهما دون الآخر ؛ بل النهى عن طاعتهما مفردين أو مجتمعين، وإنما ذكرت « أو » لئلا يُتَوَهَّم أن النهى عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان .

وقال ابن الحاجب : استشكل قوم وقوع « أو » فى النهى فى هـذه الآية ، فإنه لو انتهى عن أحدهما لم يمتثل ، ولا يعدّ ممتثلا ؛ إلا بالانتهاء عنهما جميعاً !

فقيل : إنها بمعنى « الواو » . والأولى أنها على بابها ؛ وإنما جاء التعميم فيهـا من القرينة ، لأن المعنى قبـل وجود النهى : « تطيع آثما أو كفوراً » ، أى واحداً منهما ؛ فإذا جاء النهىُ ورد على ما كان ثابتاً فى المعنى ؛ فيصير المعنى : « ولا تطع واحداً منهما »، فيجئ التعميم فيهما من جهة النهى الداخل ؛ وهى على بابهـا فيما ذكرناه ، لأنه لا يحصل الانتهاء عن أحدهما حتى ينتهىَ عنهما ؛ بخلاف الإثبات ؛ فإنه قد يفعل أحدهما دون الآخر .

قال : فهذا معنى دقيق ، يُعْلَمُ منه أنّ « أو » فى الآية على بابها ، وأنّ التعميم لم يجئ منها ؛ وإنما جاء من جهة المضموم إليها . انتهى .

ومن هذا ـ وإن كان خبرا ـ قولُه تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾(٢) ؛ لأن الميراثَ لايكون إلا بعد إنفاذ الوصية والدَّيْن ؛ وُجِد أحدُهما أو وجدا معا .

وقال أبو البقاء فى « اللباب »(٣) : إن اتصلتْ بالنهى وجب اجتناب الأمرين عند النحويين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾(٤) ، ولو جُمِع بينهما لفُعِل المنهىّ عنه مرتين ؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما أحدهما .

وقال فى موضع آخر: مذهب سيبويه أنّ « أو » فى النهى نقيضية « أو » فى الإباحة؛

---

(١) سورة الإنسان ٢٤ (٢) سورة النساء ١١

(٣) اللباب فى علل البناء والإعراب ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٤) سورة الإنسان ٢٤

فقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، إذنٌ فى مجالستهما ومجالسة من شاء منهما ، فضدّه فى النهى «لاتطع منهم آثما أو كفوراً» ، أى لاتُطِـعْ هذا ولا هذا ؛ والمعنى : لاتطعْ أحدَهما ، ومن أطاع منهما كان أحدهما ؛ فمن هاهنا كان نهيا عن كلّ واحد منهما ، ولو جاء بالواو فى الموضعين أو أحدهما لأوهم الجمع .

وقيل : «أو» بمعنى الواو ؛ لأنه لو انتهى عن أحدهما لم يعد ممتثلا بالانتهاء عنهما جميعا.

قال الخطيبىّ[1] : والأولى أنّها على بابها ؛ وإنّما جاء التعميم فيها من النهى الّذى فيه معنى النفى ، والنكرةُ فى سياق النفى تعمّ ؛ لأن المعنى قبل وجود النهى : « تطيع آثما أو كفورا » ، أى واحدا منهما ، فالتعميم فيهما ؛ فإذا جاء النهى ورد على ما كان ثابتا ؛ فالمعنى : لاتطع واحدا منهما فسمّى التعميم فيهما من جهة النهى ، وهى على بابها فيما ذكرناه ؛ لأنه لايحصل الانتهاء عن أحدهما ؛ حتى ينتهىَ عنهما ؛ بخلاف الإثبات ؛ فإنه قد ينتهى عن أحدهما دون الآخر .

تنبيهات

الأول : روى البيهقىّ فى سننه فى باب الفدية بغير النعَّم ، عن ابن جريج ، قال : كل شىء فى القرآن فيه «أو» للتخيير ، إلا قوله تعالى : ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾[2] ، ليس بمخيّر فيهما .

قال الشافعىّ : وبهذا أقول .

***

الثانى : من أجل أنّ مبناها على عدم التشريك ، أعاد الضمير إلى مفرديْها بالإفراد ؛

(١) هو محمد بن مظفر الخطيبى ، شمس الدين . كان إماما فى العلوم العقلية والنقلية ؛ شرح التلخيص ؛ مات سنة ٧٤٥ . بغية الوعاة ١٠٦

(٢) سورة المائدة ٣٣

بخلاف الواو ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[١] ، فقد قيل : إنّ «أو» بمعنى الواو ؛ ولهذا قال : ﴿بهما﴾ ، ولو كانت لأحد الشيئين لقيل «به».

وقيل : على بابها ، ومعنى ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً ﴾ : إن يكن الخصمان غنيّين أو فقيرين، أو منهما ، أى الخصمين على أىّ حال كان ؛ لأنّ ذلك ذُكِر عقيب قوله : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ ﴾[١] يشير للحاكم والشاهد ، وذلك يتعلق باثنين .

وقيل : الأولوية المحكوم بها ثابتة للمفردَيْن معا ، نحو: جاءنى زيد أو عمرو ورأيتهما، فالضمير راجع إلى الغنىّ والفقير المعلومَيْن من وجوه الكلام ؛ فصار كأنه قيل : فالله أوْلى بالغنىّ والفقير .

ويستعمل ذلك المذكور وغيره ؛ ولو قيل : « فالله أولى به » ، لم يشمله ، ولأنه لمّا لم يخرج المخلوقون عن الغنى والفقر، صار المعنى: افعلوا ذلك، لأن اللهأوْلى ممن خلق؛ ولو قيل: أولى به ، لعاد إليه من حيث الشهادة فقط .

---

(١) سورة النساء ١٣٥

إنْ

المكسورة الخفيفة

ترد لمعان :

الأول : الشرطية ، وهو الكثير ، نحو : ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾(١) . ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾(٢) .

ثم الأصل فيه عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط ، كقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾(٣) ، وعيسى جازم بعدم وقوع قوله .

وقد تدخل على المتيقّن وجوده إذا أبهم زمانه ، كقوله : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾(٤) .

وقد تدخل على المستحيل ، نحو : ﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾(٥) .

ومن أحكامها أنها للاستقبال ، وأنها تخلّص الفعل له وإن كان ماضيا ، كقولك : إن أكرمتَني أكرمتُك ، ومعناه : إن تكرمني . وأما قولهم : إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس ، وقوله : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾(٦) ، فقيل : معنى « أكرمتني اليوم » يكون سببا للإخبار بذلك، وإن ثبت كان قميصه قدّ من قُبُل يكون سببا للإخبار بذلك .

قاله ابن الحاجب . وهي عكس « لو » فإنها للماضي ، وإن دخلت على المضارع .

مسألة

إن دخلت « إن » على « لم » يكن الجزم بـ« لم » لا بها ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا ﴾(٧)

(١) سورة الأنفال ٢٩
(٢) سورة الأنفال ٣٨
(٣) سورة المائدة ١١٦
(٤) سورة الأنبياء ٣٤
(٥) سورة الزخرف ٨١
(٦) سورة يوسف ٢٦
(٧) سورة المائدة ٧٣

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾(١) ، وإن دخلت على « لا » كان الجزم بها لا بـ « لا » ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي ﴾(٢) .

والفرق بينهما أن « لم » عامل يلزم معموله ، ولا يفرق بينهما بشيء ، و «إن» يجوز أن يفرق بينها وبين معمولها معمول معمولها ، نحو : إن زيدا يضرب أضربه .

وتدخل أيضاً على الماضى فلا تعمل فى لفظه ، ولا تفارق العمل ، وأما « لا » فليست عاملة فى الفعل ، فأضيف العمل إلى « إن » .

* * *

الثانى : بمنزلة «لا». وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله فى الأنعام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾(٣) ، بدليل « ما » فى الجاثية : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾(٥) .

﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾(٦) .

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾(٧) .

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾(٨) .

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾(٩) .

﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾(١٠) .

﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾(١١) .

وعلى الجملة الفعلية ، نحو : ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾(١٢) .

---

(١) سورة البقرة ٢٤

(٢) سورة هود ٤٧

(٣) سورة الأنعام ٢٩

(٤) سورة الجاثية ٢٤

(٥) سورة فاطر ٢٣

(٦) سورة الملك ٢٠

(٧) سورة الطارق ٤

(٨) سورة المجادلة ٢

(٩) [illegible]

(١٠) سورة إبراهيم ١١

(١١) سورة إبراهيم ١٠

(١٢) سورة التوبة ١٠٧

﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[١] .

﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾[٢] .

﴿ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣] .

﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[٤] .

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٥] .

وزعم بعضهم أن شرط النافية مجئ « إلا » فى خبرها ، كهذه الآيات ، أو « لما » التى بمعناها ، كقراءة بعضهم : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٦] ، بتشديد الميم ، أى ما كلّ نفس إلا عليها حافظ .

﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٧] .

﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٨] .

ورُدّ بقوله : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴾[٩] .

﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ﴾[١٠] .

﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[١١] .

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[١٢] .

وأما قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾[١٣] ، فالتقدير: وإن أحد من أهل الكتاب .

---

(١) سورة الكهف ٥
(٢) سورة النساء ١١٧
(٣) سورة الإسراء ٥٢
(٤) سورة يس ٢٩
(٥) سورة البقرة ٩٣
(٦) سورة الطارق ٤
(٧) سورة يس ٣٢
(٨) سورة الزخرف ٣٥
(٩) سورة الأنبياء ١١١
(١٠) سورة الأنبياء ١٠٩
(١١) سورة يونس ٦٨
(١٢) سورة البقرة ٩٣
(١٣) سورة النساء ١٥٩

وأما قوله : « وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ »[1]، فالأولى شرطية والثانية نافية ، جواب للقَسَم الذى أذنت به اللام الداخلة على الأولى ، وجواب الشرط محذوف وجوبا .

واختلف فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾[2] ، فقال الزمخشرىّ وابن الشّجرىّ : إنْ نافية ، أى فيما ما مكنا كم فيــه ، إلا أنّ « إن » أحسنُ فى اللفظ لما فى مجامعة مثلها من التكرار المستبشَع ، ومثله يُتجنب . قالا : ويدلّ على النفى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾[3] .

وحكى الزمخشرى أنها زائدة ، قال : والأول أنجم .

وقال ابن عطية : « ما » بمعنى « الذى » و « إن » نافيــة وقعت مــكان « ما » فيختلف اللفظ ، ولا تتصل ما بـ « ما » ، والمعنى : لقد أعطيناهم من القوة والغنى مالم نعطكم ، ونالهم بسبب كفرهم هذا العقاب ، فأنتم أحرى بذلك إذا كفرتم .

وقيل : إن شرطية ، والجواب محذوف ، أى الذى إن مكناكم فيه طغيتم .

وقال : وهذا مطرح فى التأويل .

وعن قطرب أنها بمعنى « قد » . حكاه ابن الشجرى .

ويحتمل النكرة الموصوفة .

واعلم أن بعضهم أنكر مجىء النافية ، وقال فى الآيات السابقة إنّ « ما » محذوفة والتقدير : « ما إن الكافرون إلا فى غرور » ، « ما إن تدعون » ، « ما إن أدرى » ، ونظائرها ، كما قال الشاعر :

---

(١) سورة فاطر ٤١
(٢) سورة الأحقاف ٢٦
(٣) سورة الأنعام ٦

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَـكنْ   منايانا ودُولَة آخرينا[1]

فحذفت « ما » اختصاراً كما حذف « لا » في ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾[2] .

***

الثالث : مخففة من الثقيلة ، فتعمل في اسمها وخبرها ، ويلزم خبرها اللام، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3] .

ويكثر إهمالها ، نحو : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[4] .

﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[5] .

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[6] ؛ في قراءة مَنْ خَفّف « لمّا » ، أي أنه كلُّ نفس لَعَلَيْها حافظ .

***

الرابع : للتعليل بمعنى « إذ » عند الكوفيين ، كقوله : ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[7] ، قال بعضهم : لم يخبرهم بعلوهم إلّا بعد أن كانوا مؤمنين .

وقوله : ﴿ اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[8] .

قال بعضهم : لو كانت للخبر لكان الخطاب لغير المؤمنين .

وكذا : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾[9] ونحوه ؛ مما الفعل فيه محقق الوقوع ؛ والبصريون يمنعون ذلك ، وهو التحقيق ، كالمعنى مع « إذا » .

وأجابوا عن دخولها في هذه المواطن لنكتة ، وهي أنه من باب خطاب التهييج ، نحو : إن كنت ولدي فأطعني .

---

(١) لفروة بن مسيك ؛ وهو من شواهد الكتاب ١ : ٤٧٥ (٢) سورة يوسف ٨٥
(٣) سورة هود ١١١ (٤) سورة الزخرف ٣٥
(٥) سورة يس ٣٢ (٦) سورة الطارق ٤
(٧) سورة آل عمران ١٣٩ (٨) سورة البقرة ٢٧٨
(٩) سورة البقرة ٢٣

وأما قوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ ﴾[1] ، فالاستثناء مع تحقق الدخول تأدبا بأدب الله فى المشيئة . والاستثناء من الداخلين ؛ لا من الرؤيا ؛ لأنه كان بين الرؤيا وتصديقها سَنَة ، ومات بينهما خلق كثير ، فكأنه قال : كلكم إن شاء الله .

* * *

الخامس : بمعنى « لقد » فى قوله : ﴿ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[2] ، أى لقد كنا .

﴿ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[3] .

و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾[4] .

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[5] .

فائدة

ادّعى ابن جنى فى كتاب « القد » أنّ « إن » الشرطية تفيد معنى التكثير لما كان فيه هذا الشياع والعموم ؛ لأنه شائع فى كل مرة . ويدلّ لذلك دخولُها على « أحد » التى لا يُستعمل إلا فى النفى العام ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[6] ؛ لأنّه ليس فى واحد يقتصر عليه ، فلذلك أدخل عليه « أحد » ، الذى لا يستعمل فى الإيجاب .

قال : يجوز أن تكون « أحد » هنا ليست التى للعموم ، بل بمنزلة « أحد » من

(١) سورة الفتح ٢٧
(٢) سورة يونس ٢٩
(٣) سورة الإسراء ١٠٨
(٤) سورة الصافات ٥٦
(٥) سورة الشعراء ٩٧
(٦) سورة التوبة ٦

« أحد وعشرين » ونحوه ، إلا أنه دخله معنى العموم ، لأجل « إن » كما فى قوله : ﴿ وَإِنِ آمْرَأَةٌ ﴾[1] ﴿ إِنِ آمْرُؤٌ ﴾[2] .

تنبيه

قيـــل : قد وقع فى القرآن الكريم « إنْ » بصيغة الشرط ، وهو غير مراد ، فى مواضع :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[7] .

وقد يقال : أما الأولى فيَمتنع النهى عن إرادة التحصّن، فإنهنّ إذا لم يردن التحصّن يردن البغاء ، والإكراه على المراد ممتنع .

وقيل : إنّها بمعنى « إذا » ، لأنه لا يجوز إكراههنّ على الزنا إن لم يردن التحصّن، أو هو شرط مقحم ، لأن ذكر الإكراه يدلّ عليه ، لأنهنّ لا يكرهْنَهُنّ إلا عند إرادة التحصين . وفائدة إيجابه المبالغة فى النهى عن الإكراه ؛ فالمعنى : إن أردن العفة فالمولى أحق بإرادة ذلك .

---

(١) سورة النساء ١٢٨
(٢) سورة النساء ١٧٦
(٣) سورة النور ٣٣
(٤) سورة النحل ١١٤
(٥) سورة البقرة ٢٨٣
(٦) سورة النساء ١٠١
(٧) سورة الطلاق ٤

وأما الرابعة فهو يشعر بالإتمام ، ولا نسلّم أن الأصل الإتمام ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها: « فرضت الصلاة ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيدت صلاة الحضَر » .

وأما البواقى فظاهر الشرط ممتنع فيه ، بدليل التعجب المذكور ، لكنه لا يمنع مخالفة الظاهر لعارض .

أَنْ

المفتوحة الهمزة ، الساكنة النون

ترد لمعان :

الأول : حرفاً مصدرياً ناصبا للفعل المضارع ، وتقع معه فى موقع المبتدأ ، والفاعل ، والمفعول ، والمضاف إليه .

فالمبتدأ ، يكون فى موضع رفع ، نحو : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(١) .

﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(٢) ، ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾(٣) .

﴿ وَأَنْ تَعفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٤) .

والفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا ﴾(٥) .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾(٦) .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾(٧) ، فى قراءة من نصب « جواب » .

وتقع معه موقع المفعول به ، فيكون فى موضع نصب ، نحو : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ ﴾(٨) .

﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾(٩) .

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾(١٠) .

---

(١) سورة البقرة ١٨٤
(٢) سورة النساء ٢٥
(٣) سورة النور ٦٠
(٤) سورة البقرة ٢٣٧
(٥) سورة التوبة ١٢٠
(٦) سورة يونس ٢
(٧) سورة الأعراف ٨٢
(٨) سورة يونس ٣٧
(٩) سورة المائدة ٥٢
(١٠) سورة الكهف ٧٩

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ ﴾[2] .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[3] .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ ﴾[4] ، معناه « بأن أنذر » ، فلما حذفت الباء تعدّى الفعل فنصب .

ومنه فى أحد القولين : ﴿ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[5] ؛ نصب على البدل من قوله : ﴿ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾[5] .

والمضاف إليه ، فيكون فى موضع جر كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ ﴾[6] ، ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾[7] أى من قبل إتيانك .

وإنما لم ينصب فى قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾[8]، وإن كان المعنى: لوحينا لأن الفعل بعدها لم يكن مستحقا للإعراب ، ولا يستعمل إلا أن تعمل فيه العوامل .

وقد يعرض لـ «أن» هذه حذف حرف الجر، كقوله تعالى: ﴿ الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ﴾[9]، أى بأن يقولوا، كما قدرت فى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ ﴾[10] ، أى بأنّ لهم . ومذهب سيبويه أنها فى موضع نصب ، ونفاها الخليل على أصل الجر .

وتقع بعد «عسى»، فتكون مع صلتها فى تأويل مصدر منصوب، إن كانت ناقصة؛ نحو: عسى زيد أن يقوم .

---

(١) سورة الزمر ١٢
(٢) سورة الأنعام ٣٥
(٣) سورة النساء ٢٨
(٤) سورة نوح ١
(٥) سورة المائدة ١١٧
(٦) سورة الأنعام ٦٥
(٧) سورة الأعراف ١٢٩
(٨) سورة يونس ٢
(٩) سورة العنكبوت ١ ، ٢
(١٠) سورة البقرة ٢٥

ومثله : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾(١) .

وتكون فى تأويل مصدر مرفوع إن كانت تامة ، كقولك : عسى أن ينطلق زيد ، ومثله : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا ﴾(٢) .

* * *

الثانى : مخففة من الثقيلة ، فتقع بعد فعل اليقين وما فى معناه ، ويكون اسمها ضمير الشأن ، وتقع بعدها الجملة خبرا عنها ، نحو ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾(٣) .

﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ﴾(٤) .

﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(٥) .

﴿ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ ﴾(٦) .

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا ﴾(٧) .

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٨) .

وجعل ابن الشجرىّ منه : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾(٩) ، أى أنه يا إبراهيم .

* * *

الثالث : مفسرة بمنزلة « أىّ » التى لتفسير ماقبلها، بثلاثة شروط : تمام ماقبلها من الجملة، وعدم تعلقها بما بعدها، وأن يكون الفعل الذى تفسره فى معنى القول ، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾(٩)، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(١٠)، ﴿وَأَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾(١١)

(١) سورة الإسراء ٨
(٢) سورة البقرة ٢١٦
(٣) سورة طه ٨٩
(٤) سورة المزمل ٢٠
(٥) سورة المائدة ٧١
(٦) سورة الأعراف ١٨٥
(٧) سورة الجن ١٦
(٨) سورة يونس ١٠
(٩) سورة الصافات ١٠٤
(١٠) سورة المؤمنين ٢٧
(١١) سورة البقرة ١٢٥

قال ابن الشجرى : تكون هذه فى الأمر خاصة ، وإنما تجيئها بعد كلام تامّ، لأنها تفسير ولا موضعَ لها من الإعراب ؛ لأنها حرف يعبّر به عن المعنى .

وخرج بالأول ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] ؛ لأن الكلام لم يتمّ ، فإنّ ما قبلها مبتدأ وهى فى موضع الخبر ؛ ولا يمكن أن تكون ناصبة ، لوقوع الاسم بعدها بمقتضى أنها المخففة من الثقيلة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا ﴾[2] ؛ فقيل : إنها مفسّرة ، لأنّ الانطلاق متضمّن لمعنى القول .

وقال الخليل : يريدون أنهم انطلقوا فى الكلام بهذا ، وهو امشوا ، أى أكثروا يقال : أمشى الرجل ومشى ، إذا كثرت ماشيته ، فهو لا يريد : انطلقوا بالمشى الذى هو انتقال ؛ إنما يريد : قالوا هذا .

وقيل : عبارة عن الأخذ فى القول فيكون بمنزلة صريحه ، وأن مفسرة . وقيل مصدرية .

فإن قيل : قد جاءت بعد صريح القول، كقوله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[3] .

قلنا : لا دلالة فيه ، لاحتمال أنها مصدرية .

وقال الصفّار : لا تتصور المصدرية هنا بمعنى « إلّا عبادة الله » ، لأن القول لا يقع بعده المفرد ؛ إلا أن يكون هو المقول بنفسه ، أو يكون فى معنى المقول ، نحو : قلت خبرا وشعرا ، لأنهما فى معنى الكلام ، أو يقول : قلت « زيدا » ، أى هذا اللفظ ، وهذا لا يمكن فى الآية ؛ لأنهم لم يقولوا هذه العبارة ، فثبت أنها تفسيرية ، أى اعبدوا الله .

---

(١) سورة يونس ١٠ (٢) سورة ص ٦

(٣) سورة المائدة ١١٧

وقال السِّيرافى : ليست « أن » تفسيرا للقول ، بل للأمر ، لأن فيه معنى القول ، فلو كان «وما قُلْتُ لهم إلا ما قلت لى أن اعبدوا الله » لم يجز لذكر القول .

* * *

الرابع : زائدة ، وهى تختص بعد « لما » التوقيتية ، كقوله تعالى فى سورة العنكبوت : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا … ﴾[1] بدليل قوله فى سورة هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾[2]، فجاءت على الأصل .

وأما قوله ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾[3] ، فجئ بـ « أن » ولم يأت على الأصل من الحذف ؛ لأنه لما كان مجىء البشير إلى يعقوب عليه السلام بعد طول الحزن وتباعد المدة ، فناسب ذلك زيادة « أن » ، لما فى مقتضى وصفها من التراخى .

وذهب الأخفش إلى أنها قد تنصب الفعل ، وهى مزيدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[4] ، ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا ﴾[5] «وأن» فى الآيتين زائدة بدليل: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾[6] .

* * *

الخامس : شرطية فى قول الكوفيين، كقوله: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ ﴾[7]، قالوا : ولذلك دخلت الفاء .

* * *

السادس : نافية بمعنى « لا » فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ ﴾[8] ، أى لا يؤتى أحد . والصحيح أنها مصدرية .

---

(١) سورة العنكبوت ٣٣
(٢) سورة هود ٧٧
(٣) سورة يوسف ٩٦
(٤) سورة البقرة ٢٤٦
(٥) سورة الحديد ١٠
(٦) سورة المائدة ٨٤
(٧) سورة البقرة ٢٨٢
(٨) سورة آل عمران ٧٣

وزعم المبرّد أن «يؤتى» متصل بقوله : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[1]، واللام زائدة .

وقيل : إن « يؤتى » فى موضع رفع ، أى إن الهدى أن يؤتى .

* * *

السابع : التعليل ، بمنزلة « لئلا » ، كقوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[2] .

وقال البصريون : على حذف مضاف ، أى كراهة أن تضلوا .

وكذا قوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ ﴾[4]

* * *

الثامن : بمعنى « إذ » مع الماضى ، كقوله : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ ﴾[5] .

وقيل : بل المعنى « لأن جاءهم » ، أى من أجله .

قيل : ومع المضارع ، كقوله : ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[6] ، أى إذا آمنتم . والصحيح أنها مصدرية .

وأجاز الزمخشرى أن تقع « أن » مثل « ما » فى نيابتها عن ظرف الزمان ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[7] ، وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ﴾[8] .

وردّ بأن استعمالها للتعليل مجمع عليه ، وهو لائق فى هاتين الآيتين ، والتقدير « لأن آتاه » و « لئلا يصدقوا » .

---

(١) سورة آل عمران ٧٣
(٢) سورة النساء ١٧٦
(٣) سورة الأنعام ١٥٦
(٤) سورة الزمر ٥٦
(٥) سورة ق ٣
(٦) سورة الممتحنة ١
(٧) سورة البقرة ٢٥٨
(٨) سورة النساء ٩٢

إنّ

المكسورة المشدّدة

لها ثلاثة أوجه :

أحدها : للتأكيد ، نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١) .

وللتعليل ، أثبته ابن جنى من النحاة ، وكذا أهل البيان ، وسبق بيانه فى نوع التعليل من قسم التأكيد .

وبمعنى « نعم » فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾(٢) فيمن شدد النون .

قال أبو إسحاق : عرضت هذا على محمد بن يزيد ، وإسماعيل بن إسحاق ، فرضياه .

وقال ابن بَرهان : كأنهم أجمعوا بعد التنازع على قذف النبيين بالسحر ، صلى الله عليهما !

وعبارة غيره : هى بمعنى «أجَل» وإن لم يتقدم سؤال عن سحرهم، فقد تقدم: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ﴾(٣) فتكون على هذا القول مصروفة إلى تصديق ألسنتهم فيما ادّعوه من السحر .

واستضعفه الفارسى بدخول اللام فى خبر المبتدأ ، وهو لا يجوز إلا فى ضرورة .

فإن قدّرت مبتدأ محذوفا ـ أى فهما ساحران ـ فمردود ؛ لأن التأكيد لا يليق به الحذف .

وقيل : دخلت اللام فى خبر المبتدأ مراعاة للفظ ، أو لما كانت تدخل معها فى الخبرية .

وقيل : جاء على لغة بنى الحارث ، فى استعمال المثنى بالألف مطلقا .

---

(١) سورة الأحزاب ١

(٢) سورة طه ٦٣

(٣) سورة طه ٥٧

أنّ

المفتوحة المشدّدة

تجىء للتأكيد كالمكسورة. واستشكله بعضهم، لأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم تُفد توكيدا . وهو ضعيف لما علم من الفرق بين « أنْ والفعل » والمصدر .

وقال فى المفصّل : إنّ وأنّ تؤكدان مضمونَ الجملة : إلا أن المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها ، [والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد[1]] .

قال ابن الحاجب: لأن وضع « إنّ » تأكيد للجملة من غير تغيير لمعناها، فوجب أن تستقل بالفائدة بعد دخولها ، وأما المفتوحة فوضعها وضع الموصولات ، فى أن الجملة معها كالجملة مع الموصول؛ فلذلك صارت مع جملتها فى حكم الخبر، فاحتاجت إلى جزء آخر ليستقلّ معها بالكلام، فتقول: إنّ زيدا قائم، وتسكت. وتقول: أعجبنى أنّ زيدا قائم، فلا تجد بدّا من هذا الجزء الذى معها ، لكونها صارت فى حكم الجزء الواحد ، إذ معناه : أعجبنى قيام زيد ، ولا يستقل بالفائدة مالم ينضمّ إليه جزء آخر ، فكذلك المفتوحة مع جملتها . ولذلك وقعت فاعلة ومفعولة ومضافا إليها ، وغير ذلك مما تقع فيه المفردات .

ومن وجوه الفرق بينهما أنه لاتصدّر بالمفتوحة الجملة كما تصدّر بالمكسورة ، لأنها لو صدّرت لوقعت مبتدأ ، والمبتدأ معرّض لدخول « إنّ » فيؤدى إلى اجتماعهما .

ولأنها قد تكون بمعنى « لعلّ » كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] وتلك لها صدر الكلام ، فقصدوا إلى أن تكون هذه مخالفة لتلك فى الوضع .

---

(١) المفصل ٢٩٣ ، والتكملة منه . (٢) سورة الأنعام ١٠٩

إنما

لقصْر الصّفة على الموصوف ، أو الموصوف على الصّفة ، وهى للحصر عند جماعة ، كالنفى والاستثناء .

وفرّق البيانيون بينهما ، فقالوا : الأصل أن يكون ما يستعمل له « إنما » مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ؛ كقولك : إنّما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم ؛ لمن يعلم ذلك ويقرّ به . وما يستعمل له النفى والاستثناء ، على العكس ، فأصله أن يكون مما يجهله المخاطب وينكره ، نحو : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾[1] .

ثم إنه قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ، فيستعمل له النفى والاستثناء ، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ . . . ﴾[2] الآية ، ونحو : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[3] والرسل ما كانوا على دفع البشرية عن أنفسهم وادعاء الملائكية ؛ لكن الكفّار كانوا يعتقدون أنّ الله لا يرسل إلا الملائكة ، وجعلوا أنهم بادعائهم النبوّة ينفُون عن أنفسهم البشرية ، فأخرج الكلام مخرج ما يعتقدون ، وأخرج الجواب أيضاً مخرج ما قالوا ، حكايةً لقولهم ، كما يحكِي المجادِل كلامَ خَصْمه ، ثم يكرّ عليه بالإبطال ، كأنه قيل : الأمر كما زعمتم أننا بشر ، ولكن ليس الأمر كما زعمتم[4] من اختصاص الملائكة بالرسالة ، فإن الله يبعث من الملائكة رسلًا ومن الناس .

وقد ينزّل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهورَه ، فيستعمل له « إنما » ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[5] ، فإنّ كونَهم مصلحين منتفٍ فهو مجهول ، بمعنى أنه لم يعلم بينهم صلاح[6] ، فقد نسبوا الإصلاح إلى أنفسهم ، وادّعوا أنهم كذلك ظاهر جلىّ ، ولذلك جاء الردّ عليهم مؤكّداً من وجوه .

---

(١) سورة آل عمران ٦٢
(٢) سورة آل عمران ١٤٤
(٣) سورة إبراهيم ١٠
(٤) ت : « اعتقدتم »
(٥) سورة البقرة ١١
(٦) ت « إصلاح »

إلى

لانتهاء الغاية ، وهي مقابلة « مِنْ » . ثم لا يخلو أن يقترن بها قرينة تدلّ على أن ما بعدها داخل فيما قبلها ، أو غير داخل . وإن لم يقترن بها قرينة تدلّ على أن ما بعدها داخل فيما قبلها أو غير داخل ، فيصار إليه قطعا ، وإن لم يقترن بها .

واختلف فى دخول مابعدها فى حكم ما قبلها على مذاهب :

أحدها : لا تدخل إلا مجازا ، لأنّها تدلّ على غاية الشيء ونهايته التى هى حدّه ، وما بعد الحدّ لايدخل فى المحدود ؛ ولهذا لم يدخل شيء من الليل فى الصوم فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[1] .

الثانى : عكسه ، أى أنه يدخل ولا يخرج إلا مجازا ، بدليل آية الوضوء .

والثالث : أنها مشتركة فيهما لوجود الدخول وعدمه .

والرابع : إن كان ما بعدها من جنس ماقبلها أو جزءا كالمرافق ، دخل ، وإلا فلا .

والحق أنه لايطلق ، فقد يدخل نحو : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾[2] ، وقد لايدخل نحو : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[1] .

وقيل فى آية المرافق : إنها على بابها، وذلك أن المرفق هو الموضع الذى يتكئ الإنسان عليه فى رأس العضُدوذلك هو المفصل وقرينه، فيدخل فيه مفصل الذراع، ولا يجب فى الغسل أكثر منه .

وقيل : « إلى » تدل على وجوب الغسل إلى المرافق، ولا ينبغى وجوب غسل المرفق؛

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ (٢) سورة المائدة ٦

لأن الحدّ لا يدخل فى المحدود ، ولا ينفيه التحديد ، كقولك : سرت إلى الكوفة ، فلا يقتضى دخولها ولا ينفيه ، كذلك المرافق ؛ إلا أنّ غسله ثبت بالسنة .

ومنشأ الخلاف فى آية الوضوء أن « إلى » حرف مشترك ، يكون للغاية والمعيّة ، واليد تطلق فى كلام العرب على ثلاثة معان : على الكفّين فقط ، وعلى الكف والذراع والعضد ، فمن جعل «إلى» بمعنى «مع» ، وفهم من اليد مجموع الثلاثة، أوجب دخوله فى الغسل ، ومن فهم من « إلى » الغاية ، ومن اليد ما دون المرفق لم يدخلها فى الغسل .

قال الآمدىّ : ويلزم مِنْ جعلها بمعنى «مع» أن يُوجب غسلها إلى المنكب، لأن العرب تسميه يدا .

وقد تأتى بمعنى «مع» كقوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى ٱللَّهِ ﴾(١) .

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾(٢) .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾(٣) .

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾(٤) .

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾(٥) .

وقيل : ترجع إلى الانتهاء ، والمعنى فى الأول : من يضيف نصرته إلى نصرة الله ؟ وموضعها حال ، أى مَنْ أنصارى مضافا إلى الله ؟ .

والمعنى فى الأخرى : ولا تضيفوا أموالكم إلى أموالهم، وكنى عنه بالأكل كما قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾(٦) أى لا تأخذوا .

وقد تأتى للتبيين ، قال ابن مالك : وهى المعلّقة فى تعجب أو تفضيل بحبّ أو بغض .

---

(١) سورة آل عمران ٥٢
(٢) سورة هود ٥٢
(٣) سورة النساء ٢
(٤) سورة المائدة ٦
(٥) سورة البقرة ١٤
(٦) سورة البقرة ١٨٨

... كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ... إِلَيَّ ﴾[1] .

... ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾[2] . وقيل : الانتهاء ... والأمر إليك .

... مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ... موافقة « فى » فى قوله

... أَنْ تَزَكَّىٰ ﴾[4] ، وقيل ... بل أدعوك إلى أن تزكى .

... القراءة بعضهم : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ... إِلَيْهِمْ ﴾[5] بفتح الواو .

... « ... » بمعنى « تميل » .

تنبيه

... إلى ... تستعمل اسما ... من إليك ، كما يقال :

... ابن عصفور فى ... عن ابن الأنبارى .

... ابن ... على ... ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ

ٱلنَّخْلَةِ ﴾ ... ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ ... إلى ... حرف جر بالإجماع ،

... « ... » .

... ذلك من القاعدة المشهورة ... لا يتعدى إلى ضمير متصل .

... المدلول واحد ، فلا تقول : ... ذلك إلا فى باب ظن ،

... الحرف كالمنصوب ... : هززت إلىّ ، ولا

(١) سورة ... ٣٣
(٤) ... النازعات ١٨
(٦) سورة مريم ٢٥

أَلَا

بالفتح والتخفيف

تأتى للاستفتاح ، وفائدته التنبيه على تحقيق ما بعدها [illegible]

إلا مصدَّرة بنحو ما يتلقى به القسم ، نحو : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾[1] .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾[2] .

﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾[4] .

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[5] .

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾[6] .

وتأتى مركبة من كلمتين : همزة الاستفهام ولا النافية .

والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحقيقا ، كقوله تعالى : ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[7] .

وقوله : ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[8] .

والتقدير أنهم ليسوا بمتقين ، وليسوا بآكلين .

وللعرض وهو طلب بلين ، نحو : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[9] .

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾[10] .

---

(١) سورة البقرة ١٢
(٢) سورة فصلت [illegible]
(٣) سورة هود ١٨
(٤) سورة هود [illegible]
(٥) سورة هود ٧
(٦) سورة هود ٥
(٧) سورة الشعراء ١١
(٨) سورة الذاريات [illegible]
(٩) سورة النور ٢٢
(١٠) سورة التوبة ١٣

ألّا

بالفتح والتشديد

حرف تحضيض ، مركبة من « أن » الناصبة و « لا » النافية ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾(١) ، ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾(٢) .

ثم قيل : المشدّدة أصل والمخفّفة فرع . وقيل بالعكس .

وقيل : الهمزة بدل من الهاء ، وبالعكس ، حكاه ابن هشام الخضراوى(٣) فى حاشية سيبويه .

إلا

ترد لمعان :

الأول : الاستثناء . وينقسم إلى متصل، وهو ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه ، نحو جاء القوم إلا زيدا . وإلى منقطع ، وهو ما كان من غير جنسه .

وتقدّر بـ «لكن» ، كقوله : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾(٤) .

و ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٦) فى سورة الانشقاق .

و ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾(٧) ، فى آخر الغاشية .

---

(١) سورة النمل ٣١ (٢) سورة النمل ٢٥

(٣) هو محمد بن يحيى بن هشام الخضراوى ، أبو عبد الله الأنصارى الخزرجى ، أخذ عن ابن خروف والشلوبين وتوفى سنة ٦٤٦ بغية الوعاة ١١٥

(٤) سورة الغاشية ٢٢ ، ٢٣ (٥) سورة الفرقان ٥٧

(٦) سورة الانشقاق ٢٥ (٧) سورة الغاشية ٢٣

وكذلك : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[1] ، ودخول الفاء فى: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ﴾ دليل انقطاعه ، ولو كان متصلا لتم الكلام عند قوله : « رسولٍ » .

وقوله : ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[2]. ويجوز أن تكون ﴿ تذكرة ﴾ بدلا من ﴿ لِتَشْقَىٰ ﴾[3] ، وهو منصوب بـ « أنزلنا »[3] تقديره: ماأنزلنا عليك القرآن إلاتذكرة.

وقوله : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ . إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4] ، فابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعم التى تجزى .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[5] . فقولهم : ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ ليس بحق يوجب إخراجهم .

وقوله : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ٱلضَّرَرِ ﴾[6] ، لاحرج عليهم فى قعودهم ؛ وإنما كان منقطما ؛ لأن القاعد عن ضرر ـ وإن كانت له نية الجهاد ـ ليس مستويا فى الأجر مع المجـاهد ، لأن الأجر على حسب العمل ، والمجاهد يعمل ببدنه وقلبه ، والقاعد بقلبه .

وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[7]، إذ لو كان متصلا لـكان المعنى : فهل آمنت قرية إلا قوم يونس ، فلا يؤمنون ! فيـكون طلب الإيمان من خلاف قوم يونس، وذلك باطل، لأن الله تعالى يطلب من كلّ شخص الإيمان، فدلّ على أن المعنى : لـكن قوم يونس .

---

(١) سورة الجن ٢٧ وبقيتها : ﴿ فإنَّه يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ .

(٢) سورة طه ٣

(٣) من قوله تعالى فى الآية قبلها : ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ .

(٤) سورة الليل ١٩ ، ٢٠ (٥) سورة الحج ٤٠

(٦) سورة النساء ٩٥ (٧) سورة يونس ٩٨

وقال الزجاج : يمكن اتصاله لأن قوله : ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فى المعنى نفى ، فإن الخطاب لما يقع منه الإيمان ، وذلك إذا كان الكلام نفيا ، كان ما بعد « إِلّا » يوجب إنكاره. قال : ما من قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس .

وقد رد عليه الآمدى بأن جَعْل « إلا » منقطعة عما قبلها لغة فصيحة، وإن كان جعلها متصلة أكثر ، وحَمْل الكلام على المعنى ليس بقياس .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنَ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾(١) ، فإن « من رحم » بمعنى المرحوم ليس من جنس العاصمين ؛ وإنما هو معصوم ، فدلّ على أنها بمعنى « لكن » .

فإن قيل : يمكن اتصاله على أن ﴿ مَنْ رحم ﴾ بمعنى « الراحم » أى الذى يرحم ، فيكون الثانى من جنس الأول .

قيل : حَمْل هذه القراءة على القراءة الأخرى ، أعنى قراءة ﴿ رُحِمَ ﴾ بضم الراء ، حتى يتفق معنى القراءتين .

* * *

الثانى : بمعنى « بل » كقوله تعالى : ﴿ طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً ... ﴾(٢) ، أى بل تذكرة .

* * *

الثالث : عاطفة بمعنى « الواو » فى التشريك ، كقوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾(٣) ، معناه « ولا الذين ظلموا » .

وقوله : ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾(٤) ، أى ومن ظلم . وتأوّلها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

* * *

---

(١) سورة هود ٤٣
(٢) سورة طه ١ ـ ٣
(٣) سورة البقرة ١٥٠
(٤) سورة النمل ١٠ ، ١١

الرابع : بمعنى «غير» إذا كانت صفة . ويعرب الاسم بعد « إلا » إعراب « غير » كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] ، وليست هنا للاستثناء . وإلا لـكان التقدير : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، وهو باطل .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾[2] ، فلو كان استثناء لـكان من غير الجنس ؛ لأن « أنفسهم » ليس شهوداً على الزنا ؛ لأن الشهداء على الزنا يعتبر فيهم العدد ، ولا يسقط الزنا المشهود به بيمين المشهود عليه .

وإذا جعل وصفا فقد أمن فيـه مخالفة الجنس فـ « إلّا » هى بمنزلة « غير » لا بمعنى الاستثناء ؛ لأن الاستثناء إما من جنس المستثنى منه أو من غير جنسه . ومَنْ توهم فى صفة الله واحدا من الأمرين فقد أبطل .

قال الشيخ عبدالقاهر الجرجانى: هذا توهم منه، وخاطر خطر من غير أصل؛ ويلزم عليه أن تـكون « إلا » فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[4] استثناء ، وأن تـكون بمنزلة «غير» ، وذلك لا يقوله أحد ؛ لأنّ «إلا» إذا كانت صفة، كان إعراب الاسم الواقع بعدها إعرابَ الموصوف بها، وكان تابعا له فى الرفع والنصب والجرّ .

قال : والاسم بعد «إلا» فى الآيتين منصوب كما ترى ، وليس قبل «إلا» فى واحد منهما منصوب بإلا .

واعلم أنه يوصف بما بعـد «إلا» ، سواء كان استثناء منقطعا أو متصلا . قال المبرّد والجرمىّ فى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[5] ، لو قرئ بالرفع «قليل» على الصفة لـكان حسنا والاستثناء منقطع .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٢
(٢) سورة النور ٩٠
(٣) سورة الشعراء ٧٧
(٤) سورة الإسراء ٦٧
(٥) سورة هود ١١٦

الخامس : بمعنى « بدل » وجعل ابن الضائع منه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١)، أى « بدل الله » أى عوض الله؛ وبه يخرج على الإشكال المشهور فى الاستثناء ، وفى الوصف بـ « إلا » من جهة المفهوم .

بقى أن يقال : إن ابن مالك جعلها فى الآية صفة ، وأنها للتأكيد لا للتخصيص ، لأنه لو قيل : لو كان فيهما آلهة فسدتا ، لصحّ ؛ لأن الفساد مرتب على تعدد الآلهة .

فيقال : مافائدة الوصف المقتضى هاهنا للتأكيد ؟ وجوابه أن «آلهة» تدلّ على الجنس، أو على الجمع ، فلو اقتصر عليه لتوهم أن الفسادَ مرتب على الجنس من حيث هو ، فأتى بقوله: ﴿ إلا الله ﴾ ليدلّ على أن الفساد مرتب على التعدد. وهذا نظير قولهم فى: ﴿ إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾(٢) ، أنّ الوصف هنا مخصص لا مؤكد ، لأن ﴿ إلٰهين ﴾ يدل على الجنسية وعلى التثنية ، فلو اقتصر عليه لم يفهم النهى عن أحدهما، فأتى بـ«اثنين» ليدلّ على أن النهىَ عن الاثنين على ماسبق .

* * *

السادس : للحصر إذا تقدمها نفى :

إما صريح، كقوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٣).

أو مقدّر ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾(٤) ، فإن « إلا » ما دخلت بعد لفظ الإيجاب إلا لتأويل ما سبق إلا بالنفى ، أى فإنها لا تسهل ، وهو معنى « كبيرة » ، وإما لأن الكلام صادق معها ، أى وإنها لكبيرة على كلّ أحد إلا على الخاشعين ، بخلاف ضربت إلا زيدا ، فإنه لا يصدق .

* * *

(١) سورة الأنبياء ٢٢
(٢) سورة النحل ٥١
(٣) سورة الحجر ١١
(٤) سورة البقرة ٤٥

السابع : مركبة من « إن » الشرطية ، و « لا » النافيـة ، ووقعت فى عـدة مواقع من القرآن .

نحو : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾(١) .

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٢) .

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾(٣) :

﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٤) .

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ ﴾(٥) .

ولأجل الشبَه الصورىّ غلِط بعضهم فقال فى « إلا تفعلوه » : إنّ الاستثناء منقطع أو متصل .

وعجبت من ابن مالك فى شرح « التسهيل » حيث عدّها فى أقسام «إلا» ، لكنه فى « شرح الكافية » قال فى باب الاستثناء : لا حاجة للاحتراز عنها .

فائدة

قال الرمانى فى تفسيره : معنى «إلا» : اللازم لها الاختصاص بالشئ دون غيره ، فإذا قلت : جاءنى القوم إلا زيدا ، فقد اختصصتَ زيدا بأنه لم يجئ ، وإذا قلت : ما جاءنى إلا زيد ، فقد اختصصته بالمجىء . وإذا قلت : ما جاءنى زيد إلا راكبا ، فقد اختصصت هذه الحال دون غيرها ، من المشى والعدْو ونحوه .

---

(١) سورة التوبة ٤٠
(٢) سورة الأنفال ٧٣
(٣) سورة التوبة ٣٩
(٤) سورة هود ٤٧
(٥) سورة يوسف ٣٣

أمّا

المفتوحة الهمزة المشدّدة الميم

كلمة فيها معنى الشرط ، بدليل لزوم الفاء فى جوابها .

وقدّره سيبويه بـ « مهما » ، وفائدتها فى الكلام : أنّها تُكسبه فضل تأكيد ، تقول : زيد ذاهب ؛ فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب ، قلت : أمّا زيد فذاهب . ولهذا قال سيبويه : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب .

وفى إيرادها فى قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾(١) إحماد عظيم للمؤمنين ، ونعيٌ على الكافرين لرميهم بالكلمة الحمقاء .

والاسم الواقع بعدها ، إن كان مرفوعا فهو مبتدأ ، كقوله : ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾(٢) ، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ﴾(٣) ، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾(٤) .

وإن كان منصوبا ، فالناصب له ما بعد الفاء على الأصح ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾(٥) .

وقرئ : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾(٦) ، بالرفع والنصب ، فالرفع بالابتداء لاشتغال الفعل عنهم بضميرهم .

وتُذكر لتفصيل ما أجمله المخاطب . وللاقتصار على بعض ما ادّعى .

فالأول ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ﴾(٧) ، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا

---

(١) سورة البقرة ٢٦
(٢) سورة الكهف ٧٩
(٣) سورة الكهف ٨٠
(٤) سورة الكهف ٨٢
(٥) سورة والضحى ٩ ، ١٠
(٦) سورة فصلت ١٧
(٧) سورة هود ١٠٦

﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ﴾(١) ، فهذا تفصيل لما جُمِع فى قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾(٢) ، وبيان أحكام الشقىّ والسعيد .

والثانى : كما لو قيل : زيد عالم شجاع كريم ؛ فيقال : أمّا زيد فعالم ، أى لا يثبت له مما ادّعى سوى العلم .

واختُلف فى تعدد الأقسام بها ، فقيل: إنه لازم ، وحمل قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٣) على معنى « وأما الراسخون » ، ليحصل بذلك التعدد بعدها ، وقطعه عن قوله : ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٣) .

ومنهم من قال : إنه غير لازم ، بل قد يذكر فيها قسم واحد . ولا ينافى ذلك أن تكون للتفصيل إلا فى نفس المتكلم ، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾(٣) .

حكى القولين ابن جمعة الموصلى فى شرح « الدرة » وصحح الأول .

والأقرب الثانى ، والتقدير فى الآية : « وأما غيرهم فيؤمنون به ويكلون معناه إلى ربهم » ودل عليه : ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ . . .﴾ الآية .

قال بعضهم : وهذا المعنى هو المشار إليه فى آية البقرة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٤) ، إلى قوله : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ﴾(٤) .

وهذا حكاه ابن قتيبة عن بعض المتقدمين، قال : فالفاسقون هاهنا هم الذين فى قلوبهم زيغ ، وهم الضالون بالتمثيل . ثم خالفه فقال : وأنت إذا جعلت المتبعين المتشابهَ بالتأويل المنافقين فى اليهود المحرّفين له دون المؤمنين ، كما قال الله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾(٣)

---

(١) سورة هود ١٠٨
(٢) سورة هود ١٠٣
(٣) سورة آل عمران ٧
(٤) سورة البقرة ٢٦

أى غير الإسلام ، وضح لك الأمر وصحّ ماقلناه من معرفة الراسخين بالمتشابه ، وعلى هذا فالوقف على : ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ ﴾[2] ، فقيل : الفاء جواب « أما » ، ويكون الشرط لا جواب له ، وقد سدّ جواب « أما » مسدّ جواب الشرط .

وقيل : بل جواب الشرط ، والشّرط وجوابه سدّ مسدّ جواب « أما » .

وتجىء أيضاً مركبة من « أم » المنقطعة و « ما » الاستفهامية ، وأدغمت الميم فى الميم ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران ٧

(٢) سورة الواقعة ٩٠ ، ٩١

(٣) سورة النمل ٨٤

إمّا

المكسورة المشدّدة

نحو: اشتر لى ، إما لحماً وإما لبناً .

وكقوله تعالى : ﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾(١).

﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ ﴾(٢) .

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾(٣) وانتصب « منًّا » و « فداء » على المصدر ، أى مِنْ « منتم » و « فاديتم » .

وقال صاحب « الأزهية »(٤) : حُكمها فى هذا القسم التكرير ، ولا تكرير إذا كان فى الكلام عِوَض من تكريرها ، تقول : إما تقول الحق وإلا فاسكت ، و «إلا» بمعنى «إما» .

وبمعنى الإبهام ، نحو : ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾(٥) .

﴿ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾(٦) .

﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٧) .

وتكون بمعنى الشرطية ، مركبة من « إن » الشرطية و « ما » الزائدة ، وهذه لاتكرر .

والأكثر فى جوابها نون التوكيد ، نحو : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾(٨).

---

(١) سورة الكهف ٨٦ — (٢) سورة طه ٦٥

(٣) سورة القيامة ٤

(٤) كتاب الأزهية فى النحو للشيخ أبى الحسن على بن محمد الهروى ، ذكر فيه أنه جمع فيه مافرق فى كتابه الملقب بالذخائر ، وزاد عليه . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٥) سورة محمد ١٠٦ — (٦) سورة مريم ٧٥

(٧) سورة الدهر ٣ — (٨) سورة مريم ٢٦

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾[1] .

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ﴾[2] .

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[2] .

وإنما دخلت معها نون التوكيد للفرق بينها وبين التي للتخيير .

واختلف في قوله تعالى: ﴿ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[3] ، فقال البصريون : للتخيير ، فانتصاب « شاكرا » و « كفورا » على الحال .

وقيل : التخيير هنا راجع إلى إخبار الله بأنه يفعل مايشاء .

وقيل : حال مقيّدة ، أي إمّا إن تجد عندها الشكر ، فهو علامة السعادة، أو الكفر فهو علامة الشقاوة ، فعلى هذا تكون للتفصيل .

وأجاز الكوفيون أن تكون هاهنا شرطية ، أي إن شكر وإن كفر .

قال مكيّ : وهذا ممنوع، لأن الشرطية لاتدخل على الأسماء إلا أن تُضمر بعد «إن» فعلا ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾[4]، ولايجب إضماره هنا، لأنه يلزم رفع « شاكر » بذلك الفعل .

وردّ عليه ابن الشّجريّ ، بأن النحويين يضمرون بعد « إن » الشرطية فعلا يفسره مابعده ، من لفظه ، فيرتفع الاسم بعد أن يكون فاعلا لذلك المضمر ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾[5] ، ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾[6] ، كذلك يُضمرون بعده أفعالا تنصب الاسم ، بأنه مفعول به ، كقولك : إن زيدا أكرمتَه نفعك ، أي إن أكرمت .

أل

تقدمت بأقسامها في قاعدة التنكير والتعريف .

---

(١) سورة المؤمنين ٩٣

(٢) سورة الأنفال ٥٧ ، ٥٨

(٣) سورة الدهر ٣

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) سورة النساء ١٧٦

(٦) سورة النساء ١٢٨

الآن

اسم للوقت الحاضر بالحقيقة . وقد تستعمل فى غيره مجازا .

وقال قوم : هى حدّ للزّمانين ، أى ظرف للماضى وظرف للمستقبل. وقد يتجوّز بها عما قَرُب من الماضى وما يقرب من المستقبل . حكاه أبو البقاء فى « اللباب » .

وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به، أو ببعضه، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾[1] ، ﴿ ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾[2] .

وهذا سبقه إليه الفارسى ، فقال : « الآن » يراد به الوقت الحاضر ، ثم قد تتّسعُ فيه العرب فتقول : أنا الآن أنظر فى العلم ، وليس الغرض أنه فى ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك ، ولكن الغرض أنه فى وقته ذلك ، وما أتى بعده ، كما تقول : أنا اليوم خارج ، تريد به اليوم الذى عقب الليلة .

قال ابن مالك : وظرفيتهُ غالبة ، لا لازمة.

---

(١) سورة الجن ٩ (٢) سورة الأنفال .

أفّ

صوت يستعمل عند التكرّه والتضجر ، واختلف فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾[1] فقيل : اسمٌ لفعل الأمر ، أى كُفّا ، أو اتركا .

وقيل : اسم لفعل ماض ، أى كرهت وتضجرت . حكاهما أبو البقاء[2] .

وحكى غيره ثالثا ؛ أنه اسم لفعل مضارع ، أى أتضجّر منكما .

وأما قوله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿ أُفٍّ لَكُمْ ﴾[3] ، فأحال أبو البقاء[4] على ما سبق فى الإسراء ، وقضيته تساوى المعنيين .

وقال العزيزى فى « غريبه » فى هذه : أى تلفاً لكم[5] ، فغاير بينهما، وهو الظاهر.
وفسر صاحب « الصحاح » أف ، بمعنى « قذرا »[6] .

---

(١) سورة الإسراء ٢٣

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٩٤

(٣) سورة الأنبياء ٦٧

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٧٤

(٥) غريب القرآن للعزيزى ٣٢

(٦) الصحاح ٢ : ١٣٣٠

أَنَّى

مشتركة بين الاستفهام والشرط، ففي الشرط تكون بمعنى « أين »، نحو: أنّى يقم زيد يقم عمرو.

وتأتي بمعنى « كيف »، كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[1].
﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ ﴾[2]، ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].
﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[4]، أي كيف شئتم، مقبلة ومدبرة.
وقال الضحاك: متى شئتم. ويردّه سبب نزول الآية[5].
وقال بعضهم: من أيّ جهة شئتم، وهو طبق سبب النزول.
وتجيء بمعنى « من أين » نحو. ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾[6].
وقوله: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾[7]
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾[8].

قال ابن فارس: والأجود أن يقال في هذا أيضاً « كيف »[9]. وقال ابن قتيبة: المعنيان متقاربان.

وقرئ شاذا: ﴿ أَنَّىٰ صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾[10] أي « من أين »، فيكون الوقف عند قوله ﴿ إلى طعامه ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩
(٢) سورة محمد ١٨
(٣) سورة التوبة ٣٠
(٤) سورة البقرة ٢٢٣
(٥) انظر تفسير القرطبي ٣ : ٩٢، ٩٣
(٦) سورة آل عمران ٣٧
(٧) سورة آل عمران ٤٧
(٨) سورة آل عمران ٣٥
(٩) فقه اللغة ١١٣، واستشهد بقول الكميت:

* أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ *

(١٠) سورة عبس ٢٤، ٢٥

وتكون بمعنى « متى » كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[1].

وقوله ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾[2]، ويحتمل أن تكون معناه « من أين ».

والخامس أنها للسؤال عن الحال وعن المكان.

قال الفراء: أنّى مشاكلة لمعنى « أين » إلا أن « أين » للموضع خاصة، « وأنى » تصلح لغير ذلك.

وقال ابن الدهان: فيها معنًى يزيد على « أين » لأنه لو قال: أين لك هذا ؟ كان يقصّر عن معنى « أنى لك » لأن معنى « أنّى لك » « من أين لك » فإن معناه مع حرف الجرّ، لأنه يرى أنه وقع فى الجواب، كذلك قوله: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، ولم يقل: هو عند الله. وجواب « أنّى لك » غير جواب « من أين لك هذا »، فاعرفه.

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

أيَّان

فى الكشاف فى [illegible] (1) [illegible] اشتقاقه : من [illegible] أىّ [illegible]
لأن معناه ، أىّ وقت [illegible] إليه [illegible] لأن [illegible]
إليه . وهو [illegible]

وقيل : أصله : [illegible]

وقال [illegible] « أيان » [illegible] الهمزة وكسرها [illegible]
يكون أصلها أىّ أوان [illegible] حذفت الهمزة من « أوان » [illegible]
« أىّ » فبعد [illegible] اللام [illegible] الياء الساكنة [illegible] . و [illegible]

وهى فى الأزمان [illegible] إلا أن « متى » أشهر [illegible] أيان [illegible]
ولا تستعمل إلا [illegible] بخلاف « متى » [illegible]
﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(2) [illegible] ﴾(3) ، ﴿ [illegible] ﴾(4) ، ﴿أَيَّانَ [illegible] ﴾(5)

وقال صاحب « [illegible] » [illegible] تستعمل فى الاستفهام عن [illegible] أمره .

قال : وسكت [illegible] شرطا .

وذكر بعض [illegible] مجيئها [illegible] بمنزلة « متى » . و [illegible] ذلك .

إى

حرف جواب [illegible] « نعم » [illegible] قوله تعالى : ﴿ [illegible]
إنه لَحَقٌّ﴾(6) ، [illegible] لا [illegible] ها .

---

(1) الكشاف ٢ [illegible]
(2) سورة [illegible]
(3) سورة [illegible]
(4) سورة [illegible]
(5) سورة القيامة ٦
(6) سورة [illegible]

حرف الباء

أصله للإلصاق ، ومعناه اختلاط الشيء بالشيء ، ويكون حقيقة ، وهو الأكثر ، نحو : « به داء » ، ومجازا ك « مررت به » ، إذ معناه : جعلت مروري ملصقا بمكان قريب منه ، لا به ، فهو وارد على الاتساع .

وقد جعلوا منه قوله تعالى : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾[1] .

***

وقد تأتي زائدة :

إمّا مع الخبر ؛ نحو : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2] .

وإما مع الفاعل ، نحو : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[3] فـ « الله » فاعل و « شهيدا » نصب على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ، ودخلت لتأكيد الاتصال ، أي لتأكيد شدّة ارتباط الفعل بالفاعل ، لأنّ الفعل يطلب فاعلَه طلبا لابدّ منه ، والباء توصل الأول إلى الثاني ، فكأنّ الفعل يصل إلى الفاعل ، وزادته الباء اتصالا .

قال ابن الشجري : فعلوا ذلك ؛ إيذانا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة ، فضوعف لفظها ليضاعف معناها .

وقيل : دخلت الباء لتدلّ على المعنى ؛ لأن المعنى : اكتفوا بالله .

وقيل : الفاعل مقدر ، والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحذف المصدر وبقيَ معموله دالا عليه .

---

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة الشورى ٤٠

(٣) سورة النساء ٧٩

وفيه نظر ، لأن الباء إذا سقطت ارتفع اسم الله على الفاعلية ، كقوله :

* كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا *[1]

وإما مع المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[3] ، أى تبذلونها لهم .

وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[5] ؛ جعلت « المفتون » اسم مفعول لا مصدرا ، كالمعقول والمعسور والميسور .

وقوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾[6] .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾[7] .

﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾[9] ، ونحوه .

والجمهور على أنها لا تجىء زائدة ، وأنه إنما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدمها على السواء ، وليس كذلك هذه الأمثلة ، فإن معنى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[10] ، كما هى فى : أحسِنْ بزيد! ومعنى ﴿ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾: اجعلوا المسح ملاصقا برءوسكم ، وكذا ﴿بوجوهكم﴾ ، أشار إلى مباشرة العضو بالمسح ، وإنما لم يحسن فى آية الغسل « فاغسلوا بوجوهكم » لدلالة الغسل على المباشرة ، وهذا كما تتعين المباشرة فى قولك : « أمسكت به » وتحتملها فى « أمسكته » .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ ﴾[11] ، فحذف المفعول للاختصار .

---

(١) مطلع قصيدة لسحيم ، وأوله :

* عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تجهَّزْتَ غاديا *

(٢) سورة البقرة ١٩٥ (٣) سورة الممتحنة ١

(٤) سورة العلق ١ (٥) سورة ن ٦

(٦) سورة الإنسان ٦ (٧) سورة الحج ٢٥

(٨) سورة المؤمنين ٢٠ (٩) سورة المائدة ٦

(١٠) سورة النساء ٧٩ (١١) سورة البقرة ١٩٥

وأما ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ فمعناه : تلقون إليهم النصيحة بالمودة .

وقال ابن النحاس : معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجلُ أهل مودته .

وقال السهيلى : ضمّن ﴿ تلقون ﴾ معنى « ترمون » ، من الرمى بالشىء ، يقال : ألقى زيد إلىّ بكذا ، أى رمى به ؛ وفى الآية إنما هو إلقاء بكتاب أو برسالة ، فعبّر عنه بالمودة ، لأنه من أفعال أهل المودة ، فلهذا جىء بالباء .

وأما قوله : ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1] ، فليست زائدة ، وإلّا لَلَحِقَ الفعلَ قبلها علامةُ التأنيث ، لأنه للنفس ، وهو مما يغلب تأنيثه .

وجوز فى الفعل وجهان: أحدهما أن تكون « كان » مقدرة بعد « كفى » ، ويكون « بنفسك » صفة له قائمة مقامه .

والثانى : أنه مضمر يفسره المنصوب بعده ، أعنى « حسيبا » ، كقولك : نعم رجلا زيد .

* * *

وتجىء للتعدية ، وهى القائمة مقام الهمزة فى إيصال الفعل اللازم إلى المفعول به ، نحو: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾[2] ، أى أذهب .

كما قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[3] .

ولهذا لا يجمع بينهما ، فهما متعاقبتان ؛ وأما قوله تعالى ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[4] ، فقيل: « أسرى » و « سرى » بمعنًى ، كسقى وأسقى ، والهمزة ليست للتعدية ، وإنما المعدّى الباء فى « بِعَبْدِهِ » .

وزعم ابن عطية أن مفعول « أسرى » محذوف ، وأن التعدية بالهمزة ، أى أسرى الليلة بعبده .

---

(١) سورة الإسراء ١٤
(٢) سورة البقرة ٢٠
(٣) سورة الأحزاب ٣٣
(٤) سورة الإسراء ١

ومذهب الجمهور أنها بمعنى الهمزة ، لاتقتضى مشاركة الفاعل للمفعول .

وذهب المبرّد والسّهيلى أنها تقتضى مصاحبةَ الفاعل للمفعول فى الفعل بخلاف الهمزة. ورد بقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾(١) ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾(٢) ، ألا ترى أن الله لا يذهب مع سمعهم ، فالمعنى : لأذهب سمعَهم .

وقال الصّفّار : وهـذا لا يلزم ، لأنه يحتمل أن يكون فاعل « ذهب » البرق ، ويحتمل أن يكون الله تعـالى ، ويكون الذهاب على صفة تليق به سبحانه ، كما قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾(٣) .

قال : وإنما الذى يبطل مذهبه قول الشاعر :

دِيَارُ الَّتِى كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِنًى ... تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ(٤)

أى تجعلنا حُلّالا ، لا محرمين ، وليست الديار داخلة معهم فى ذلك .

واعلم أنّه لـكون الباء بمعنى الهمزة ، لا يجمع بينهما ، فإن قلت : كيف جاء ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾(٥) والهمزة فى « أنبت » للنقل ؟

قلت : لهم فى الانفصال عنه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تـكون الباء زائدة .

والثانى : أنها باء الحال، كأنه قال: تنبت ثمرها وفيه الدهن، أى وفيهما الدّهن، والمعنى: تنبت الشجرة بالدهن ، أى ما هو موجود منه ، وتختلط به القوة ينبتها ، على موقع المنّة ، ولطيف القدرة ، وهداية إلى استخراج صبغة الآكلين .

والثالث : أنّ « نبت » و « أنبت » بمعنى .

* * *

---

(١) سورة البقرة ١٧

(٢) سورة البقرة ٢٠

(٣) سورة الفجر ٢٢

(٤) البيت لقيس بن الخطيم ، من مذهبته ـ الشعر ١٢٣

(٥) سورة المؤمنين ٢٠

وللاستعانة ، وهى الدالة على آلة الفعل ، نحو كتبت بالقلم ، ومنه فى أشهر الوجهين :
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

* * *

وللتعليل بمنزلة اللام ، كقوله : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[1] .
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا ﴾[2] .
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾[3] .

* * *

وللمصاحبة بمنزلة « مع » ، وتسمى باء الحال ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ ﴾[4] أى مع الحق أو محقا .
﴿ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا ﴾[5] .

* * *

وللظرفية بمنزلة « فى » .
وتكون مع المعرفة ، نحو : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۔ وَبِٱللَّيْلِ ﴾[6] .
﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[7] .
ومع النكرة ، نحو : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[8] .
﴿ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾[9] .
قال أبو الفتح فى « التنبيه »[10] : وتوهّم بعضهم أنها لاتقع إلا مع المعرفة ، نحو : كنا بالبصرة ، وأقمنا بالمدينة .

(١) سورة البقرة ٥٤
(٢) سورة النساء ١٦٠
(٣) سورة العنكبوت ٤٠
(٤) سورة النساء ١٧٠
(٥) سورة هود ٤٨
(٦) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨
(٧) سورة الذاريات ١٨
(٨) سورة آل عمران ١٢٣
(٩) سورة القمر ٣٤
(١٠) التنبيه لأبى الفتح عثمان بن جنى ، ذكره صاحب كشف الظنون .

وهو محجوج بقول الشماخ :

وَهُنَّ وُقُوفٌ يَنْتَظِرْنَ قَضَاءَهُ بضاحى غداةٍ أمرُه وَهوَ ضَامِزُ[1]

أي في ضاحى وهى نكرة .

***

وللمجاوزة كـ « عن » ، نحو : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾[2] .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[3] .

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾[4] ، أى عن الغمام .

﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾[5] ، أى وعن أيمانهم .

***

وللاستعلاء ، كعلى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ ﴾[6] ، أى على قنطار ؛ كما قال : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴾[7] .

ونحو : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[8] ، أى عليهم ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾[9] .

***

وللتبعيض كـ « من » ، نحو : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾[10] ، أى منها . وخرّج عليه : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾[11] .

والصحيح أنها باء الاستعانة ، فإن « مَسَحَ » يتعدى إلى مفعول ، وهو المزال عنه ، وإلى آخر بحرف الجرّ وهو المزيل ؛ فيكون التقدير : « فامسحوا أيديكم برءوسكم » .

---

(١) ديوانه ٤٤ ، والضاحى : الظاهر ؛ والضامز : الساكت الذى لا يجتر ، وهو من وصف الحمار .

(٢) سورة الفرقان ٥٩ (٣) سورة المعارج ١

(٤) سورة الفرقان ٢٥ (٥) سورة التحريم ٨

(٦) سورة آل عمران ٧٥ (٧) سورة يوسف ٦٤

(٨) سورة المطففين ٣٠ (٩) سورة الصافات ١٣٧

(١٠) سورة الإنسان ٦ (١١) سورة المائدة ٦

بَلْ

حرف إضراب عن الأول ، وإثبات للثانى ؛ يتلوه جملة ومفرد .

فالأول الإضراب فيه ، إما بمعنى ترك الأول والرجوع عنه بإبطاله ، وتُسمى حرف ابتداء ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾(١) أى بل هم عباد . وكذا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾(٢) .

وإما الانتقال من حديث إلى حديث آخر ، والخروج من قصة إلى قصة ؛ من غير رجوع عن الأول ؛ وهى فى هذه الحالة عاطفة ، كما قاله الصفار ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٣) .

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾(٥) ؛ انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهمّ منها .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾(٦) ليست للانتقال ، بل هم متصفون بهذه الصفات .

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٧).

وفى موضع : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٦
(٢) سورة المؤمنون ٧٠
(٣) سورة الأنعام ٩٤
(٤) سورة الكهف ٤٨
(٥) سورة السجدة ٣
(٦) سورة النمل ٦٥ ، ٦٦
(٧) سورة الشعراء ١٦٦

(٨) سورة النمل ٥٥ ، والآية بتمامها : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ .

وفى موضع : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُون ﴾[1] .

والمراد تعديد خطاياهم ، واتصافهم بهذه الصفات ، وبل لم ينو ما أضافه إليهم ، من إتيان الذكور والإعراض عن الإناث ؛ بل استدرك بها بيانَ عدوانهم ؛ وخرج من تلك القصة إلى هذه الآية .

وزعم صاحب « البسيط » وابن مالك أنها لا تقع فى القرآن إلا بهذا المعنى ؛ وليست كذلك لما سبق ، وكذا قال ابن الحاجب فى شرح « المفصل » ، إبطال ما للأول وإثباته للثانى ، إن كان فى الإثبات ، نحو جاء زيد بل عمرو ؛ فهو من باب الغلط ؛ فلا يقع مثله فى القرآن ، ولا فى كلام فصيح . وإن كان ما فى النفى نحو : ما جاءنى زيد بل عمرو . ويجوز أن يكون من باب الغلط ، يكون عمرو غير جاء ، ويجوز أن يكون مثبتا لعمرو المجىء ، فلا يكون غلطا . انتهى .

ومنه أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ ص . وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[4] ، ترك الكلام الأول ، وأخذ « بل » فى كلام ثان ، ثم قال حكاية عن المشركين : ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾[5] ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾ ، ثم ترك الكلام الأول ، وأخذ بـ « بل » فى كلام آخر ، فقال : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[5] .

---

(١) سورة الأعراف ٨١ ، والآية بتمامها : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ .

(٢) سورة الأعلى ١٤ — ١٦

(٣) سورة المؤمنون ٦٢ ، ٦٣

(٤) سورة ص ١ ، ٢

(٥) سورة ص ٨

والثانى ـ أعنى ما يتلوها مفرد ـ فهى عاطفة. ثم إن تقدمها إثبات نحو: اضرب زيدا بل عمرا ، وأقام زيد بل عمرو ، فقال النحاة : هى تجعل ماقبلها كالمسكوت عنه ، فلا يحكم عليه بشىء ، ويثبت ما بعدها . وإن تقدمها نفى أو نهى ، فهى لتقرير ما قبلها على حاله . وجعل ضده لما بعدها ، نحو : ماقام زيد بل عمرو ، ولا يقم زيد بل عمرو .

ووافق المبرّد على ماذكرنا، غير أنه أجاز مع ذلك أن تكون ناقلة مع النهى أو النفى إلى مابعدها .

وحاصل الخلاف أنه إذا وقع قبلها النفى هل تنفى الفعل أو توجبه ؟ .

بَلَى

لها موضعان :

أحدها : أن تكون ردًّا لنفي يقع قبلها ، كقوله تعالى ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوء بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾(١) ، أى عملتم السوء .

وقوله : ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾(٣) ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾ ، أى عليهم سبيل .

* * *

والثانى : أن تقع جوابا لاستفهام ، دخل عليه نفى حقيقة ، فيصير معناها التصديق لما قبلها ، كقولك : « ألم أكن صديقك ! » « ألم أحسن إليك ! » فتقول : « بلى » أى كنتَ صديقى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾(٤) .

ومنه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٥) ، أى أنت ربنا . فهى فى هذا الأصل تصديق لما قبلها ، وفى الأول ردّ لما قبلها وتكذيب .

وقوله : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٦) ، أى كنتم معنا . ويجوز أن يقرَن النفى بالاستفهام مطلقا،أعم من الحقيقى والمجازى، فالحقيقى كقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ

---

(١) سورة النحل ٢٨

(٢) سورة النحل ٣٨

(٣) سورة آل عمران ٧٥

(٤) سورة تبارك ٨ ، ٩

(٥) سورة الأعراف ١٧٢

(٦) سورة الحديد ١٤

أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى ﴾[1] ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى ﴾[2] .

ثم قال الجمهور : التقدير : بل نحييها قادرين ؛ لأنّ الحساب إنما يقع من الإنسان على نَفْى جَمْع العظام ، و « بلى » إثبات فعل النفى ، فينبغى أن يكون الجمع بعدها مذكورا على سبيل الإيجاب .

وقال الفراء : التقدير فلنحيها قادرين ؛ لدلالة « أيحسب » عليه ، وهو ضعيف ؛ لأنه عدول عن مجىء الجواب ، على نمط السؤال .

والمجازىّ كقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[3] ، فإنّ الاستفهامَ هنا ليس على حقيقته ، بل هو للتقرير ، لكنهم أجروا النفىَ مع التقرير مجرى النفى المجرد فى رده بـ « بلى » .

وكذلك قال ابن عباس : لو قالوا : نعم لكفروا . ووجهه أن « نعم » تصديق لما بعد الهمزة ، نفيا كان أو إثباتاً .

ونازع السهيلىّ وغيره فى المحكى عن ابن عباس من وجه أن الاستفهام التقريرى إثبات قطعا ، وحينئذٍ فنعم فى الإيجاب تصديق له ، فهلّا أجيب بما أجيب به الإيجاب ! فإنّ قولك : ألم أعطك درهما ! بمنزلة أعطيتك .

والجواب من أوجه :

أحدها : ذكره الصفّار ، أن المقرر قد يوافقه المقرر فيما يدعيه وقد لا . فلو قيل فى جواب : ألم أعطك ! « نعم » لم يُدْرَ : هل أراد : نعم لم تعطنى ، فيكون مخالفا للمقرر ، أو نعم أعطيتنى فيكون موافقا . فلما كان يلتبس أجابوه على اللفظ ، ولم يلتفتوا إلى المعنى .

---

(١) سورة الزخرف ٨٠ (٢) سورة القيامة ٣ ، ٤

(٣) سورة الأعراف ١٧٢

تنبيهات

الأول : ماذكرنا من كون « بلى » إنما يجاب بهـا النفى ، هو الأصل ، وأمّا قوله تعالى ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[1] ، فإنّه لم يتقدمها نفىٌ لفظا لـكنه مقدّر ؛ فإن معنى ﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي ﴾[2] مَاهَدَانِي ، فلذلك أجيب بـ « بلى » التى هى جواب النفى المعنوى ، ولذلك حققه بقوله : ﴿ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[1] وهى من أعظم الهدايات .

ومثله ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ ﴾[3] ، فإنه سبق نفى ، وهو ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[4] ، فجاءت الآية على جهة التوبيخ لهم فى اعتقادهم أن الله لا يجمع عظامهم ، فردّ عليهم بقوله : ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ ﴾[3] .

وقال ابن عطية : حق « بلى » أن تجىء بعد نفى عليه تقرير . وهذا القيد الذى ذكره فى النفى لم يذكره غيره ، وأطلق النحويون أنها جواب النفى .

وقال الشيخ أثير الدين : حقها أن تدخل على النفى ، ثم حمل التقرير على النفى ، ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب ، وأجابه بنعم .

وسأل الزمخشرى : هلّا قرن الجواب بمـا هو جواب له ، وهو قوله : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي ﴾[5] ، [ولم يفصل بينهما بآية ؟][6] .

وأجاب بأنه إن تقدم على إحدى القرائن الثلاث فُرِق بينهن وبين النظم، فلم يحسن، وإن تأخرت القرينة الوسطى نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة، ثم التعليل بفقد الهداية ثم تمنّى الرجعة ؛ فـكان الصواب ماجاء عليه ، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها[7] . ثم أجاب عما اقتضى الجواب من بينها .

***

(١) سورة الزمر ٥٩
(٢) سورة الزمر ٥٧
(٣) سورة القيامة ٤
(٤) سورة القيامة ٣
(٥) سورة الزمر ٥٧
(٦) تـكملة من الـكشاف
(٧) الـكشاف ٤ : ١٠٧ مع تصرف فى العبارة .

الثانى : اعلم أنك متى رأيت « بلى » أو « نعم » بعد كلام يتعلق بها تعلّق الجواب، وليس قبلها ما يصلح أن يكون جوابا له ، فاعلم أن هناك سؤالا مقدرا، لفظه لفظ الجواب، ولـكنه اختصر وطوى ذكره، علما بالمعنى ، كقوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾(١) ، فقال المجيب : « بلى » ، ويعاد السؤال فى الجواب .

وكذا قوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾(٢) ، ليست « بلى » فيه جوابا لشيء قبلها ، بل ما قبلها دال على ماهى جواب له ، والتقدير : ليس من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته خالدا فى النار أو يخلّد فى النار ، فجوابه الحق « بلى » .

وقد يكتفى بذكر بعض الجواب دالا على باقيه، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ ﴾(٣) ، أى بلى نجمعها قادرين فذكْر الجملة بمثابة ذكر الجزاء من الجملة ، وكافٍ عنها .

* * *

الثالث : من القواعد النافعة أن الجواب إما أن يكون للملفوظ به أو مقدّر .

فإن كان لمقدر ، فالجواب بالـكلام ؛ كقولك لمن تقدره مستفهما عن قيام زيد : قام زيد ، أو لم يقم زيد، ولا يجوز أن تقول « نعم » ولا « لا »، لأنه لا يعلم ما يعنى بذلك؛

وإن كان الجواب للملفوظ به؛ فإن أردت التصديق قلت: نعم، وفى تـكذيبه « بلى » ، فتقول فى جواب مَنْ قال : أما قام زيد ؟ « نعم » إذا صدقته ، و « بلى » إذا كذبته .

وكذلك إذا أدخلت أداة الاستفهام على النفى ، ولم ترد التقرير ، بل أبقيت الـكلام

---

(١) سورة البقرة ١١٢ (٢) سورة البقرة ٨١

(٣) سورة القيامة ٤

على نفيه ، فتقول فى تصديق النفى : « نعم » وفى تكذيبه « بلى » نحو ألم يقم زيد ؟ فتقول فى تصديق النفى : « نعم » ، وفى تكذيبه : « بلى » .

* * *

الرابع : يجوز الإثبات والحذف بعد « بلى » ؛ فالإثبات كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾(٢) .

ومن الحذف قوله تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾(٣) ، فالفعل المحذوف بعد « بلى » فى هذا الموضع « يكفيكم » ، أى بلى يكفيكم إن تصبروا .

وقوله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى ﴾(٤) ، أى قد آمنت .

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾(٥)، ثم قال: «بلى»، أى تمسكم أكثر من ذلك .

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾(٦)، ثم قال: بلى، أى يدخلها غيرهم .

وقوله : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٧) .

وقد تحذف « بلى » وما بعدها ، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾(٨) ، أى بلى قلت لى .

---

(١) سورة الملك ٨ ، ٩
(٢) سورة سبأ ٣
(٣) سورة آل عمران ١٢٤ ، ١٢٥
(٤) سورة البقرة ٢٦٠
(٥) سورة البقرة ٨٠
(٦) سورة البقرة ١١١
(٧) سورة الحديد ١٤
(٨) سورة الكهف ٧٥

ثمّ

للترتيب مع التراخى ، وأمّا قوله : ﴿لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[١] ، والهداية سابقة على ذلك ، فالمراد « ثم دام على الهداية » ، بدليل قوله : ﴿وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾[٢] .

وقد تأتى لترتيب الأخبار ، لا لترتيب المخبَر عنه ، كقوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾[٣] .

وقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٤].

وتقول : زيد عالم كريم ، ثم هو شجاع .

قال ابن برّى : قد تجىء « ثم » كثيراً لتفاوت ما بين رتبتين فى قصد المتكلّم فيه تفاوت ما بين مرتبتى الفعل مع السكوت عن تفاوت رتبتى الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٥] ، فـ « ثم » هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل ، مع السكوت عن وصف العادلين .

ومثله قوله تعالى : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[٦] ، إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٦] ، دخلت لبيان تفاوت رتبة الفكّ والإطعام ، من رتبة الإيمان ، إلا أن فيها زيادة تعرّض لوصف المؤمنين بقوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٦] .

وذكر غيره فى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٥] : أن «ثم»

---

(١) سورة طه ٨٢
(٢) سورة المائدة ٩٣
(٣) سورة يونس ٤٦
(٤) سورة هود ٩٠
(٥) سورة الأنعام ١
(٦) سورة البلد ١١ ـ ١٧

دخلت لبُعد ما بين الـكفر وخلق السموات والأرض .

وعلى ذلك جرى الزمخشرى فى مواضع كثيرة من الـكشاف ، كقوله تعالى : ﴿ لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾(١) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(٢) ، قال : كلة التراخى دلّت على تباين المنزلتين ؛ دلالتها على تباين الوقتين ، فى « جاءنى زيد ثم عمرو ـ أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنها أعلى منها وأفضل(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾(٤) إن قلت : ما معنى « ثم » الداخلة فى تـكرير الدعاء ؟ قلت : الدلالة على أن الـكرة الثانية من الدعاء أبلغ من الأولى(٥).

وقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٦) ، قال : جاء بـ « ثمّ » لتراخى الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة على العتق والصدقة ، لا فى الوقت ، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره(٧) .

وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾(٨) : إن «ثم» [هذه](٩) فيها من تعظيم منزلة النبى صلى الله عليه وسلم وإجلال محلّه والإيذان بأنّه أولى وأشرف ما أوتى خليل الله [إبراهيم من الـكرامة ، وأجلّ ما أوتى من النعمة أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم](٩) فى ملّته(١٠) .

واعلم أنّه بهـذا التقدير يندفع الاعتراض بأن « ثم » قد تخرج عن الترتيب والمهلة وتصير كالواو ؛ لأنه إنما يتم على أنها تقتضى الترتيب الزمانى لزوما ، أما إذا قلنا : إنها ترد

---

(١) سورة طه ٨٢
(٢) سورة الأحقاف ١٣
(٣) الـكشاف ٣ : ٦٣
(٤) سورة المدثر ١٨ ــ ٢٠
(٥) الـكشاف ٤ : ٥١٩
(٦) سورة البلد ١٧
(٧) الـكشاف ٤ : ٦٠٤
(٨) سورة النحل ١٢٣
(٩) من الـكشاف
(١٠) الـكشاف ٢ : ٥٠١

لقصد التفاوت والتراخي عن الزّمان لم يحتج إلى الانفصال عن شيء مما ذكر من هـذه الآيات الشريفة ، لا أن تقول : إن « ثم » قد تـكون بمعنى الواو .

والحاصل أنها للتراخي في الزمان ، وهو المعبّر عنه بالمهلة، وتـكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية ، بل ليعلم موقع مايعطف بها وحاله، وأنه لو انفرد لـكان كافيا فيما قصد فيه، ولم يقصد في هذا ترتيب زمانيّ، بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه، وتحريك النفوس لاعتباره .

وقيل : تأتي للتعجب ، نحو : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(1) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا ﴾(2) .

وقيل : بمعنى واو العطف ، كقوله : ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللهُ شَهِيدٌ ﴾(3) ، أي هو شهيد .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(4) .

والصواب أنها على بابها لما سبق قبله .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا ﴾(5) ، وقد أمر الله الملائـكة بالسجود قبل خلقنا ، فالمعنى : وصوّرناكم .

وقيل على بابها، والمعنى: ابتدأنا خلقـكم؛ لأن الله تعالى خاق آدم من تراب ثم صوّره وابتدأ خلق الإنسان من نطفة ثم صوره .

وأما قوله : ﴿ خَلَقَـكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾(6) ، وقد كان قضى الأجلَ ، فمعناه : أخبركم أني خلقته من طين ، ثم أخبركم أني قضيت الأجل ، [كما تقول : كلمتك اليوم ثم كلمتك أمس ، أي أني أخبرك بذاك، ثم أخبرك بهذا](7) وهذا يكون في الجمل،

(1) سورة الأنعام ١
(2) سورة المدثر ١٥ ، ١٦
(3) سورة يونس ٤٦
(4) سورة القيامة ١٩
(5) سورة الأعراف ١١
(6) سورة الأنعام ٢
(7) تـكملة من ابن فارس .

فأما عطف المفردات فلا تكون إلا للترتيب . قاله ابن فارس[١] .

قيل : وتأتى زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[٢] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾[٢] ، لأن « تاب » جواب « إذا » من قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ ﴾[٢] .

وتأتى للاستئناف ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[٣] .

فإن قيل : ما المانع من الجزم على العطف ؟

فالجواب ، أنه عدل به عن حكم الجزاء ، إلى حكم الإخبار ابتداء ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون .

فإن قيل : أىّ فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى ؟

قيل : لو جزم لكان نفى النصر مقيدا بمقاتلتهم كتوليهم ، وحين رفع كان النصر وعدا مطلقا ، كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم أنى أخبركم عنها ، وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منعت عنهم النصرة والقوة ، ثم لا ينهضون بعدها بنجاح ، ولا يستقيم لهم أمر .

واعلم أنها وإن كانت حرف استئناف ، ففيها معنى العطف ، وهو عطف الخبر على جملة الشرط والجزاء ، كأنه قال : أخبركم أنهم يقاتلونكم فيهزمون ، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون .

فإن قيل : ما معنى التراخى فى « ثم » ؟

---

(١) فقه اللغة لابن فارس ص ١٢٠ ، عبارته « فأما عطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل ، فلا يكون إلا مرتبا أحدهما بعد الآخر » .

(٢) سورة التوبة ١١٨

(٣) سورة آل عمران ١١١

قيل : التراخى فى الرتبة ، لأن الأخبار التى تتسلط عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار ، وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴾(١) .

ثَمَّ

المفتوحة

ظرف للبعيد بمعنى هنالك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ ﴾(٢) .

وقرئ : ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾(٣) ، أى هنالك الله شهيد ، بدليل : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾(٤) .

وقال الطبرىّ فى قوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾(٣) ، معناه : أهنالك ، وليست « ثم » العاطفة . وهذا وَهْم اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة .

---

(١) سورة المرسلات ١٦ ، ١٧
(٢) سورة الدهر ٢٠
(٣) سورة يونس ٤٦ ، ٥١
(٤) سورة الكهف ٤٤

حاشا

اسم يأتى بمعنى التنزيه ، كقوله : ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾[1] ، بدليل قول بعضهم : « حاشاً لله » بالتنوين ، كما قيل : ﴿ براءة من الله ﴾ من كذا ، أى حاشاً لله بالتنوين كقولهم : رَعْياً لزيد .

وقراءة ابن مسعود ﴿ حاشا اللهِ ﴾ بالإضافة ، فهذا مثل سبحان الله ، ومعاذ الله .

وقيل : بمعنى جانَب يوسف المعصية لأجل الله ، وهـذا لا يتأتى فى : ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾[2] .

قال الفارسىّ : وهو فاعل ، من الحشا الذى هو الناحية ، أى صار فى ناحية ، أى بعُد مما رُمِى به وتنحَّى عنه فلم يَغْشَه ولم يلابسه .

فإن قلت : إذا قلنا باسميّة « حاشا » ، فما وجهُ ترك التنوين فى قراءة الجماعة وهى غير مضافة ؟

قلت: قال ابن مالك :والوجه أن تكون « حاشى » المشبَّهة بحاشى الذى هو حرف، وأنه شابهه لفظا ومعنى ، فجرى مجراه فى البناء .

---

(١) سورة يوسف ٥١

(٢) سورة يوسف ٣١

حتّى

كـ « إلى » لـكن يفترقان ؛ فى أنّ ما بعد « حتى » يدخل فى حكم ما قبلها قطعاً ، كقولك : قام القوم حتى زيد ؛ فـ « زيد » هاهنا دخل فى القيام ، ولا يلزم ذلك فى قام القوم إلى زيد . ولهذا قال سيبويه : إنّ « حتى » تجرى مجرى الواو « وثم » فى التشريك .

ومن الدّليل على دخول ما بعدها فيما قبلها ؛ قوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ شىء بقضاء وقَدَرٍ حتى العجز والـكيس » .

وقوله : « أريت كلّ شىء حتى الجنة والنار » .

وقال الـكواشى فى تفسيره : الفرقُ بينَهما أنّ « حتى » تختص بالغاية المضروبة ، ومن ثمّ جاز: أكلت السمكةَ حتى رأسها ، وامتنع « حتى نصفها » أو « ثلثها » و« إلى » عامّة فى كل غاية . انتهى .

ثم الغاية تجىء عاطفة ؛ وهى للغاية كيف وقعت ؛ إمّا فى الشرف ، كجاء القوم حتى رئيسهُم ، أو الضعة ، نحو أسنّت الفصال حتى القرعى .

أو تـكون جملة من القول على حال هو آخر الأحوال المفروضة أو المتوهّمة ، بحسب ذلك الشأن ؛ إمّا فى الشدة ، نحو : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ ﴾(1) إذا أريد حكاية الحال ؛ ولولا ذلك لم تعطف الجملة الحالية ، على الجملة الماضية . فإن أريد الاستقبال لزم النصب .

وإما فى الرّخاء ، نحو شربت الإبل حتى يجىء البعير يجرّ بطنه ، على الحـكاية .

---

(٢) سورة البقرة ٢١٤

ولانتهاء الغاية ، نحو : ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[1] ، ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾[2] .

والتعليل ، وعلامتها أن تحسن فى موضعها « كى » نحو : « حتى نغيظ ذا الحسد » ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ ﴾[3] .

ويحتملها : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ ﴾[5] .

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾[6] .

قيل : وللاستثناء ، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا ﴾[7] ؛ والظاهرُ أنّها للغاية .

وحرف ابتداء ؛ أى تبتدأ به الجملة الإسمية أو الفعلية ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولُ ٱلرَّسُولُ ﴾[8] فى قراءة نافع .

وكذا الداخلة على « إذا » ، فى نحو: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾[9] ونظائره، والجواب محذوف.

(١) سورة القدر ٥ — (٢) سورة البقرة ٢٣٥
(٣) سورة القتال ٣١ — (٤) سورة الحجرات ٩
(٥) سورة البقرة ٢١٧ — (٦) سورة المنافقون ٧
(٧) سورة البقرة ١٠٢
(٨) سورة البقرة ٢١٤ ؛ برفع « يقول » ؛ وانظر القرطبى ٣ : ٣٤
(٩) سورة آل عمران ١٥٢

حيث

ظرف مكان . قال الأخفش : وللزمان ، وهى مبنية على الضم تشبيهاً بالغايات ، فإن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة، ولهذا قال الزجّاج فى قوله تعالى: ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[1] : مابعد « حيث » صلة لها وليست بمضافة إليه ؛ يريد أنهـا ليست مضافة للجملة بعدها ، فصارت كالصلة لها ، أى كالزيادة .

وفهم الفارسىّ أنه أراد أنها موصولة ، فردّ عليه .

ومن العرب من يعرب «حيث» ، وقراءة بعضهم : ﴿ مِنْ حَيْثِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، بالكسر تحتملها . وتحتمل البناء على الكسر . وقد ذكروا الوجهين فى قراءة : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثَ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾[3] بفتح الثاء .

والمشهور أنها ظرف لايتصرف .

وجوز الفارسىّ وغيره فى هذه الآية كونها مفعولا به على السعة ، قالوا : ولا تكون ظرفا ، لأنه تعالى لا يكون فى مكان أعلمَ منه فى مكان .

وإذا كانت مفعولا لم يعمل فيهـا « أعلم » لأن « أعلم » ؛ لا يعمل فى المفعول به ، فيقدر لها فعل .

واختار الشيخ أثير الدين أنها باقية على ظرفيتها مجازا . وفيه نظر .

---

(١) سورة الأعراف ٢٨

(٢) سورة الأعراف ١٨٢

(٣) سورة الأنعام ١٢٤

دُون

نقيض « فوق » ، ولها معان :

أحدها : من ظروف المكان المبهَم ؛ لاحتمالها الجهات الستّ .

وقيل : هى ظرف يدُلّ على السُّفل فى المكان أو المنزلة ، كقولك: زيد دون عمرو .

وقال سيبويه : وأما « دون » فتقصير عن الغاية .

قال الصّفّار : لا يريد الغاية على الإطلاق ، بل الغاية التى تكون بعدها ، فإذا قلت : أنا دونك فى العلم ، معناه : أنا مقصّر عنك ، وهو ظرف مكان متجوّز فيه ، أى أنا فى موضع من العلم لا يبلغ موضعك . ونظيره : فلان فوقك فى العلم .

***

الثانى : اسم ، نحو : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾[1] .

***

الثالث : صفة ، نحو : هذا الشىء دون ، أى ردىء ، فيجرى بوجوه الإعراب .

وقد تكون صفة لا بمعنى ردىء ، ولكن على معناه من الظرفيّة ؛ نحو : رأيت رجلا دونك .

ثم قد يحذف هذا الموصوف وتقام الصفة مقامه ؛ وحينئذ فللعرب فيه لغتان : أحدهما : إعرابها كإعراب الموصول وجريها بوجوه الإعراب ، والثانية : إبقاؤها على أصلها من

---

(١) سورة النساء ١١٧ ، والآية : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ .

الظرفية ، وعليها جاء قوله : ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[1] ، قرئ بالرفع والنصب .
وقال الزمخشريّ : معناه : أدنى مكان من الشيء .

* * *

ومنه الدّون للحقير ، ويستعمل للتفاوت فى الحال ، نحو : زيد دون عمرو ، أى فى الشرف والعلم ، واتسع فيه ، فاستعمل فى تجاوز حدّ إلى حدّ ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَوْلِيَاء مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، أى لا يتجاوزون ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .

وقيل : إنه مشتق من « دون » فعل ، يقال : دان يدون دَوْنا ، وأدين إدانة ؛ والمعنى على الحقارة والتقريب . وهذا دون ذلك، أى قريب منه. ودوّن الكتب إذا جمعها؛ لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها ، ودونك هذا ، أصله خذه من دونك ، أى من أدنى منك فاختصر .

---

(١) سورة الجن ١١

(٢) سورة النساء ١٤٤

ذو وذات

بمعنى صاحب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[2] . ولا يستعمل إلا مضافا ، ولا يضاف إلى صفة ، ولا إلى ضمير .

وإنما وضعت وُصلة إلى وصف الأشخاص بالأجناس، كما أن « الذى » وضعت وصلة إلى وصل المعارف بالجمل ، وسبب ذلك أن الوصف إنما يراد به التوضيح والتخصيص ، والأجناس أعمّ من الأشخاص فلا يُتصور تخصيصها لها ؛ فإنك إذا قلت : مررت برجل عِلْم ، أو مال أو فضل ؛ ونحوه لم يعقل ؛ ما لم يقصد به المبالغة ؛ فإذا قلت : بذِى علْم، صحّ الوصفُ ، وأفاد التخصيص ؛ ولذلك كانت الصفة تابعة للموصوف فى إعرابه ومعناه .

وأما قراءة ابن مسعود : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عَالِمٍ عَلِيمٌ ﴾[3] ، فقيل : « العالم » هنا مصدر ، كالصالح والباطل ، وكأنه قال : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ ﴾[3] ؛ فالقراءتان فى المعنى سواء .

وقيل : « ذى » زائدة .

وقيل : من إضافة المسمّى إلى الاسم ، أى وفوق كل ذى شخص يسمى عالما ، أو يقال له عالم عليم .

ولا يضاف إلى ضمير الأشخاص ، ولهذا لحّنوا قول بعضهم : « صلى الله على محمد وذويه » .

---

(١) سورة البروج ١٥

(٢) سورة الرحمن ٤٨

(٣) سورة يوسف ٧٦

واختلفوا هل تضاف « ذو » إلى ضمير الأجناس ، فمنعه الأكثرون . والظاهر الجواز ؛ لأن ضمير الجنس هو الجنس فى المعنى .

وعن ابن برّى أنها تضاف إلى ما يضاف إليه صاحب ، لأنها رديفته ؛ وأنّه لا يمتنع إضافتها للضمير إلا إذا كانت وصلة ، وإلا فلا يمتنع .

وقال المطرّزى[1] فى « المُغْرب » : ذو بمعنى الصاحب تقتضى شيئين : موصوفا ومضافا إليه ؛ تقول: جاءنى رجل ذو مال ، بالواو فى الرفع ، وبالألف فى النصب، وبالياء فى الجرّ ، ومنه : ذو بطن خارجة ، أى جنينها ، وألقت الدجاجة ذا بطنها ، أى باضت أو سلحت . وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال ، وللبنتين ذواتا مال، وللجماعة ذوات مال .

قال : هذا أصل الكلمة ، ثم اقتطعوا عنها مقتضاها ؛ وأجروْها مجرى الأسماء التّامة المستقلة ، غير المقتضية لما سواها ، فقالوا : ذات متميزة ، وذات قديمة ومحدثة ، ونسبوا إليها كما هى من غير تغيير علامة التأنيث ، فقالوا : الصفات الذاتية ، واستعملوها استعمال النفس والشىء .

وعن أبى سعيد ـ يعنى السيرافى ـ كلّ شىء ذات ، وكل ذات شىء .

وحكى صاحب « التكملة »[2] قولَ العرب: جعل ما بيننا فى ذاته ، وعليه قول أبى تمام:

* ويضرب فى ذات الإله فيوجع[3] *

قال شيخنا ـ يعنى الزمخشرى : إن صح هذا، فالكلمة عربية ، وقد استمر المتكلمون فى استعمالها، وأما قوله : ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[4] ، وقوله : « فلان قليل ذات اليد »،

(١) هو ناصر بن عبد السيد بن المطرز، أبو الفتح المعروف بالمطرزى، تلميذ الزمخشرى، وخليفته فى النحو واللغة والاعتزال ؛ توفى سنة ٥٨٣ بغية الوعاة ٤٠٢

(٢) هو الإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغانى ؛ صاحب التكملة على الصحاح ؛ ذكر فيها مافاته من اللغة ؛ وهى أكبر حجما منه ؛ وتوفى سنة ٦٥٠ ، كشف الظنون ١٠٧٢

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٦ ، وصدره :

* يَقُولُ فَيُسْمِعُ وَيَمْشِى فَيُسْرِعُ *

(٤) سورة هود ٥

فمن الأول ، والمعنى الإقلال ، لصاحبة اليد . وقولهم : «أصلح الله ذات بينه» ، و «ذواليد أحق» . انتهى .

وقال السّهيليّ : والإضافة لـ«ذى» أشرف من الإضافة لصاحب ، لأن: قولك: «ذو» يضاف إلى التابع ، و «صاحب» يضاف إلى المتبوع ، تقول : أبو هريرة صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا تقول : النبيّ صاحب أبى هريرة إلا على جهةٍ ما ، وأما «ذو» فإنك تقول فيها : ذو المال ، وذو العرش ، فتجد الاسمَ الأول متبوعا غير تابع ، ولذلك سُمِّيت أقيال حمير بالأذواء ، نحو قولهم : ذو جَدَن ، ذو يَزَن ، فى الإسلام أيضاً : ذو العين ، وذو الشهادتين ، وذو السِّماكين ، وذو اليدين ؛ هذا كله تفخيم للشئ ،وليس ذلك فى لفظة «صاحب» ، وبنى على هذا الفرق أنه سبحانه قال فى سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾(١) ، فأضافه إلى «النون» وهو الحوت ، وقال فى سورة القلم :﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾(٢) ، قال : والمعنى واحد ، لكن بين اللفظين تفاوت كبير فى حسن الإشارة إلى الحالتين ، وتنزيل الكلام فى الموضعين ، فإنه ذكر فى موضع الثناء عليه ذو النون ، ولم يقل صاحب النون ، لأن الإضافة بـ «ذى» أشرف من صاحب ، ولفظ النون أشرف من الحوت ، لوجود هذا الاسم فى حروف الهجاء أوائل السور ، وليس فى اللفظ الآخر ما يشرفه لذلك . فالتفتْ إلى تنزيل الكلام فى الآيتين يَلُحْ لك ما أشرنا إليه فى هذا الغرض ؛ فإن التدبّر لإعجاز القرآن واجب ومفترض .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾(٣) أى الحال بينكم، وأزيلوا المشاجرة . وتكون للإرادة والنية ، كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٤) ، أى السرائر .

---

(١) سورة الأنبياء ٨٧ (٢) سورة ن ٤٨

(٣) سورة الأنفال ١ (٤) سورة آل عمران ١٥٤

رُوَيد

تصغير « رُود » ، وهو المَهْل ، قال تعالى : ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾[1] ، أى قليلا .

قال ابن قتيبة : وإذا لم يتقدمها « أمهلهم » ؛ كانت بمعنى « مهلا » ولا يُتكلم بها إلا مصغرا مأمورا بها .

ربّما

لا يكون الفعل بعدها إلا ماضيا ؛ لأن دخول « ما » لا يزيلها عن موضعها فى اللغة ، فأما قوله تعالى : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[2] ، فقيل على إضمار « كان » ، تقديره « ربما كان يود الذين كفروا » .

السين

حرف استقبال . قيل : وتأتى للاستمرار ، كقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾[3] . وقوله : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَاوَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾[4] ؛ لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : ﴿ مَاوَلَّاهُمْ ﴾ ، فجاءت السين إعلاما بالاستمرار لا بالاستقبال .

قال الزمخشرى : أفادت السين وجود الرحمة لا محالة ، فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : سأنتقم منك .

---

(١) سورة الطارق ١٧
(٢) سورة الحجر ٢
(٣) سورة النساء ٩١
(٤) سورة البقرة ١٤٢

ومثله قول سيبويه فى قوله : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾[1] : معنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخرت إلى حين .

وقال الطيبى : مراد الزمخشرى أن السين فى الإثبات مقابلة « إن » فى النفى ؛ وهذا مردود؛ لأنه لو أراد ذلك لم يقل: السين توكيد للوعد، بل كانت حينئذٍ توكيدا للموعود به، كما أن « لو » تفيد تأكيد النفى بها .

وتأتى زائدة، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾[2]، أى تجيبون. وقوله : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة ١٣٧

(٢) سورة الإسراء ٥٢

(٣) سورة الشورى ٢٦

سوف

حرف يدل على التأخير والتنفيس ، وزمانه أبعد من زمان السين ؛ لما فيها من إرادة التسويف .

ومنه قيل : فلان يسوّف فلانا ، قال تعالى : ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ ﴾(٢) ، فقرّب القول .

وممن صرح بالتفاوت بينهما الزمخشري وابن الخشاب في شرح الجمل، وابن يعيش وابن أبان وابن بابشاذ ، وابن عصفور وغيرهم .

ومنع ابن مالك كون التراخي في «سوف» أكثر ، بأن الماضي والمستقبل متقابلان ، والماضي لا يقصد به إلا مطلق المضيّ دون تعرض لقرب الزمان أو بعده ، فكذا المستقبل ، ليجري المتقابلان على سَنَن واحد، ولأنهما قد استعملا في الوقت الواحد. وقال تعالى في سورة: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾(٣) : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾(٣) . وفي سورة التكاثر: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٥) .

قلت : ولا بدّ من دليل على أن قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)، وقوله: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾(٦) معبّرا به عن معنى واحد .

وللمانع أن يمنعه مستندا إلى أن الله تعالى وعد المؤمنين أحوال خير في الدنيا والآخرة، فجاز أن يكون ما قرن بالسين لما في الدنيا ، وما قرن بسوف لما في الآخرة. ولا يخفى خروج

---

(١) سورة الزخرف ٤٤
(٢) سورة البقرة ١٤٢
(٣) سورة النبأ ١ ، ٤ ، ٥
(٤) سورة التكاثر ٣ ، ٤
(٥) سورة النساء ١٤٦
(٦) سورة النساء ١٧٥

قوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[2] عن دعواه؛لأن الوعد والوعيد مع « سوف » لا إسكان فيه،ومع السين للمبالغة وقصد تقريب الوقوع، بخلاف سيقوم زيد ، وسوف يقوم ؛ مما القصد فيه الإخبار المجرد .

وفرق ابن بابشاذ أيضا بينهما ، بأن « سوف » تستعمل كثيرا فى الوعيد والتهديد، وقد تستعمل فى الوعد .

مثال الوعيد: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[3]، و﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وأمثالها فى الوعد : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[4] فأما قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[5]، لتضمنه الوعد والوعيد جميعا ، فالوعد لأجل المؤمنين المحبين ، والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين بكونهم أعزة عليهم وعلى جميع الكافرين .

والأكثر فى السين الوعد ، وتأتى للوعيد .

مثال الوعد : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[6] .

ومثال الوعيد : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِين ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[7] .

---

(١) سورة النبأ ٤
(٢) سورة التكاثر ٣
(٣) سورة الفرقان ٤٢
(٤) سورة الضحى ٥
(٥) سورة المائدة ٥٤
(٦) سورة مريم ٩٦
(٧) سورة الشعراء ٢٢٧

عَلَى

للاستعلاء حقيقة ، نحو ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾(١) .

أو مجازا ، نحو : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾(٢) .

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾(٤)،فهي بمعنى الإضافة والإسناد، أي أضفتُ توكلي وأسندته إلى الله تعالى ؛ لا إلى الاستعلاء ؛ فإنها لا تفيده هاهنا .

وللمصاحبة ، كقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾(٥) .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾(٦) .

وتأتى للتعليل ، نحو : ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾(٧) أى لهدايته إياكم .

قال بعضهم : وإذا ذكرت النعمة فى الغالب مع الحمد لم تقترن بـ« على »، نحو: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾(٨) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٩) ، وإذا أريدت النعمة أتى بـ « على » ، ففى الحديث : كان إذا رأى ما يكره قال : الحمد لله على كل حال . ثم أورد هذه الآية .

وأجاب بأن العلوّ هنا رفع الصوت بالتكبير .

وتجىء للظرفية ، نحو : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾(١٠) .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٢
(٢) سورة الشعراء ١٤
(٣) سورة البقرة ٢٥٣
(٤) سورة الفرقان ٥٨
(٥) سورة البقرة ١٧٧
(٦) سورة الرعد ٦
(٧) سورة الحج ٣٧
(٨) سورة الأنعام ١
(٩) سورة فاطر ١
(١٠) سورة القصص ١٥

ونحو : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾(١) ، أى فى ملك سليمان، أو فى زمن سليمان ، أى زمن ملكه .

ويحتمل أن « تتلو » ضمن معنى « تقول » ، فتكون بمنزلة ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾(٢) .

وبمعنى « من » كقوله تعالى : ﴿ ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(٣) .

وحُمِل عليه قوله : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَانِ ﴾(٤) أى منهم .

وقوله: ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾(٥) أى كان الورود حتما مقضيا من ربك.

وبمعنى عند نحو ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾(٦) ، أى عندى .

والباء ، نحو: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾(٧) وفى قراءة أُبيّ رضى الله عنه: بالباء.

تنبيه

حيث وردت فى حق الله تعالى؛ فإن كانت فى جانب الفضل كان معناه الوقوع وتأكيده ، كقوله : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(٨) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾(٩) .

---

(١) سورة البقرة ١٠٢
(٢) سورة الحاقة ٤٤
(٣) سورة المطففين ٢
(٤) سورة المائدة ١٠٧
(٥) سورة مريم ٧١
(٦) سورة الشعراء ١٤
(٧) سورة الأعراف ١٠٥
(٨) سورة الرعد ٤٠
(٩) سورة الغاشية ٢٦

عن

تقتضى مجاوزة ما أضيف إليه نحو غيره وتعدّيه عنــه ، تقول : أطعمته عن جوع ، أى أزلت عنه الجوع ، ورميت عن القوس ؛ أى طرحتُ السهم عنها . وقولك : أخذت العلم عن فلان ، مجاز ، لأن علمه لم ينتقل عنه ؛ ووجه المجاز أنك لما تلقيته منه صار كالمنتقل إليك عن محلّه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾(١) ، لأنهم إذا خالفوا أمره بَعُدوا عنه وتجاوزوه .

قال أبو محمد البصرى : «عن» تستعمل أعمّ من « على » ، لأنه يستعمل فى الجهات الست ، وكذلك وقع موقع « على » فى قوله :

* إذا رَضِيَتْ علىّ بنو قُشَير *

ولو قلت : أطعمته من جوع ، وكسوته على عرى ، لم يصح .

***

وتجىء للبدل ، نحو : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾(٢) .

وللاستعلاء ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى ﴾(٤) ، أى قدمته عليه .

وقيل : على بابها ، أى منصرفا عن ذكر ربّى .

وحكى الرمانىّ عن أبى عبيدة أن « أحببت » من أحبّ البعير إحبابا ؛ إذا برك فلم يقم ، فـ « عن » متعلقة باعتبار معناه التضمين ، أى تثبطت عن ذكر رَبّى ، وعلى هذا فـ « حب الخير » ، مفعول لأجله .

***

(١) سورة النور ٦٣
(٢) سورة البقرة ٤٨
(٣) سورة محمد ٣٨
(٤) سورة ص ٣٢

وللتعليل ، نحو : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ ﴾[1] .
﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾[2] .

* * *

وبمعنى « بعد » ، نحو : ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾[3] .
﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[4] ، بدليل أن فى مكان آخر « من بعد مواضعه » .
﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[5] .

* * *

وبمعنى « من » نحو ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[6] .
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾[7]،بدليل : ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾[8] .

* * *

وبمعنى « الباء » نحو : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾[9] . وقيل : على حقيقتها ، أى : وما يصدر قوله عن هوى . وقيل : للمجاوزة ؛ لأن نطقه متباعد عن الهوى ، ومتجاوز عنه .

وفيه نظر ، لأنها إذا كانت بمعنى الباء، نفى عنه النطق فى حال كونه متلبساً بالهوى، وهو صحيح ، وإذا كانت على بابها نفى عنه التعلق حال كونه مجاوزا عن الهوى ، فيلزم أن يكون النطق حال كونه متلبسا بالهوى . وهو فاسد .

---

(١) سورة التوبة ١١٤
(٢) سورة هود ٥٣
(٣) سورة المؤمنون ٤٠
(٤) سورة المائدة ١٣
(٥) سورة الانشقاق ١٩
(٦) سورة الشورى ٢٥
(٧) سورة الأحقاف ١٦
(٨) سورة المائدة ٢٧
(٩) سورة النجم ٣

عسى

للترجي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه . وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾(١) .

قال ابن فارس : وتأتي للقرب والدنوّ ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾(٢) ، قال : وقال الكسائيّ : كل مافي القرآن من « عسى » على وجه الخبر فهو موحد ، نحو : ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾(٣) ، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾(١) ، ووحّد على « عسى الأمر أن يكون كذا » .

وما كان على الاستفهام فهو يُجمع ، كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾(٤) .

قال أبو عبيدة معناه : هل عدوتم ذلك ؟(٥) هل جُزْتموه ؟

وروى البيهقي في سننه عن ابن عباس ، قال : كل « عسى » في القرآن فهي واجبة .

وقال الشافعيّ : يقال : عسى من الله واجبة .

وحكى ابن الأنباريّ عن بعض المفسرين أن « عسى » في جميع القرآن واجبة ، إلا في موضعين في سورة بني إسرائيل :

﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾(٦) ، يعني بني النضير ، فما رحمهم الله ، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع عليهم العقوبة .

---

(١) سورة البقرة ٢١٦
(٢) سورة النمل ٧٢
(٣) سورة الحجرات ١١
(٤) سورة محمد ٢٢
(٥) فقه اللغة ١٢٨ ، مع تصرف واختصار .
(٦) سورة الإسراء ٨

وفى سورة التحريم: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾(١)، ولازمْنه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعمّ بعضهم القاعدة، وأبطل الاستثناء، لأن تقديره أن يكون على شرط، أى فى وقت من الأوقات، فلما زال الشرط وانقضى الوقت، وجب عليكم العذاب، فعلَى هذا لم تخرج عن بابها الذى هو الإيجاب.

وكذلك قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾(١) تقديره: واجب أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، أى لبتّ طلاقكن، ولم يبت طلاقهنّ، فلا يجب التبديل.

وقال صاحب «الكشاف» فى سورة التحريم: ﴿عَسَى رَبُّهُ﴾(١) إطماع من الله تعالى لعباده. وفيه وجهان: أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بـ «لعلّ» وعسى، ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبتّ. والثانى أن تجىء تعليما للعباد وجوب الترجيح بين الخوف والرجاء.

---

(١) سورة التحريم.

عند

ظرف مكان بمعنى « لدن » إلا أن « عند » معربة . وكان القياس بناءها لافتقارها إلى ما تضاف إليه ، كـ« لدن » و« إذْ »، ولكن أعربوا « عند » لأنهم توسعوا فيها ، فأوقعوها على ما هو مِلك الشخص ، حضره أو غاب عنه ، بخلاف « لدن » فإنه لا يقال : لدن فلان ؛ إلا إذا كان بحضرة القائل ، فـ « عند » بهذا الاعتبار أعمّ من « لدن » ؛ ويستأنس له بقوله : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾(١) ، أى من العلم الخاصّ بنا ، وهو علم الغيب .

وقوله : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾(٢) ، الظاهر أنها بمعنى « عندك » ؛ وكأنها أعمّ من « لدن » لما ذكرنا ، فهى أعمّ « من بين يدى » ؛ لاختصاص هذه بجهة « أمام » ؛ فإن من حقيقتها السكون من جهتىْ مسامتة البدن .

وتفيد معنى القرب .

وقد تجىء بمعنى « وراء » و « أمام » ، إذا تضمّنت معنى « قبل » كـ « بين يدى الساعة » .

وقد تجىء « وراء » بمعنى « لدى » المضمن معنى « أمام » ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾(٣) .
﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الكهف ٦٥
(٢) سورة آل عمران ٨
(٣) سورة الكهف ٧٩
(٤) سورة إبراهيم ١٦

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[2] ، يتناول الحالين بالتضايف .

وقد يطلق لتضمنه معنى الطواعية وترك الاختيار مع المخاطب ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[3] ، من النهى عن التقديم ، أو التقدّم على وجه المبادرة بالرأى والقول ، أى لا تقدموا القول ، أو لا تقدموا بالقول بين يدى قول الله . وعلى هذا يكون المعنى بقوله : ﴿ بين يدى الله ورسوله ﴾ أملأ بالمعنى .

وإذا ثبت أن «عند» و «لدى» للقرب ، فتارة يكون حقيقيا ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[4] .

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[5] .

وتارة مجازيا ، إما قرب المنزلة والزلفى ، كقوله : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[6] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[7] وعلى هذا قيل : الملائكة المقرّبون .

أو قرب التشريف ، كقوله : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾[8] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لى خطئى وعمدى ، وهزلى وجدّى ، كل ذلك عندى » ، أى فى دائرتى ؛ إشارة لأحوال أمته ؛ وإلا فقد ثبتت له العصمة .

وتارة بمعنى الفضل ؛ ومنه : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾[9] ، أى من فضلك وإحسانك .

وتارة يراد به الحكم ، كقوله : ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[10] .

---

(١) سورة البقرة ٩١
(٢) سورة الحشر ١٤
(٣) سورة الحجرات ١
(٤) سورة النجم ١٣ ، ١٤ ، ١٥
(٥) سورة يوسف ٢٥
(٦) سورة آل عمران ١٦٩
(٧) سورة الأعراف ٢٠٦
(٨) سورة التحريم ١١
(٩) سورة القصص ٢٧
(١٠) سورة النور ١٣

﴿ وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(١) أى فى حكمه تعالى .

وقوله : ﴿ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾(٢) أى فى حكمك . وقيل بحذف « عند » فى الكلام ؛ وهى مرادة للإيجاز ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾(٣) .

﴿ رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ ﴾(٤) .

﴿ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾(٥) ، أى من عند الرحمن ؛ لظهور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾(٦) .

وقد تكون « عند » للحضور ، نحو : ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾(٧) .

وقد يكون الحضور والقرب معنويين ، نحو : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾(٨) .

ويجوز : وأنزل عندك .

---

(١) سورة النور ١٥
(٢) سورة الأنفال ٣٢
(٣) سورة البقرة ١٤٧
(٤) سورة البينة ٢
(٥) سورة مريم ٤٥
(٦) سورة المائدة ١٥
(٧) سورة النمل ٤٠
(٨) سورة النمل ٤٠

غير

متى ما حسن موضعها « لا » كانت حالا ، ومتى حسن موضعها « إلا » كانت استثناء .

ويجوز أن تقع صفة لمعرفة ، إذا كان مضافُها إلى ضد الموصوف ، بشرط أن يكون له ضدّ واحد ، نحو مررت بالرجل الصادق غيرِ الكاذب ؛ لأنه حينئذ يتعرف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1] ، فإن الغضب ضدَ النعمة ، والأول هم المؤمنون والثانى هم الكفار .

وأورِد عليه قوله تعالى : ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[2] ، فإنه أضيف إلى الذين كانوا يعملون ، وهو ضد الصالح كأنّه قيل : « الصالح » .

وأجيب بأنّ الذين كانوا يعملونه بعض الصالح فلم يتمحّض فيهما .

---

(١) سورة الفاتحة ٧

(٢) سورة فاطر ٣٧

الفاء

ترد عاطفة ، وللسببية ، وجزاء ، وزائدة .

الأول : العاطفة ، ومعناها التعقيب ، نحو قام زيد فعمرو ؛ أى أنّ قيامه بعده بلا مهلة . والتعقيب فى كل شىء بحسبه ؛ نحو ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[١] .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا ﴾[٢] ، والبأس فى الوجود قبل الهلاك ـ وبها احتجّ الفرّاء على أنّ ما بعد الفاء يكون سابقا ـ ففيه عشرة أوجه :

أحدها : أنه حذف السبب وأبقى المسبّب ؛ أى أردنا إهلاكها .

الثانى : أن الهلاك على نوعين : استئصال ، [وبغير استئصال][٣]، والمعنى: وكم قرية أهلكناها بغير استئصال للجميع ، فجاءها بأسنا باستئصال الجميع .

الثالث : أنه لما كان مجىء البأس مجهولا للناس ، والهلاك معلوم لهم ، وذكره عقِب الهلاك ، وإن كان سابقاً ؛ لأنه لا يتّضح إلا بالهلاك .

الرابع : أن المعنى : قاربنا إهلاكها ؛ فجاءها بأسنا فأهلكناها .

الخامس : أنه على التقديم والتأخير ؛ أى جاءها بأسنا فأهلكناها .

السادس : أن الهلاك ومجىء البأس ، لما تقاربا فى المعنى ، جاز تقديم أحدهما على الآخر .

---

(١) سورة البقرة ٣٦

(٢) سورة الأعراف ٤

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

السابع : أن معنى : ﴿ فَجَاءهَا ﴾ أنه لما شوهد الهلاك ، عُلِم مجيء البأس، وحُكم به من باب الاستدلال بوجود الأثر .

الثامن : أنها عاطفة للمفصّل عَلَى المجمَل ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً ﴾(١) .

التاسع : أنها للترتيب الذِّكْرِي .

العاشر . . .(٢)

* * *

وتجيء المهلة كـ « ثمّ » ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾(٣) ؛ ولا شكّ أن بينها وسائط .

وكقوله : ﴿ وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَى . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾(٤)، فإنّ بين الإخراج والغُثاء وسائط .

وجعل منه ابنُ مالك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾(٥) . وتُؤولت عَلَى أنّ « تصبح » معطوف على محذوف تقديره « أنبتنا به فطال النبت ، فتصبح » .

وقيل : بل هي للتعقيب ، والتعقيب على مابَعُد في العادة، تعقيبا لاعلى سبيل المضايقة، ـة سنين بعد الثانى عقب الأول فى العادة ؛ وإن كان بينهما أزمان كثيرة ، كقوله : خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ﴾ . قاله ابن الحاجب .

وقيـل : بل للتعقيب الحقيقى على بابها ؛ وذلك لأن أسباب الاخضرار عند زمانها ؛

---

(١) سورة الواقعة ٣٥ ــ ٣٧
(٢) كذا فى الأصول .
(٣) سورة المؤمنون ١٤
(٤) سورة الأعلى ٤ ، ٥
(٥) سورة الحج ٦٣

فإذا تكاملت أصبحت مخضرّة بغير مهلة ، والمضارع بمعنى الماضى يصحّ عطفه على الماضى ، وإنما لم ينصب على جواب الاستفهام لوجهين :

أحدهما : أنه بمعنى التقرير ، أى قد رأيت ؛ فلا يكون له جواب ؛ لأنه خبر .

والثانى : أنّه إنما ينصب ما بعد الفاء ؛ إذا كان الأول سبباً له ، ورؤيته لإنزال الماء ليست سببا لاخضرار الأرض ؛ إنما السبب هو إنزال الماء ؛ ولذلك عطف عليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾[١] ، ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾[٢] ، فالتقدير : فإذا أردت ؛ فاكْتُفِيَ بالسبب عن المسبب .

ونظيره : ﴿ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾[٣] ، أى فضرب فانفجرت .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ﴾[٤] ، فقيل: الفاء فى ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ ﴾ ، وفى ﴿فَكَسَوْنَا﴾ بمعنى « ثم » لتراخى معطوفها .

وقال صاحب « البسيط » : طول المدة وقصرها بالنسبة إلى وقوع الفعل فيهما ؛ فإن كان الفعل يقتضى زمنا طويلا طالت المهلة؛ وإن كان فى التحقيق وجود الثانى عقيب الأول بلا مهلة ؛ وإن كان الفعل يقتضى زمنا قصيرا ظهر التعقيب بين الفعلين ؛ فالآية واردة على التقدير الأول ؛ فلا ينافى معنى الفاء .

والحاصل أن المهلة بين الثانى والأول بالنسبة إلى زمن الفعل ؛ وأما بالنسبة إلى الفعل فوجود الثانى عقب الأول من غير مهلة بينهما ، هذا كله فى سورة المؤمنين .

---

(١) سورة النحل ٩٨ — (٢) سورة المائدة ٦

(٣) سورة الأعراف ١٦٠ — (٤) سورة المؤمنون ١٤

وقال فى سورة الحج : ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾(١) فعطف الكل بـ « ثم » ، ولهذا قال بعضهم : ثمّ لملاحظة أول زمن المعطوف عليه ، والفاء لملاحظة آخره؛ وبهذا يزول سؤال أن المخبَر عنه واحد وهو مع أحدهما بالفاء وهى للتعقيب ، وفى الأخرى بثم وهى للمهلة ، وهما متناقضان .

وقد أورد الشيخ عز الدين هـــذا السؤال فى قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) ، وفى أخرى : ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ ﴾(٣) .

وأجاب بأنّ أولَ ما تحاسب أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الأمم بعدهم، فتحمل الفاء على أول المحاسبين ؛ ويكون من باب نسبة الفعل إلى الجماعة إذا صدر عن بعضهم؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾(٤) ، ويحمل « ثم » على تمام الحساب .

فإن قيل : حساب الأولين متراخٍ عن البعث ، فكيف يحسن الفاء؟ فيعود السؤال .

قلنا : نص الفارسىّ فى « الإيضاح » على أن « ثمّ » أشد تراخيا من « الفاء » ، فدلّ على أنّ الفاء لها تراخ ، وكذا ذكر غيرُه من المتقدمين ، ولم يدّع أنها للتعقيب إلا المتأخرون . انتهى .

وتجىء لتفاوت ما بين رتبتين ؛ كقوله : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾(٥) تحتمل الفاء فيه تفاوت رتبة الصفّ من الزجر ورتبة الزجر من التلاوة، ويحتمل تفاوت رتبة الجنس الصافّ من رتبة الجنس الزاجر ؛ بالنسبة إلى صفهم وزجرهم ، ورتبة نفس الزاجر من الجنس التالى بالنسبة إلى زجره وتلاوته .

وقال الزمخشرىّ : للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال :

أحدها : أنها تدل على ترتيب معانيها فى الوجود ، كقوله :

(١) سورة الحج ٥
(٢) سورة الزمر ٧
(٣) سورة الأنعام ٦٠
(٤) سورة آل عمران ١٨١
(٥) سورة الصافات ١ ـ ٣

يالَهْفَ زيَّابةَ للحارث فالـ صابح فالغانم فالآيب[1]

أى الذى أصبح فغنم فآب .

الثانى : أن تدل على ترتيبها فى التفاوت من بعض الوجوه؛ نحو قولك : خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

الثالث : أنها تدلّ على ترتيب موصوفاتها ؛ فإنها فى ذلك ، نحو « رحم الله المحلّقين فالمقصرين » .

***

النوع الثانى: لمجرد السببية والربط، نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾[2]، ولا يجوز أن تكون عاطفة؛ فإنه لا يعطف الخبر على الإنشاء، وعكسه عكسها بمجرد العطف فيما سبق، من نحو : ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[3] .

وقد تأتى لهما ، نحو : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[4] ، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[5] ، ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾[6] .

وأما قوله تعالى: ﴿فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[7] ، فهذه ثلاث فاءات ؛ وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة بين الجمل المتعاطفة .

وقال بعضهم : إذا ترتب الجواب بالفاء ، فتارة يتسبب عن الأول ، وتارة يقام مقام ما تسبب عن الأول .

مثال الجارى على طريقة السببية : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[8]، ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ

(١) البيت من شواهد المغنى ؛ قال ابن هشام فى شرحه : « البيت لابن زيابة؛ يقول: يالهف أبى على الحارث إذ صبح قومى بالغارة فغنم فآب سليما ، ألا أكون لقيته فقتلته ؛ وذلك أنه يريد: يالهف نفسى» . المغنى ١ : ١٦٣

(٢) سورة الكوثر ١ ، ٢

(٣) سورة الأعلى ٥

(٤) سورة القصص ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٧

(٦) سورة الواقعة ٥٢ ـ ٥٥

(٧) سورة الأعراف ١٧٥

(٨) سورة الأعلى ٦

إِلَىٰ حِينٍ ﴾(١) ، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾(٢) .

ومثال الثانى : ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾(٣) ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴾(٤) .

* * *

النوع الثالث : الجزائية ، والفاء تلزم فى جواب الشرط إذا لم يكن فعلا خبريا ، أعنى ماضيا ومضارعا ، فإن كان فعلا خبريا امتنع دخول الفاء ، فيحتاج إلى بيان ثلاثة أمور : العلّة ، وتعاقب الفعل الخبرىّ والفاء .

والجواب عن اجتماعهما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ ﴾(٥) . وقوله: ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾(٦). وقراءة حمزة: ﴿ إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾(٧) .

وعن ارتفاعهما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾(٨) وفى قول الشاعر :

* مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا *

والجواب عن الأول، وهو السؤال عن علة تعاقب الفعل والفاء؛ أن الجواب هو جملة تامة ؛ يجوز استقلالها فلابدّ من شىء يدل على ارتباطها بالشرط ، وكونها جوابا له ؛ فإذا كانت الجملة فعلية صالحة لأن تكون جزاء ، اكتفى بدلالة الحال على كونها جوابا ؛ لأن الشرط يقتضى جوابا، وهذه الجملة تصلح جوابا ولم يؤت بغيرها؛ فلزم كونها جوابا . وإذا تعقبت الجواب امتنع دخول الفاء للاستغناء عنها، فإن كانت الجملة غير فعلية لم تكن صالحة

(١) سورة الصافات ١٤٨
(٢) سورة الأعراف ٦٤
(٣) سورة الإسراء ٦٠
(٤) سورة الأحقاف ٢٦
(٥) سورة النمل ٩٠
(٦) سورة الجن ١٣
(٧) سورة البقرة ٢٨٢ أى برفع « فتذكر » .
(٨) سورة الروم ٣٦

للجواب بنفسها ؛ لأنّ الشرط إنما يقتضى فعلين : شرطا وجزاء ؛ فما ليس فعلا ليس من مقتضيات أداة الشرط ؛ حتى يدلّ انتضاؤها على أنه الجزاء ، فلا بدّ من رابطة ، فجعلوا الفاء رابطة ؛ لأنها للتعقيب ؛ فيدل تعقيبها الشرط بتلك الجملة؛ على أنها الجزاء ، فهذا هو السبب فى تعاقب الفعل والفاء فى باب الجزاء .

والجواب عن الثانى: هو أن اجتماع الفعل والفاء فى الآيتين غير مبطل للمدّعى بتعاقبهما وهو أن المدعى تعاقبهما ، إذا كان الفعل صالحا لأن يجازى به ؛ وهو إذا ما كان صالحا للاستقبال ؛ لأن الجزاء لا يكون إلا مستقبلا .

وقوله: «صدقت» و« كذبت »[1] المراد بالفعل فى الآية المضىّ ؛ فلم يصح أن يكون جوابا فوجبت الفاء .

فإن قيل : فلم سقطت « الفاء » فى قوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[2] ؟ قلنا عنه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن « إذا » فى الآية ليست شرطا ، بل لمجرد الزمان ؛ والتقدير : والذين هم ينتصرون زمان إصابة البغى لهم .

والثانى : أن « هم » زائدة للتوكيد .

والثالث : أنّ الفاء حسّن حذفها كون الفعل ماضيا .

وبالأول يجاب عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾[3] .

---

(١) كذا فى الأصول ، ولم يرد فيما سبق مراده بالآية ؛ ولعله يريد قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

(٢) سورة الشورى ٣٧ (٣) سورة الجاثية ٢٥

والجواب عن الثالث أن الفعل والفاء أيضا من قوله ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(١) ، فهو أنّ « إذا » قامت مقام الفاء ، وسدّت مسدّها ، لحصول الربط بها، كما يحصل بالفاء ؛ وذلك لأن « إذا » للمفاجأة،وفى المفاجأة معنى التعقيب.

وأما الأخفش ، فإنه جوّز حذف الفاء حيث يوجِب سيبويه دخولها ، واحتج بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(٢) .

وبقراءة من قرأ : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٣) ، فى قراءة نافع وابن عامر .

ولا حجة فيه ، لأن الأول يجوز أن يكون جواب قسم،والتقدير : والله إن أطعتموهم؛ فتكون ﴿إنكم لمشركون﴾ جوابا للقسم ؛ والجزاء محذوف سدّ جواب القسم مسدّه .

وأما الثانية ؛ فلأن « ما » فيه موصولة لا شرطية ، فلم يجز دخول الفاء فى خبرها .

***

والرابع : الزائدة ، كقوله تعالى : ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾(٤) ، والخبر « حميم » وما بينهما معترض .

وجعل منه الأخفش : ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾(٥) .

وقال سيبويه : هى جواب لشرط مقدر أى إن أردت عليه فذلك .

وقوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾(٦) على قول .

---

(١) سورة الروم ٣٦
(٢) سورة الأنعام ١٢١
(٣) سورة الشورى ٣٠
(٤) سورة ص ٥٧
(٥) سورة الماعون ٢
(٦) سورة الكوثر ٢

في

تجيء لمعان كثيرة :

للظرفية :

ثم تارة يكون الظرف والمظروف حسيين ، نحو زيد في الدار ؛ ومنه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾(١) ، ﴿ فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾(٢) ، ﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾(٣) ، ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِى أُمَمٍ ﴾(٤) .

وتارة يكونان معنويين ؛ نحو رغبت في العلم ، ومنه : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾(٥) .

وتارة يكون المظروف جسما ، نحو : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٦) .

وتارة يكون الظرف جسما ، نحو : ﴿ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾(٧) .

والأول حقيقة ، والرابع أقرب المجازات إلى الحقيقة .

وتجيء بمعنى « مع » ، نحو : ﴿ فِى تِسْعِ آيَاتٍ ﴾(٨) ، ﴿ فَادْخُلِى فِى عِبَادِى ﴾(٢) ، على قول .

وبمعنى « عند » ، نحو : ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(٩)

وللتعليل : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾(١٠) .

* * *

(١) سورة المرسلات ٤١
(٢) سورة الفجر ٢٩ ، ٣٠
(٣) سورة النمل ١٩
(٤) سورة الأحقاف ١٨
(٥) سورة البقرة ١٧٩
(٦) سورة الأعراف ٦٠
(٧) سورة البقرة ١٠
(٨) سورة النمل ١٢
(٩) سورة الشعراء ١٨
(١٠) سورة يوسف ٣٢

وبمعنى « على » كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾(١) ؛ بدليل قوله : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾(٣) لما فى الكلام من معنى الاستعلاء .

وقيل : ظرفية ؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ؛ فلذلك جاز أن يقال: فى .

وقيل : إنما آثر لفظة « فى » للإشعار بسهولة صلبهم ؛ لأن « على » تدلّ على نبوّ يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق .

وبمعنى « إلى » نحو : ﴿ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾(٤) .

﴿ فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾(٥) .

وبمعنى « من » : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾(٦) .

* * *

وللمقايسة وهى الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٧) .

وللتوكيد ، كقوله تعالى : ﴿ ٱرْكَبُوا فِيهَا ﴾(٨) .

* * *

وبمعنى بعد : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾(٩) أى بعد عامين .

---

(١) سورة يونس ٢٢
(٢) سورة المؤمنون ٢٨
(٣) سورة طه ٧١
(٤) سورة النساء ٩٧
(٥) سورة إبراهيم ٩
(٦) سورة النحل ٨٩
(٧) سورة التوبة ٣٨
(٨) سورة هود ٤١
(٩) سورة لقمان ١٤

وبمعنى « عن » ، كقوله : ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١) ، قيل لما نزلت : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٢) ، لم يسمعوا ولم يصدقوا ؛ فنزل : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١) أى عن النعيم الذى قلناه ، ووصفناه فى الدنيا ، فهو فى نعيم الآخرة أعمى إذ لم يصدِّق .

---

(١) سورة الإسراء ٧٢ (٢) سورة الإسراء ٧٠

قد

تدخل على الماضى المتصرّف ، وعلى المضارع ؛ بشرط تجرّده عن الجازم والناصب وحرف التنفيس .

وتأتى لخمس معان : التوقّع ، والتقريب ، والتقليل ، والتكثير ، والتحقيق .

* * *

فأما التوقع فهو نقيض « ما » التى للنفى . وتدخل على الفعل المضارع ، نحو : قد يخرج زيد ، تدلّ على أن الخروج متوقّع ؛ أى منتظر . وأمّا مع الماضى فلا يتحقق الوقوع بمعنى الانتظار ؛ لأن الفعل قد وقع ، وذلك ينافى كونه منتظرا ، ولذلك استشكل بعضهم كونها للتوقع مع الماضى ؛ ولكن معنى التوقع فيه أن « قد » تدلّ على أنه كان متوقّعا منتظرا ، ثم صار ماضيا ؛ ولذلك تُستعمل فى الأشياء المترقبة .

وقال الخليل: إن قولك: قد قعد ، كلام لقوم ينتظرون الخبر. ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة منتظرون(١) .

وظاهر كلام ابن مالك فى « تسهيله » أنها لم تدخل على المتوقّع لإفادة كونه متوقعاً بل لتقريبه من الحال . انتهى .

ولا يبعد أن يقال : إنها حينئذ تفيد المعنيين .

واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جوابا لمتوقّع ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) ؛ لأن القوم توقّعوا علم حالهم عند الله .

---

(١) نقله صاحب المغنى ١ : ١٧١ .

(٢) سورة المؤمنين ١

وكذلك قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[١] ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله تعالى لدعائها .

* * *

وأما التقريب ، فإنها ترد للدلالة عليه مع الماضى فقط ، فتدخل لتقريبه من الحال ؛ ولذلك تلزم « قد » مع الماضى إذا وقع حالا ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[٢] وأمّا ما ورد دون «قد» فقوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[٣]، فـ« قد » فيه مقدرة ؛ هذا مذهب المبرد والفراء وغيرهما .

وقيل : لا يقدر قبله قد .

وقال ابن عصفور : إن جواب القَسَم بالماضى المتصرف المثبَت ، إن كان قريباً من زمن الحال دخلت عليه « قد واللام »، نحو : والله لقد قام زيد؛ وإن كان بعيدا لم تدخل، نحو : والله لقام زيد .

وكلام الزمخشرى يدلّ على أنّ « قد » مع الماضى فى جواب القسم للتوقع ، قال فى الكشاف عند قوله : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾[٤] فى سورة الأعراف[٥] .

فإن قلت : مالهم لا يكادون ينطقون باللام إلا مع « قد » ، وقلّ عندهم مثل قوله :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ ... لَنَامُوا فَمَا إِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ[٦]

قلت : إنما كان كذلك ؛ لأن الجملة القَسَمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها؛ فكانت مظِنّة لمعنى التوقع؛ الذى هو معنى « قد » عند استماع المخاطب كلمة القَسم .

---

(١) سورة المجادلة ١

(٢) سورة الأنعام ١١٩

(٣) سورة يوسف ٦٥

(٤) سورة الأعراف ٥٩

(٥) الكشاف ٢ : ٨٨

(٦) لامرئ القيس ، ديوانه ٣٢

وقال ابن الخباز : إذا دخلت « قد » على الماضى أثّرتْ فيه معنيين : تقريبه من زمن الحال ، وجعله خبرا منتظرا ؛ فإذا قلت : قد ركب الأمير، فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك. هذا تفسير الخليل . انتهى .

وظاهره أنها تفيد المعنيين معاً فى الفعل الواحد .

ولا يقال : إن معنى التقريب ينافى معنى التوقع ؛ لأن المراد به ما تقدم تفسيره .

وكلام الزمخشرى[1] فى « المفصّل » يدلّ على أن التقريب لا ينفكّ عن معنى التوقّع .

* * *

وأما التقليل ، فإنها ترد له مع المضارع ، إمّا لتقليل وقوع الفعل نحو :قد يجود البخيل وقد يصدق الكذوب . أو للتقليل لمتعلّق ، كقوله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾[2] أى ماهم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه .

وقال الزمخشرى :هى للتأكيد، وقال: إنّ «قد» إن دخلت على المضارع كانت بمعنى «ربما»، فوافقت « ربما » فى خروجها إلى معنى التكثير؛ والمعنى : إن جميع السموات والأرض مختصا به خلقا وملكا وعلما ، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين[3] !

وقال فى سورة الصف: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[4]: قد معناها التوكيد ، كأنه قال تعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه[5] .

ونصّ ابن مالك على أنها كانت للتقليل صرفت المضارع إلى الماضى .

وقد نازع بعض المتأخرين فى أن « قد » تفيد التقليل ، مع أنه مشهور ونص عليه الجمهور ، فقال : قد تدلّ على توقع الفعل عمّن أسند إليه ، وتقليل المعنى لم يُستفد من «قد» بل لو قيل : البخيل يجود والكذوب يصدق ، فُهِم منه التقليل ؛ لأن الحكم على مَنْ شأنه

---

(١) انظر المفصل ص ٣١٦ (٢) سورة النور ٦٤

(٣) الكشاف ٣ : ٢٠٧ مع اختصار فى العبارة .

(٤) سورة الصف ٥ (٥) الكشاف ٤ : ٤١٩

البخل بالجود ، وعلى مَنْ شأنه الكذب بالصدق ، إن لم يحمل ذلك على صدور ذلك قليلا ، كان الكلام كذبا ؛ لأن آخرَه يدفع أولَه .

* * *

وأما التكثير فهو معنى غريب ؛ وله من التوجيه نصيب ، وقد ذكره جماعة من المتأخرين .

وجعل منه الزمخشري : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[1] .

وجعلها غيرُه للتحقيق .

وقال ابن مالك : إن المضارع هنا بمعنى الماضي ، أي قد رأينا .

* * *

وأما التحقيق فترد لتحقيق وقوع المتعلّق مع المضارع والماضي ، لكنه قد يرد والمراد به المضيّ ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[1] .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ﴾[2] .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[3] .

وقال الراغب : إن دخلت على الماضي اجتمعت لكل فعل متجدد ، نحو : ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[4] .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾[5] .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] .

﴿ لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ ﴾[7] .

---

(١) سورة البقرة ١٤٤
(٢) سورة الأنعام ٣٣
(٣) سورة النور ٦٤
(٤) سورة يوسف ٩٠
(٥) سورة آل عمران ١٣
(٦) سورة الفتح ١٨
(٧) سورة التوبة ١١٧

ولهذا لا تستعمل فى أوصاف الله ، لا يقال : « قد كان الله غفورا رحيما » .

فأما قوله : ﴿ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَرْضَى ﴾[1] ، فهو متأول للرضى فى المعنى ؛ كما أن النفى فى قولك : ما علم الله زيد يخرج ، هو للخروج ، وتقديره : وما يخرج زيد فيما علم الله . وإن دخلت على المضارع فذلك لفعل يكون فى حاله ، نحو : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾[2] ، أى قد يتسللون فيما علم الله .

---

(١) سورة المزمل ٢٠

(٢) سورة النور ٦٣

الكاف

للتشبيه ، نحو : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ ﴾(١) وهو كثير .

وللتعليل كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾(٢) ، قال الأخفش : أى لأجل إرسالى فيكم رسولا منكم ، فاذكرونى .

وهو ظاهر فى قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾(٢) .

وجعل ابن بَرْهان النحوىّ منه قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾(٣) .

وللتوكيد : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(٥) ، أى ليس شىء مثله ؛ وإلا لزم إثبات المثل .

قال ابن جنى : وإنما زيدت لتوكيد نفى المِثْل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيا .

وقال غيره : الكاف زائدة ؛ لئلا يلزم إثبات المثل لله تعالى ؛ وهو محال ، لأنها تفيد نفىَ المثل عن مثله ، لا عنه ، لأنه لولا الحكم بزيادتها لأدى إلى محال آخر ؛ وهو أنه إذا لم يكن مثل شىء لزم ألّا يكون شيئاً ؛ لأن مِثْل المثل مثله .

وقيل : المراد مثل الشىء ذاته وحقيقته ، كما يقال : مثلى لا يفعل كذا ، أى أنا لا أفعل ؛ وعلى هذا لا تكون زائدة .

وقال ابن فُورك : هى غير زائدة ؛ والمعنى ليس مثل مثله شىء ، وإذا نفيت التماثل عن الفعل ، فلا مثل لله على الحقيقة .

قال صاحب المستوفى : ولتأكيد الوجود ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(٦) ، أى أن تربيتهما لى قد وجدت ، كذلك أوجد رحمتك لهما يارب .

---

(١) سورة الرحمن ٢٤
(٢) سورة البقرة ١٥١ ؛ ١٩٨
(٣) سورة القصص ٨٢
(٤) سورة البقرة ٢٥٩
(٥) سورة الشورى ١١
(٦) سورة الإسراء ٢٤

كان

تأتى للمضىّ ، وللتوكيد ، وبمعنى القدرة كقوله : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾[1] ، أى ما قدرتم .

وبمعنى « ينبغى » كقوله: ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾[2]، أى لم ينبغ لنا .

وتكون زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] ، أى بما يعملون ؛ لأنه قد كان عالما ما علموه من إيمانهم به .

وقد سبقت فى مباحث الأفعال .

كأن

للتشبيه المؤكد ؛ ولهذا جاء ﴿ كأنه هو ﴾[4] ، دون غيرها من أدوات التشبيه .

ولليقين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾[5] ؛ على ما سيأتى .

وقد تخفف ، قال تعالى : ﴿ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾[6] .

كأيّن

بمعنى « كم » للتكثير ؛ لأنها كناية عن العدد ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾[7] . وفيها قراءتان : « كائن » على وزن « قائل » و « بائع » « وكأيّن » بتشديد الياء .

---

(١) سورة النمل ٦٠
(٢) سورة النور ١٦
(٣) سورة الشعراء ١١٢
(٤) سورة النمل ٤٢
(٥) سورة القصص ٨٢
(٦) سورة يونس ١٢
(٧) سورة الطلاق ٨

قال ابن فارس : سمعتُ بعض أهـل القرية يقول : ما أعلم كلمة تثبت فيها النون خَطًّا غير هذه[1] .

كاد

بمعنى قارب ، وسبقت في مباحث الأفعال .

(١) فقه اللغة ١٣٢

كَلّا

قال سيبويه : حرف ردْع وزجْر .

قال الصَّفَّار : إنها تكون اسما للرّد ، إما لردّ ما قبلها ، وإما لردّ مابعدها ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) ، هى ردٌّ لما قبلها ؛ لأنه لما قال : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾(٢) ، كان إخباراً بأنهم لا يعلمون الآخرة ولا يصدقون بها ، فقال : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، فلا يحسنُ الوقف عليها هنا إلا لتبيين ما بعدها ، ولو لم يُفْتَقَرْ لما بعدها لجاز الوقف .

وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾(٣) ، هى ردّ لما قبلها ؛ فالوقف عليها حسن . انتهى .

وقال ابن الحاجب: شرطه أن يتقدّم مايردّ بها مافىغرض المتكلم؛ سواء كان من كلام غير المتكلّم على سبيل الحكاية أو الإنكار ، أو من كلام غيره .

كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾(٤) بعد قوله : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾(٤) .

وكقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾(٥) .

وكقولك : أنا أهين العالم ! كلّا . انتهى .

---

(١) سورة التكاثر ٣ ، ٤

(٢) سورة التكاثر ١ ، ٢

(٣) سورة الهمزة ٣ ، ٤

(٤) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٥) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

وهى نقيض « إى » فى الإثبات ، كقوله : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا . كَلَّا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ﴾[3] .

وتكون بمعنى « حقا » صلة لليمين ، كقوله : ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾[4] .

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾[5] .

وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[6] ، ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾[7] ، ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾[8] .

وأما قوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾[9] ، فيحتمل الأمرين .

* * *

وقد اختلف القرّاء فى الوقف عليها .

فمنهم من يقف عليها أينما وقعت ، وغلّب عليها معنى الزجر .

ومنهم من يقف دونها أينما وقعت ؛ ويبتدئ بها ، وغلّب عليها معنى الزجر .

ومنهم من يقف دونها أينما وقعت ، ويبتدئ بها ، وغلّب عليها أن تكون لتحقيق ما بعدها .

ومنهم من نظر إلى المعنيين، فيقف عليها إذا كانت بمعنى الردع، ويبتدئ بها إذا كانت بمعنى التحقيق . وهو أولى .

---

(١) سورة العلق ١٩
(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩
(٣) سورة مريم ٨١ ، ٨٢
(٤) سورة المدثر ٣٢
(٥) سورة الفجر ٢١
(٦) سورة المطففين ١٥
(٧) سورة المطففين ٧
(٨) سورة المطففين ١٨
(٩) سورة الهمزة ٣ ، ٤

ونقل ابن فارس عن بعضهم أن « ذلك » و « هذا » نقيضان [لـ « لا » ، وأن « كذلك » نقيض][1] لـ « كلّا » ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾[2] على معنى : ذلك كما قلنا وكما فعلنا .

ومثله : ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[3] .

قال : ويدلّ على هذا المعنى دخول الواو بعد قوله : « ذلك » و « هـذا » ؛ لأن ما بعد الواو يكون معطوفا[4] على ماقبله بها وإن كان مضمرا . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[5] ، ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ، أى كذلك فعلنا ونفعله من التنزيل ، وهو كثير[6] .

وقيل : إنها إذا كانت بمعنى « لا » فإنها تدخل على جملة محذوفة ، فيها نفيٌ لما قبلها ، والتقدير : ليس الأمر كذلك ؛ وهى على هذا حرف دال على هـــذا المعنى ، ولا تستعمل عند خلاف النحويين بهذا المعنى إلا فى الوقف عليها ، ويكون زجراً وردّا أو إنـكاراً لما قبلها ؛ وهذا مذهب الخليل وسيبويه والأخفش والمبرد والزجاج وغيرهم ؛ لأن فيها معنى التّهديد والوعيد ؛ ولذلك لم تقع فى القرآن إلا فى سورة مكية ، لأن التّهديد والوعيد أكثر ما نزل بمـكة ؛ لأن أكثر عتوّ المشركين وتجبّرهم بمـكة ، فإذا رأيت سورة فيها « كلّا » ، فاعلم أنها مكية .

وتـكون « كلّا » بمعنى « حقا » عند الـكسائى ، فيبتدأ بها لتأكيد ما بعدها ، فتـكون فى موضع المصدر ، ويكون موضعها نصبا على المصدر ، والعامل محذوف ، أى أحقّ ذلك حقا .

---

(١) تكملة من فقه اللغة لابن فارس .
(٢) سورة محمد ٤
(٣) سورة ص ٥٥
(٤) فقه اللغة : « منسوقا » .
(٥) سورة الفرقان ٣٢
(٦) فقه اللغة ١٣٤

ولا تستعمل بهذا المعنى عند حذاق النحويين إلا إذا ابتدئ بها لتأكيد ما بعدها .

وتكون بمعنى « أَلَا » فيستفتح بها الكلام، وهى على هذا حرف . وهذا مذهب أبى حاتم ؛ واستدل على أنها للاستفتاح أنه رُوى أن جبريل نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بخمس آيات من سورة العَلَق ، ولما قال : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ، طوى النمط . فهو وقف صحيح ، ثم لما نزل بعد ذلك : ﴿ كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾[2] ، فدلَّ على أن الابتداء بـ « كَلَّا » من طريق الوحى ، فهى فى الابتداء بمعنى « أَلَا » عنده .

فقد حصل لـ « كَلَّا » معانى النفى فى الوقف عليها ، و « حقا » و « أَلَا » فى الابتداء بها .

وجميع « كلاّ » فى القرآن ثلاثة وثلاثون موضعا ، فى خمس عشرة سورة ، ليس فى النصف الأول من ذلك شىء .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾[3] ، على معنى « أَلَا » ، واختار قوم جعلها بمعنى حقا . وهو بعيد لأنه يلزم فتح « إنّ » بعدها ، ولم يقرأ به أحد .

---

(١) سورة العلق ٥ (٢) سورة العلق ٦

(٣) سورة المؤمنين ١٠٠

كلّ

اسم وضع لضم أجزاء الشيء على جهة الإحاطة ؛ من حيث كان لفظه مأخوذا من لفظ « الإكليل » و« الكلّة » و « الكلالة » ؛ مما هو للإحاطة بالشيء ، وذلك ضربان :

أحدهما انضمام لذات الشيء وأحواله المختصّة به ، وتفيد معنى التمام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[1] ، أى بسطا تاما .

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾[2] ، ونحوه .

والثانى انضمام الذوات ؛ وهو المفيد للاستغراق .

ثم إن دخل على منكّر أوجب عموم أفراد المضاف إليه ، أوعلى معرّف أوجب عموم أجزاء مادخل عليه .

وهو ملازم للأسماء ، ولا يدخل على الأفعال .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[3] ، فالتنوين بدل من المضاف ، أى كلّ واحد .

وهو لازم للإضافة معنًى ، ولا يلزم إضافته لفظا إلا إذا وقع تأكيدا أو نعتا ، وإضافته منويّة عند تجرده منها .

ويضاف تارة إلى الجمع المعرّف ، نحو كلّ القوم . ومثله اسم الجانس ، نحو : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[4] ، وتارة إلى ضميره نحو : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ

---

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) سورة النساء ١٢٩

(٣) سورة النمل ٨٧

(٤) سورة آل عمران ٩٣

ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(١) ، ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾(٢)، ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾(٣) .

وإلى نكرة مفردة ، نحو : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾(٤) ، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٥) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(٦) .

وربما خلا من الإضافة لفظا وينوى فيه ، نحو : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٧) ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾(٨) ، ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(١) ، ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾(٩) ، ﴿ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(١٠) ، ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾(١١) .

وهل تنوينه حينئذ تنوين عوض أو تنوين صرف ؟ قولان .

قال أبو الفتح : وتقديمُها أحسنُ مِن تأخيرها ؛ لأن التقدير : « كلهم » ، فلو أخرت لباشرت العوامل ، مع أنها فى المعنى بمنزلة مَنْزِلة مالا يباشره ، فلما تقدّمت أشبهت المرتفعة بالابتداء؛ فى أن كلا منهما لم يل عاملا فى اللفظ ، وأما « كلّ » المؤكد بها فلازمة للإضافة.

وتحصّل لها ثلاثة أحوال :

مؤكِّدة ، ومبتدأ بها مضافة ، ومقطوعة عن الإضافة .

فأما المؤكِّدة فالأصل فيها أن تكون توكيدا للجملة، أوماهو فى حكم الجملة مما يُتبعّض، لأنّ موضوعها الإحاطة كما سبق .

وأما المضافة غير المؤكّدة ، فالأصل فيها أن تضاف إلى النكرة الشائعة فى الجنس لأجل

---

(١) سورة مريم ٩٥
(٢) سورة الحجر ٣٠ ، ص ٧٣
(٣) سورة الفتح ٢٨
(٤) سورة الإسراء ١٣
(٥) سورة النساء ١٧٦
(٦) سورة المدثر ٣٨
(٧) سورة الأنبياء ٣٣
(٨) سورة النمل ٨٧
(٩) سورة الأنعام ٨٤
(١٠) سورة الأنبياء ٨٥
(١١) سورة الفرقان ٣٩

معنى الإحاطة ، وهو إنّما ما يطلب جنسا يحيط به ، فإن أضفتَه إلى جملة معرّفة نحو كلّ إخوتك ذاهب ، قَبح إلا فى الابتداء ، إلا أنّه إذا كان مبتدأ وكان خبره مفردا، تنبيهاً على أنّ أصلَه الإضافة للنكرة لشيوعها .

فإن لم يكن مبتدأ وأضفته إلى جملة معرّفة ، نحو : ضربت كلّ إخوتك ، وضربت كلّ القوم ، لم يكن فى الحسن بمنزلة ما قبله ، لأنك لم تضفه إلى جنس ، ولا معك فى الكلام خبر مفرد يدلّ على معنى إضافته إلى جنس معرّف بالألف واللام حَسُن ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾[1] ، لأنّ الألف واللام للجنس، ولو كانت للعهد لم يحسُن ، لمنافاتها معنى الإحاطة .

ويجوز أن يؤتى بالكلام على أصله ، فتؤكّد الكلام به « كل » فتقول : خُذ من الثمرات كلها .

فإن قيل : فإذا استوى الأمران فى قوله : كلْ من كلّ الثمْرات ، وكُلْ من الثمرات كلّها ، فما الحكمة فى اختصاص أحد الجائزيْن فى نظم القرآن دون الآخر ؟

قال السهيلىّ فى « النتائج »[2] : له حكمة ، وهو أن « مِنْ » فى الآية لبيان الجنس لا للتبعيض ، والمجرور فى موضع المفعول لا فى موضع الظرف ، وإنما يريد الثمرات أنفسها؛ لأنه أخرج منها شيئاً، وأدخل « من » لبيان الجنس كلّه. ولو قال: « أخرجنا به من الثمرات كلّها » لقيل : أىّ شىء أخرج منها ؟ وذهب التوهّم إلى أن المجرور فى موضع ظرف وأن مفعول ﴿ أَخْرَجْنَا ﴾ فيما بعد ، وهذا يُتَوَهّم مع تقدمّ « كلّ » لعلم المخاطبين أن « كلا »

---

(١) سورة الأعراف ٥٧

(٢) هو كتاب « نتائج الفكر » ، فى علل النحو للسهيلى ، رتبه على كتاب الجمل ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

إذا تقدمت اقتضت الإحاطةَ بالجنس ، وإذا تأخرت اقتضت الإحاطة بالمؤكّد بتمامه ؛ جنسا شائعا كان أو معهودا .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾[1] ، ولم يقل «من الثمرات كلها» ففيه الحكمة السابقة ، وتزيد فائدة ، وهى أنه قد تقدمها فى النّظم: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ . . . ﴾[2] الآية .

فلو قال بعدها : « ثم كلى من الثمرات كلها » لأوْهَم أنها للعهد المذكور قبله، فكان الابتداء بـ « كلّ » أحضر للمعنى ، وأجمع للجنس ، وأرفع للبس .

وأما المقطوع عن الإضافة ، فقال السُّهيلىّ : حقها أن تكون مبتدأة مخبَرا عنها ، أو مبتدأة منصوبة بفعل بعدها لا قبلها ، أو مجرورة يتعلق خافضها بما بعدها ، كقولك : كُلًّا ضربت وبكلٍّ مررت . فلا بد من مذكورين قبلها ، لأنه إن لم يذكر قبلها جملة ، ولا أضيفت إلى جملة ، بطل معنى الإحاطة فيها ، ولم يعقل لها معنى .

***

واعلم أن لفظ « كل » لأفراد التذكير ، ومعناه بحسب ما يضاف إليه ، والأحوال ثلاثة :

فالأول أن يضاف إلى نكرة فيجب مراعاة معناها ، فلذلك جاء الضمير مفردا مذكرا فى قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾[3] ، ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ ﴾[4] ، ومفردا مؤنثا فى قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[5] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[6] ،

---

(١) سورة النحل ٦٩
(٢) سورة النحل ٦٧
(٣) سورة القمر ٥٢
(٤) سورة الإسراء ١٣
(٥) سورة المدثر ٣٨
(٦) سورة آل عمران ١٨٥

ومجموعا مذكرا فى قوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(١) ، فى معنى الجمع ؛ لأنه اسم جمع .

وما ذكرناه من وجوب مراعاة للمعنى مع النكرة دون لفظ « كل » قد أوردوا عليه نحو قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ ﴾(٣) وقوله : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى ﴾(٤) .

وأجيب بأن الجمع فى الأولى باعتبار « الأمة » .

كذلك فى الثانية فإن الضّامر اسم جمع ؛ كالجامل والباقر .

وكذلك فى الثالثة ؛ إنّما عاد الضمير إلى الجمع المستفاد من الكلام ، فلا يلزم عودُه إلى « كلّ » .

وزعم الشيخ أثير الدين فى تفسيره : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ ﴾(٥) ، ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ، أنه ممّا روعى فيه المعنى بهذا اللفظ .

وليس كذلك ؛ فإن الضمير لم يَعُد إلى « كل » بل على « الأفّاكين » الدالة عليه ﴿ كُلُّ أفّاكٍ ﴾ .

وأيضاً فهاتان جملتان والكلام فى الجملة الواحدة .

***

الثانى : أن تضاف إلى معرفة ، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها ، سواء كانت الإضافة لفظا ، نحو : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(٦) ، فراعَى لفظ « كلّ » . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « كلّكم راع ، وكلّكم مسئول عن رعيته » ولم يقل : راعون ولا مسئولون .

---

(١) سورة المؤمنون ٥٣
(٢) سورة غافر ٥
(٣) سورة الحج ٢٧
(٤) سورة الصافات ٧ ، ٨
(٥) سورة الجاثية ٧ ، ٨
(٦) سورة مريم ٩٥

أو معنى ؛ نحو : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾[١] ، فراعى لفظها ، وقال : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[٢] ، فراعى المعنى .

وقد اجتمع مراعاة اللفظ والمعنى فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[٣] هذا إذا جعلنا « مَنْ » موصولة ، فإن جعلناها نكرة موصوفة ، خرجت من هذا القسم إلى الأول .

* * *

الثالث : أن تقطع عن الإضافة لفظا ، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها .

فمن الأول : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾[٤] ، ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[٥] ، ﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾[٦] ، ولم يقل : « كذبوا » ، ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾[٧] .

ومن الثانى : ﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[٨] ، ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٩] ، ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾[١٠] ، ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[١١] .

قال أبو الفتح : وعلّته أنّ أَحَدَ الجمعين عندهم كان عن صاحبه ؛ فإن لفظ « كلّ » للأفراد ومعناها الجمع ، وهذا يدل على أنهم قدّروا المضاف إليه المحذوف فى الموضعين جمعا ، فتارة رُوعى كما إذا صرح به ، وتارة رُوعى لفظ « كل » ، وتكون حالة الحذف مخالفة لحال الإثبات .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٠
(٢) سورة النمل ٨٧
(٣) سورة مريم ٩٣ — ٩٥
(٤) سورة البقرة ٢٨٥
(٥) سورة الإسراء ٨٤
(٦) سورة ص ١٤
(٧) سورة العنكبوت ٤٠
(٨) سورة الأنفال ٥٤
(٩) سورة الأنبياء ٣٣
(١٠) سورة الروم ٢٦
(١١) سورة النمل ٨٧

قيل : ولو قال قائل : حيث أفرد يقدّر الحذف مفردا ، وحيث جُمِع يقدر جمعا ، فيقدّر فى قوله : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾[1] «كل واحد» ، ويقدر فى قوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[2] «كل نوع مما سبق» لكان موافقا إذا أضيف لفظا إلى نكرة.

وما ذكروه يقتضى أن تقديره : وكلهم أتوه ، وكلا التقديرين سائغ ، والمراد الجمع .

ويتعين فى قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3]، أنّ كلا من الشمس والقمر والليل والنهار لا يصحّ وصفه بالجمع. وقد قدر الزمخشرى: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[4]: كلّ أحدٍ ، وهو يساعد ما ذكرناه .

وما ذكرناه فى هذه الحالة هو المشهور .

وقال السهيلىّ فى « نتاج الفكر » : إذا قطعت « كل » عن الإضافة فيجب أن يكون خبرها جمعا ؛ لأنها اسم فى معنى الجمع، تقول : كلّ ذاهبون ؛ إذا تقدم ذكر قوم. وأجاب عن إفراد الخبر فى الآيات السابقة؛ بأن فيها قرينة تقتضى تحسين المعنى بهذا اللفظ دون غيره.

أما قوله : ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ، فلأنّ قبلها ذكر فريقين مختلفين ، مؤمنين وظالمين، فلو جمعهم فى الأخبار وقال: كلّ يعملون، لبطل معنى الاختلاف، وكان لفظ الإفراد أدلّ على المراد ، والمعنى : كلّ فريق يعمل على شاكلته .

وأما قوله : ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾، فلأنه ذكر قرونا وأمما، وختم ذكرهم بقوم تُبّع ، فلو قال : كلّ كذبوا ، لعاد إلى أقرب مذكور ، فكان يُتوهم أن الإخبار عن قوم تبع خاصة، فلما قال: ﴿إن كل إلا كَذَّبَ﴾ ، علم أنه يريد كلّ فريق منهم كذب، لأن إفراد الخبر عن « كل » حيث وقع إنما يدل على هذا المعنى .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٠
(٢) سورة النمل ٨٧
(٣) سورة الأنبياء ٣٣
(٤) سورة الإسراء ٨٤

مسألة

وتتصل « ما » بـ « كلّ » نحو : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴾(١) ، وهى مصدرية ، لكنّها نائبة بصلتها عن ظرف زمان ، كما ينوبُ عنه المصدر الصريح ، والمعنى : كل وقت .

وهذه نسمّى « ما » المصدرية الظرفية ، أى النائبة عن الظرف ، لا أنها ظرف فى نفسها ، فـ « كلّ » من « كلما » منصوب على الظرفية لإضافته إلى شىء هو قائم مقام الظرف .

ثم ذكر الفقهاء والأصوليون أن « كلما » للتكرار . قال الشيخ أبو حيان: وإنما ذلك من عموم « ما » ، لأنّ الظرفية مراد بها العموم، فإذا قلت: أصحبك ما ذرّ لله شارق، فإنما تريد العموم ، فـ «كلّ» أكدت العموم الذى أفادته « ما » الظرفية؛ لا أن لفظ « كلما » وضع للتكرار كما يدلّ عليه كلامهم ، وإنما جاءت « كل » توكيدا للعموم المستفاد من « ما » الظرفية . انتهى .

وقوله : إن التكرار من عموم « ما » ممنوع ؛ فإن « ما » المصدرية لا عموم لها ، ولا يلزم من نيابتها عن الظرف دلالتُها على العموم؛ وإن استفيد عموم فى مثل هذا الكلام فليس من « ما » إنما هو من التركيب نفسه .

وذكر بعض الأصوليين أنها إذا وصلت بـ « ما » صارت أداة لتكرار الأفعال وعمومها قصدىّ ، وفى الأسماء ضِمْنى . قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾(٢) ، وإذا جُرّدت من لفظ « ما » ، انعكس الحكم وصارت عامة فى الأسماء قصدا ، وفى الأفعال ضمنا .

---

(١) سورة البقرة ٢٥

(٢) سورة النساء ٥٦

ويظهر الفرق بينهما في قوله: كل امرأة أتزوّجها فهي طالق؛ تطلق كلّ امرأة يتزوجها، وتكون عامة في جميع النساء لدخولها على الاسم وهو قصدي. ولو تزوج امرأة ثم تزوّجها مرة أخرى لم تطلق في الثانية لعدم عمومها قصدا في الأسماء. ولو قال: كلما تزوجت امرأة فهي طالق؛ فتزوج امرأة مرارا طلقت في كل مرة لاقتضائها عموم الأفعال قصدا، وهو التزوج.

مسألة

ويأتي «كلّ» صفة، ذكره سيبويه في باب النّعت قال: ومن الصفة ... رجل كلّ الرجل؛ ومررت بالرجل كلّ الرجل.

قال الصفّار: هذا يكون عند قصد التأكيد والمبالغة، فإن قولك: «الرجل» معناه الكامل، ومعنى «كلّ الرجل» أي هو الرجل، لعظمته قد قام مقام الجنس، كما تقول: أكلت شاة كل شاة وإليه أشار بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل الصّيد في جوف الفرا» أي أن مَنْ صاده فقد صاد جميع الصّيد لقيامه مقامه لعظمته، قال: وهذا إنما يجوز إذا سبقها ما فيه رائحة الصفة كما ذكرنا، فلو كان جامدا لم يجز، نحو: مررت بعبد الله، كل الرجل. لا يفهم من «عبد الله» شيء.

كِلا وكِلْتا

هما توكيد الاثنين ؛ وفيهما معنى الإحاطة ؛ ولهذا قال الراغب : هى فى التثنية كَكُلّ فى الجمع، ومفرد اللفظ مثنى المعنى ؛ عبّر عنه مرة بلفظه، ومرّة بلفظ الاثنين، إعتبارا بمعناه؛ قال تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾[1] .

قلت : لاخلاف أن معناها التثنية. واختلف فى لفظها ، فقال البصريون : مفرد، وقال الكوفيون : تثنية .

والصحيح الأول ؛ بدليل عَوْد الضمير إليها مفردا فى قوله : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾[2] ؛ فالإخبار عن « كلتا » بالمفرد دليل على أنها مفرد ؛ إذ لو كان مثنى لقال : « آتتا »، ودليل إضافتها إلى المثنى فى قوله: ﴿ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾[1]، ولو كان مثنى لم يجز إضافته إلى التثنية ؛ لأنه لا يجوز إضافة الشىء إلى نفسه . والفصيح مراعاة اللفظ ؛ لأنه الذى ورد به القرآن ؛ فيقال : كلا الرجلين خرج ، وكلتا المرأتين حضرت .

وقد نازع بعض المتأخرين وقال : ليس معناه التثنية على الإطلاق كما ذكره النحاة ، ولو كان كذلك لكثرت مراعاة المعنى ؛ كما كثرت مراعاته فى « من » و « ما » الموصولتين ؛ لكنّ أكثر ماجاء فى لسان العرب عود الضمير مفردا ؛ ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾[2] ، وما جاء فيه مراعاة المعنى فى غاية القلة .

قال : فالصواب أن معناها مفرد صالح لكلّ من الأمرين المضاف إليهما. وأما مراعاة التثنية فيه فعلى سبيل التوسّع ؛ ووجه التوسّع أن كل فرد فى جانب الثبوت معه غيره ؛

---

(١) سورة الإسراء ٢٣ (٢) سورة الكهف ٣٣

فجاءت التثنية بهذا الاعتبار ؛ فالإفراد فيه مراعاة المعنى واللفظ ، والتثنية مراعاة المعنى من بعض الوجوه .

فائدة

وقع فى شعر أبى تمام « كِلَا الآفاق » ، وخطّأه المعرّى ؛ لأن « كلا » يستعمل فى الاثنين لا الجمع .

قال : ولم يأت فى المسموع : كلا القوم ، ولا كلا الأصحاب ؛ وإنما يقال: كلا الرجلين ونحوه ؛ فإن أخذ من الكلأ ؛ من قولك : كلأت الشىء إذا رعيتَه وحفظته ، فالمعنى يصحّ ؛ إلّا أن المتكلم يقصر ؛ وهى ممدودة .

كم

نكرة لا تتعرّف ؛ لأنها مُبْهمة فى العدد ، كـ « أين » فى الأمكنة ، و « متى » فى الأزمنة ، و « كيف » فى الأحوال .

وقول سيبويه : كم أرضك جَريبا ؟ : « كم » مبتدأ ، و « أرضك » مبنيّ عليه ؛ مجاز ليس بحقيقة ؛ وإنما « أرضك » مبتدأ ، و « كم » الخبر ، مثل كيف زيد ؟ .

وهى قسمان :

استفهامية تحتاج إلى جواب ؛ بمعنى : أىّ عدد ؟ ، فينصب ما بعدها ، نحو : كم رجلا ضربت ؟

وخبرية لا تحتاج إلى جواب ؛ بمعنى : عدد كثير ، فيجرّ ما بعدها ؛ نحو : كم عبدٍ ملكت .

وقد تدخل عليها « مِنْ » ، كقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾[1] ، ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾[2] .

وليست الاستفهامية أصلا للخبرية ؛ خلافا للزمخشرى حيث ادّعى ذلك فى سورة « يس » عند الكلام على : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾[3] .

ولم تستعمل الخبرية غالبا إلّا فى مقام الافتخار والمباهاة ؛ لأن معناها التكثير ؛

(١) سورة الأعراف ٤ (٢) سورة الأنبياء ١١

(٣) سورة يس ٣١ ، وانظر الكشاف ٤ : ١٠

ولهذا ميزت بما يميز العدد الكثير ؛ وهو مائة وألف ؛ فكما أن « مائة » تميز بواحد مجرور ؛ فكذلك « كم » .

واعلم أن « كم » مفردة اللفظ، ومعناها الجمع ؛ فيجوز في ضميرها الأمران بالاعتبارين، قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾[1] ثم قال : ﴿ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ ﴾ ، فأتى به جمعا . وقال : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾[2] ، ثم قال : ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة النجم ٢٦ (٢) سورة الأعراف ٤

كيف

استفهام عن حال الشيء لا عن ذاته ؛ كما أن « ما » سؤال عن حقيقته ، و « مَنْ » عن مشخصاته ؛ ولهذا لا يجوز أن يقال في «الله» « كيف » .

وهي مع ذلك منزّلة منزلة الظرف ؛ فإذا قلت : كيف زيد ؟ كان « زيد » مبتدأ ، و « كيف » في محلّ الخبر ، والتقدير : على أيّ حال زيد ؟

هذا أصلها في الوضع ؛ لكن قد تعرِض لها معانٍ تفهم من سياق الكلام ، أو من قرينة الحال ؛ مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرها .

وقال بعضهم : لها ثلاثة أوجه :

أحدها : سؤال محض عن حال ؛ نحو كيف زيد ؟

وثانيها : حال لا سؤال معه ، كقولك : لأكرمنّك كيف أنت ، أي على أي حال كنت .

ثالثها : معنى التعجّب .

وعلى هذين تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[1] . قال الراغب في تفسيره : كيف هنا استخبار لا استفهام ؛ والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيها للمخاطب وتوبيخا ؛ ولا يقتضي عدم المستخبَر ، والاستفهام بخلاف ذلك .

وقال في « المفردات » : كلّ[2] ما أخبر الله بلفظ « كيف » عن نفسه فهو إخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخ ؛ نحو : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ .

---

(١) سورة البقرة ٢٨

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ٤٦٠

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا ﴾[١] .

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾[٢] .

﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾[٣] .

﴿ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[٤] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[٥] .

وقال غيره : قد تأتى للنفى والإنكار ، كقوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾[٦] . ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[٧] .

ولتضمّنها معنى الجحد شاع أن يقع بعدها « إلا » ، كقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ﴾[٨] .

وللتوبيخ ، كقوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾[٩] ، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[١٠]

وللتحذير ، كقوله : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾[١١] .

وللتنبيه والاعتبار ؛ كقوله : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[١٢] .

وللتأكيد وتحقيق ماقبلها ؛ كقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾[١٣] ،

---

(١) سورة آل عمران ٨٦

(٢) سورة التوبة ٧

(٣) سورة الإسراء ٤٨ ، الفرقان ٩

(٤) سورة العنكبوت ٢٠

(٥) سورة العنكبوت ١٩

(٦) سورة التوبة ٧

(٧) سورة آل عمران ٨٦

(٨) سورة التوبة ٧ ، وأول الآية : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ﴾ .

(٩) سورة آل عمران ١٠١

(١٠) سورة البقرة ٢٨

(١١) سورة النمل ٥١

(١٢) سورة الإسراء ٢١

(١٣) سورة البقرة ٢٥٩

وقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾(١) ، فإنه توكيد لما تقدّم وتحقيق لما بعده ؛ على تأويل : إن الله لا يظلم الناس شيئاً فى الدنيا فكيف فى الآخرة !

وللتعظيم والتهويل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾(١)، أى فكيفَ حالهم إذا جئنا ! وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو : « كيف بكَ إذا بقيتَ فى حُثالةٍ من الناس » !

وقيل : وتجىء مصدرا ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾(٢)، ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٣) .

وتأتى ظرفا فى قول سيبويه ؛ وهى عنده فى قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ منصوبة على التشبيه بالظرف ، أى فى حالٍ تكفرون . وعلى الحال عِنْد الأخفش ، أى على حال تكفرون .

وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾(١)؛ فإن شئت قدرت بعدها اسما ، وجعلتها خبراً ، أى كيف صنعكم أو حالكم؟ وإن شئت قدرت بعدها فعلا ، تقديره : كيف تصنعون ؟

وأثبت بعضهم لها الشرط ؛ كقوله تعالى : ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(٤)، ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(٥) ، ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(٦) .

وجوابه فى ذلك محذوف ؛ لدلالة ماقبلها .

---

(١) سورة النساء ٤١
(٢) سورة الفرقان ٤٥
(٣) سورة الروم ٥٠
(٤) سورة المائدة ٦٤
(٥) سورة آل عمران ٦
(٦) سورة الروم ٤٨

ومراد هذا القائل ، الشرط المعنوىّ ؛ وهو إنّما يفيد الربط فقط ؛ أى ربط جملة بأخرى كأداة الشرط ، لا اللفظىّ ، وإلا لجزم الفعل .

وعن الكوفيين أنها تجزم ، نحو : كيف تكُنْ أكن .

وقد يحذف الفعل بعدها ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾[1] ، أى كيف تُوَالُونَهُمْ !

---

(١) سورة التوبة ٨

اللام

قسمان : إمّا أن تكون عاملة ، أو غير عاملة .

القسم الأول

غير العاملة

وتجيء لعشرة معان : معرّفة ، ودالة على البعد ، ومخففة ، وموجبة ، ومؤكدة ، ومتممة ، وموجّهة ، ومسبوقة ، والمؤذنة ، والموطئة .

* * *

فالمعرّفة : التى معها ألف الوصل ، عند من يجعل المعرّفة اللام وحدها ، وينسب لسيبويه . وذهب الخليل إلى أنه ثنائىّ ، وهمزته همزة قطع ، وُصِلت لكثرة الاستعمال .

وتنقسم المعرّفة إلى عهدية واستغراقية ، وقد سبقا فى قاعدة التنكير والتعريف .
وزاد قوم طلب الصّلة ، وجعل منه : ﴿ رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾(١) ، ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾(٢) .

وللإضمار ، ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(٣) ، ولا خلاف أن الإضمار بعدها مراد ؛ وإنما اختلفوا فى تقديره ؛ فعند الكوفيين : «هى مأواه » ، وعند البصريين : هى المأوى له .

واللام فى التعريف مرققة إلا فى اسم الله فيجب تفخيمها ؛ إذا كان قبلها ضمة أو فتحة ، وهى فى الأسماء تفخيم الجرْس ، وفى المعنى توقير المسمّى وتعظيمه ، سبحانه !

* * *

---

(١) سورة الكهف ٨١
(٢) سورة يوسف ١٧
(٣) سورة النازعات ٣٩

والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة ؛ إعلاما بالبعد أو توكيداً له ، على الخلاف فيه .

* * *

والمخففة التي يجوز معها تخفيف « إنّ » المشدّدة ؛ نحو : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[1] .

وتسمّى لام الابتداء ، والفارقة ؛ لأنها تفرق بينها وبين إن النافية .

والمخففة هي التي تحقق الخبر مع المبتدأ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾[2] ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[3] .

* * *

والموجبة : بمعنى « إلّا » عند الكوفيين ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[4] ، ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[5] ، أي ، ما كلّ ، فجعلوا : « إن » بمعنى « ما » واللام بمعنى « إلّا » في الإيجاب .

وقرأ الكسائي : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[6] ، بالرفع والمراد : « وما كان مكرهم إلا لتزول منه » .

* * *

والمؤكدة ؛ وهي الزائدة أول الكلام ؛ وتقع في موضعين :

أحدها : المبتدأ ؛ وتسمّى لام الابتداء ؛ فيؤذن بأنه المحكوم ؛ قال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ

---

(١) سورة الطارق ٤
(٢) سورة الشورى ٤٣
(٣) سورة التوبة ١٢٨
(٤) سورة يس ٣٢
(٥) سورة الزخرف ٣٥
(٦) سورة إبراهيم ٤٦

أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾(١) ، ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ﴾،(٢) ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾(٣).

ثانيهما : فى باب « إن » ، على اسمها إذا تأخر ؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ﴾(٤) .

وعلى خبرها ، نحو : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾(٥) ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ ﴾(٦) ، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾(٧) .

فـ « إنّ » فى هذا توكيد لما يليها ؛ واللام لتوكيدالخبر.

وكذا فى « أنّ » المفتوحة ، كقراءة سعيد ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ﴾(٨) ، بفتح الهمزة ؛ فإنه ألغى اللام؛ لأنها لاتدخل إلّاعلى « إنّ » المكسورة،أوعلى ما يتصل بالخبر إذا تقدّم عليه ؛ نحو : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٩) ، فإن تقديره : « ليعمهون فى سكرتهم » .

واختلف فى اللام فى قوله : ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ ﴾(١٠) ؛ فقيل هى مؤخّرة ، والمعنى : يدعو لَمَنْ ضرّه أقرب من نفعه .

وجاز تقديمها وإيلاؤها المفعول ؛ لأنها لام التوكيد واليمين ؛ فحقها أن تقع صدر الكلام .

واعترض بأن اللام فى صلة « من » فتقدّمها على الموصول ممتنع . وأجاب الزمخشرى بأنها حرف لا يفيد غير التوكيد ؛ وليست بعاملة ، كـ « من » المؤكدة ، فى نحو : ما جاءنى من أحد ، دخولها وخروجها سواء؛ ولهذا جاز تقديمها .

ويجوز ألّا تكون هنا موصولة ؛ بل نكرة ؛ ولهذا قال الكسائىّ : اللام فى غير

---

(١) سورة التوبة ١٠٨
(٢) سورة يوسف ٨
(٣) سورة الحشر ١٣
(٤) سورة النازعات ٢٦
(٥) سورة الفجر ١٤
(٦) سورة هود ٧٥
(٧) سورة البروج ١٢
(٨) سورة الفرقان ٢٠
(٩) سورة الحجر ٧٢
(١٠) سورة الحج ١٣

موضعها ؛ و « مَنْ » فى موضع نصب بـ « يدعو » ، والتقدير : « يدعو من ضرّه أقرب من نفعه » ، أى يدعو إلهًا ضرّه أقرب من نفعه .

قال المبرّد : يدعو فى موضع الحال ، والمعنىّ فى ذلك هو الضلال البعيد فى حال دعائه إياه ، وقوله : ﴿ لَمَنْ ﴾ مستأنف مرفوع بالابتداء ، وقوله : ﴿ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾(١) فى صلته ، و ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَى ﴾(١) خبره .

وهذا يستقيم لو كان فى موضع ﴿ يَدْعو ﴾ ، « يُدعى » ، لكن مجيئه بصيغة فعل الفاعل ، وليس فيه ضميره يُبعده .

***

والمتممة ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَنْ لَا بْتَغَوْا إِلَى ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾(٢) ، ﴿ إِذَنْ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾(٣) ؛ فاللام هنا لتتميم الكلام .

قال الزمخشرى : « إذنْ » دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء .

***

والموجّهة ، فى جواب « لولا » كقوله تعالى . ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾(٤) ؛ فاللام فى ﴿ لقد ﴾ تُوَجِّه للتثبيت .

***

والمسبوقة فى جواب « لو »؛ كقوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾(٥) ؛أى تفيد تأخره لأشدّ العقوبة ؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾(٦)

---

(١) سورة الحج ١٣
(٢) سورة الإسراء ٤٢
(٣) سورة الإسراء ٧٥
(٤) سورة الإسراء ٧٤
(٥) سورة الواقعة ٦٥
(٦) سورة يونس ٢٤

وهذا بخلاف قوله : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ بغير لام ؛ فإنّه يفيد التعجيل،أى جعلناه أجاجا لوقته .

***

والمؤذنة : الداخلة على أداة الشرط بعد تقدم القَسَم لفظا أو تقديرا، لتؤذن أن الجواب له ، لا للشرط ، أو للإيذان بأن ما بعدها مبنيّ على قَسَم قبلها .

وتسمّى الموطئة ؛ لأنها وطّأت الجواب للقسم ، أى مهدّته .

وقول المعربين : إنّها موطئة للقسم فيه تجوّز ؛ وإنما هى موطّئة لجوابه ، كقوله : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ﴾(١) ، وليست جوابا للقسم ؛ وإنّما الجواب ما يأتى بعد الشرط . ويجمع هذه الأربعة المتأخرة ؛ قولك : لام الجواب .

وقد اجتمعا فى قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا ﴾(٢) ، فاللام فى « لئن » مؤذنة ، وقوله : ﴿ نَسْفَعًا ﴾ جواب القسم المقدر ؛ تقديره : والله لنَسْفعنْ .

ومن جواب القسم قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ ﴾(٣) . وزعم الشيخ أثير الدين فى تفسيره أنها لام التوكيد ؛ وليس كما قال ؛ وقد قال الواحدىّ فى «البسيط» : إنها لام القسم ، ولا يجوز أن تكون لام ابتداء ؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلّا الأسماء، وما يكون بمنزلتها كالمضارع .

---

(١) سورة الحشر ١٢ (٢) سورة العلق ١٥

(٣) سورة القصص ٤٣ .

القسم الثانى

العاملة

وهى على ثلاثة أقسام : جارّة ، وناصبة ، وجازمة .

***

الأولى : الجارّة ، وتأتى لمعان :

للملك الحقيقىّ ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾(١) ، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) ، ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣) .

والتمليك ، نحو وهبت لزيد دينارا ؛ ومنه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ﴾(٤) .

والاختصاص ، ومعناها أنها تدلّ على أن بين الأول والثانى نسبة باعتبار ما دلّ عليه متعلّقه ؛ نحو : هذا صديق لزيد ، وأخ له ؛ ومنه : الجنّة للمؤمنين .

وللتخصيص ، ومنه : ﴿ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾(٥) .

وللاستحقاق ، كقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾(٦) ، ﴿ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴾(٧) .

والفرق بينه وبين الملك ؛ أن الملك لِمَا حصَل وثبت ، وهذا لما لم يحصُلْ بَعْد ؛ لـكن هو فى حكم الحاصل ، من حيث ما قد استحقّ . قاله الراغب .

---

(١) سورة الأعراف ١٢٨
(٢) سورة البقرة ١٠٧
(٣) سورة الفتح ٤
(٤) سورة مريم ٥٠
(٥) سورة الأحزاب ٥٠
(٦) سورة المطففين ١
(٧) سورة الرعد ٢٥

وللولاية ، كقوله : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾(١) .

ويجوز أن تجمع هذه الثلاثة ، كقولك : الحمد لله ؛ لأنه يستحق الحمد ، ووليه ، والمخصوص به ؛ فكأنه يقول : الحمد لى وإلىّ .

وللتعليل ؛ وهى التى يصلح موضعها « من أجل » ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٢) ؛ أى من أجل حبّ الخير .

وقوله : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾(٣) ؛ وهى متعلقة بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾(٣)، أو بقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(٤) ؛ ولهذا كانتا فى مصحف أبىّ سورة واحدة .

وضُعّف بأن جعلهم كعصف مأكول ؛ إنما هو لكفرهم وتجرّئهم على البيت .

وقيل : متعلّق بمحذوف ، أى « اعجبوا » .

وقوله : ﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾(٥) ، أى لأجل بلدٍ ميت ؛ بدليل : ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾(٥) .

هذا قول الزمخشرى ؛ وهو أولى من قول غيره إنها بمعنى « إلى » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾(٦) ؛ أى لا تخاصم الناس لأجل الخائنين .

قال الراغب : ومعناه كمعنى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾(٧) ، وليست كالتى فى قولك : لا تكن لله خصيما ، لدخولها على المفعول ؛ أى لا تكن خصيم الله .

وبمعنى « إلى » كقوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٨) بدليل قوله : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٩) .

---

(١) سورة الروم ٤
(٢) سورة العاديات ٨
(٣) سورة قريش ١ ، ٣
(٤) سورة الفيل ١
(٥) سورة الأعراف ٥٧
(٦) سورة النساء ١٠٥
(٧) سورة النساء ١٠٧
(٨) سورة الرعد ٢
(٩) سورة إبراهيم ١٠

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾(١) .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾(٢) .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾(٤) ، بدليل : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾(٥). وزيفه الراغب لأنّ الوحىَ للنحل ، جعل ذلك له للتّسخير والإلهام، وليس كالوحى الموحَى إلى الأنبياء ؛ فاللام على جَعل ذلك الشىء له بالتّسخير .

وبمعنى « على » ، نحو : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾(٦) .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾(٨) ؛ أى فعليها ؛ لأن السيئة على الإنسان لا له ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾(٩) .

وقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾(١٠) ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(١١) ، أى مَنْ لم يكن .

وقوله : ﴿ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴾(١٢) .

وبمعنى «فى» كقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾(١٣)، ﴿ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾(١٤) .

---

(١) سورة الأنعام ٢٨
(٢) سورة الأعراف ٤٣
(٣) سورة آل عمران ١٩٣
(٤) سورة الزلزلة ٥
(٥) سورة النحل ٦٨
(٦) سورة الإسراء ١٠٩
(٧) سورة الصافات ١٠٣
(٨) سورة الإسراء ٧
(٩) سورة هود ٣٥
(١٠) سورة فصلت ٤٦
(١١) سورة البقرة ١٩٦
(١٢) سورة الرعد ٢٥
(١٣) سورة الأنبياء ٤٧
(١٤) سورة الفجر ٢٤

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾(١) .

وبمعنى « بعد »، نحو: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾(٢). وقال ابن أبان: الظاهر أنها للتعليل .

وبمعنى « عن » مع القول ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا ﴾(٣) أى عن الذين آمنوا، وليس المعنى خطابهم بذلك، وإلا لقيل: «سبقتمونا» . وقيل لام التعليل ، وقيل للتبليغ ، والتفت عن الخطاب إلى الغيبة .

وكقوله : ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ ﴾(٤) ، وأما قوله : ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ ﴾(٥) ؛ فاللام للتبليغ ؛ كذلك قسمها ابن مالك ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ﴾(٦) .

وغيره يُسَمِّيها لام التبليغ ، فإن عرف من غاب عن القول حقيقة أو حكما ، فللتعليل نحو : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا ﴾(٧) ، ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾(٨) .

وذكر ابنُ مالك وغيره ضابطا فى اللام المتعلقة بالقول؛ وهو إن دخلت على مخاطبة القائل؛ فهى لتعدية القَوْل للمقول له ، نحو : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً ﴾(٩) .

﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا ﴾(١٠) .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴾(١٠) .

---

(١) سورة الأعراف ١٨٧
(٢) سورة الإسراء ٧٨
(٣) الأحقاف ١١
(٤) سورة الأعراف ٣٨
(٥) سورة الأعراف ٣٩
(٦) سورة الكهف ٧٥
(٧) سورة آل عمران ١٥٦
(٨) سورة هود ٣١
(٩) سورة النساء ٨
(١٠) سورة آل عمران ١٥٦ ، ١٦٨

وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾[2] .

وهو كثير .

وبمعنى « أن » المفتوحة الساكنة . قاله الهروىّ : وجُعل منه :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴾[3] .

﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[4] .

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[5] .

وهذه اللام لا تكون إلا بعد « أردت » ، و « أمرت » ، وذلك لأنهما يطلبان المستقبل ، ولا يصلحان فى الماضى ، فلهذا جعل معهما بمعنى «أن» ؛ وبذلك صرح صاحب « الكشاف » فى تفسير سورة الصفّ ، فقال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴾[6] ، [أصله : يريدون أن يطفئوا][7] ، كما جاء فى سورة براءة[8] .

وللتعدية؛ وهى التى تمدى العامل إذا عجز، نحو: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[9]، فاللام فيه للتعدية ؛ لأن الفعل يضعف بتقديم المفعول عليه .

وسمّاها ابنُ الأنبارىّ : آلةَ الفعل ، وذكر أنّ البصريِّين يُسمّونها لام الإضافة ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[10] ، ﴿ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾[11] .

وقال الراغب : التعدية ضربان : تارة لتقوية الفعل ، ولا يجوز حذفه ، نحو : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[12] ، وتارة يحذف ، نحو : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[4] ، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ

---

(١) سورة النحل ١١٦

(٢) سورة الكهف ٢٣ ، ٢٤

(٣) سورة الصف ٨

(٤) سورة النساء ٢٦

(٥) سورة الأنعام ٧١

(٦) سورة الصف ٨

(٧) تكملة من الكشاف .

(٨) الكشاف ٤ : ٤٢٠

(٩) سورة يوسف ٤٣

(١٠) سورة لقمان ١٤

(١١) سورة هود ٣٤

(١٢) سورة الصافات ١٠٣

أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ﴾(١)، فأثبت فى موضع وحذف فى موضع . انتهى .

وللتبيين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾(٢) ؛ أى أَقْبِلْ وتَعالَ أقول لك .

وذكر ابن الأنبارىّ أنّ اللام المكسورة تجىء جوابا للقَسَم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَافِي السَّمَٰوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ﴾(٣)، والمعنى « لَيجزِيَنَّ »، بفتح اللام والتوكيد بالنون ، فلما حذف النون أقام المكسورة مقام المفتوحة .

وهذا ضعيف ، وذكر مثله عن أبى حاتم .

ويحتمل أن يكون قبلها فعل مقدّر ؛ أى آمنوا ليجزى .

* * *

الثانى : الناصبة على قول الكوفيين فى موضعين : لام كَىْ ، ولام الجحود .

ولام الجحود هى الواقعة بعد الجحْد ؛ أى النفى ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) ، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾(٥) ؛ ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾(٦) .

وضابطها أنها لو سقطت تمّ الكلام بدونها ؛ وإنما ذكرت توكيدا لنفى الكون ؛ بخلاف لام كى .

قال الزّجّاج : اللام فى قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾(٧) ، لام كى ؛ لأن لام الجحود إذا سقطت لم يختلّ الكلام ؛ ولو سقطت اللام من الآية بطل

(١) سورة الأنعام ١٢٥
(٢) سورة يوسف ٢٣
(٣) سورة النجم ٣١
(٤) سورة آل عمران ١٧٩
(٥) سورة الأنفال ٣٣
(٦) سورة النساء ١٦٨
(٧) سورة الزمر ٣

المعنى . ولأنه يجوز إظهارُ « أن » بعد لام « كَيْ » ، ولا يجوز بعد لام الجحود؛ لأنها في كلامهم نفي للفعل المستقبل ؛ فالسين بإزائها ، فلم يظهر بعدها ما لا يكون بعدها ، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾[1] ، فجاء بلام الجحد حيث كانت نفيا لأمر متوقع مخوف في المستقبل ، ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] فجاء باسم الفاعل الذي لا يختص بزمان ؛ حيث أراد نفيَ العذاب بالمستغفرين على العموم في الأحوال .

ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَى ﴾[2] ، ثم قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَى ﴾[3] .

ومثال لام « كَيْ » و « كَيْ » مُضْمَرة معها ، قوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا ﴾[4] ، ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[5] ، ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾[6] ، ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ﴾[7] .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾[8] ، يريد : « كي تكونوا » .

وقوله : ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[9] .

وقد تجيء معها « كي » نحو : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾[10] ، ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾[11] ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾[12] .

---

(١) سورة الأنفال ٣٣
(٢) سورة هود ١١٧
(٣) سورة القصص ٥٩
(٤) سورة الكهف ٢
(٥) سورة الفرقان ٣٢
(٦) سورة يوسف ٢٤
(٧) سورة النحل ٣٩
(٨) سورة البقرة ١٤٣
(٩) سورة يونس ٩٢
(١٠) سورة النحل ٧٠
(١١) سورة الأحزاب ٧
(١٢) سورة آل عمران ١٥٣

وربّما جاءت «كى» بلا لام، كقوله: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ ﴾(١) وفى معناه لام الصَّيْرورة، كقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾(٢)، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣).

وتسمّى لام العاقبة؛ فإنّ من المعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك؛ بل لضدّه، بدليل قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾(٤).

وحكى ابن قتيبة عن بعضهم أنّ علامتها جواز تقدير الفاء موضعها؛ وهو يقتضى أنّها لام التعليل؛ لكن الفرق بينها وبين لام التعليل التى فى نحو قوله: ﴿ لِنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾(٥)، أن لام التعليل تدخل على ماهو غرض لفاعل الفعل، ويكون مرتباً على الفعل وليس فى لام الصيرورة إلا الترتب فقط.

وقال الزمخشرى فى تفسير سورة المدّثر: أفادت اللام نفسَ العِلّة والسبب، ولا يجب فى العلّة أن تكون غَرضا؛ ألا ترى إلى قولك: خرجتُ من البلد مخافة الشرّ، فقدجعلت المخافة عِلّة لخروجك، وما هى بغرضك.

ونقل ابن فُورَك عن الأشعرىّ: أن كلّ لام نسبها الله إلى نفسه؛ فهى للعاقبة والصَّيرورة دون التعليل؛ لاستحالة الغَرض.

واستشكله الشيخ عز الدين بقوله: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾(١)، وقوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾(٦)، فقد صرّح فيه بالتعليل. ولا مانع من ذلك؛ إذ هو على وجه التفضّل.

---

(١) سورة الحشر ٧
(٢) سورة القصص ٨
(٣) سورة الذاريات ٥٦
(٤) سورة القصص ٩
(٥) سورة الفرقان ٤٩
(٦) سورة الفتح ١

وأقول : ما جعلوه للعاقبة هو راجع للتعليل ؛ فإن التقاطهم أفضى إلى ... ...
يوجب صدقَ الإخبار بكوْن الالتقاط للعداوة ؛ لأنّ ما أفضى إلى الشيء يكون ... ،
وليس من شرطه أن يكون نصب العلّة صادراً عمّن نُسب الفعل إليه لفظاً ؛ بل ... ...
يكون ذلك راجعاً إلى من يُنسبُ الفعل إليه خَلْقاً ؛ كما تقول: جاء الغيث لإخراج الأزهار ،
وطلعت الشمس لإنضاج الثمار ، فإنّ الفعل يضاف إلى الشمس والغيث .

كذلك التقاط آل فرعون موسى ؛ فإنّ اللهَ قدّره لحكمته ، وجعله علّة لعداوته ؛
لإفضائه إليه بواسطة حفظه وصيانتـه ؛ كما فى مجيء الغيث بالنسبة إلى إخراج الأزهار .
وإليه يشير الزمخشريّ أيضا : التحقيق أنها لام العلة ، وأنّ التعليل بهـا ورد على طريق
المجاز دون الحقيقة ؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط كونه لهم عدوًّا وحزنًا ؛ بل المحبة
والتبنّى ؛ غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ؛ شبّه بالدّاعى الذى يفعل الفاعل الفعل
لأجله [وهو الإكرام الذى هو نتيجة المجيء][1] ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل[2] .

وقال ابن خالويه فى كتاب « المبتدأ » فى النحو : فأمّا قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ
آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ ﴾[3] ، فهى لام « كى » عند الكوفيين ، ولام الصيرورة عند
البصريين ، والتقدير : فصار عاقبـة أمرهم إلى ذلك ؛ لأنهم لم يلتقطوه لكىْ يكون
عدوا . انتهى .

وجوّز ابن الدّهان فى الآية وجهاً غريبـا : على التقديم والتأخير ، أى فالتقطه
آلُ فرعون ، و ﴿ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ حال من الهاء فى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ ﴾ ؛ أى
ليتملّكوه .

---

(١) من الكشاف .
(٢) الكشاف ٣ : ٢٠٩ .
(٣) سورة القصص ٨

قال : ويجوز أن يكون التقدير : فالتقطه آل فرعون ؛ لكراهة أن يكون لهم عدوًّا وحزنا .

وأما قوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ ، فحكى المرويّ عن أبي حاتم أن اللام جواب القسم، والمعنى : لَيغفرنّ الله لك ؛ فلما حذفت النون كسرت اللام ، وإعمالها إعمال « كى » ؛ وليس المعنى : فتحنا لك لكى يغفر الله لك ، فلم يكن الفتح سببا للمغفرة .

قال : وأنكره ثعلب ، وقال : هى لام « كى » ، ومعناه: لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة ، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع ، حَسُن معه « كى » .

وكذلك قوله : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾[2] ، فقال الفرّاء : لام كى .

وقال قُطْرب والأخفش : لم يؤتوا المال لِيضلّوا، ولكن لما كان عاقبة أمرهم الضلال كانوا كأنهم أوتوها ، لذلك فهى لام العاقبة .

هذا كلّه على مذهب الكوفيين ، وأمّا البصريون فالنصب عندهم بإضمار « أن » ، وهما جارّتان للمصدر ؛ واللام الجارّة هى لام الإضافة .

واعلم أن الناصبة للمضارع تجيء لأسباب :

منها القصد والإرادة ؛ إما فى الإثبات ، نحو : ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾[3] ، أو النفى نحو : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾[4] ، فهو على تقدير حذف المضاف ؛ أى لنعلم ملائكتنا وأولياءنا .

---

(١) سورة التوبة ١٢١
(٢) سورة يونس ٧٨
(٣) سورة الأنعام ٩٢
(٤) سورة البقرة ١٤٣

ويجوز أن يكون تعالى خاطب الخلْق بما يشاكل طريقهم في معرفة البواطن والظواهر على قدر فَهْم المخاطب .

وقد تقع موقع « أنْ »، وإن كانت غيرَ معلولة لها في المعنى، وذلك إن كان الكلام متضمنًا لمعنى القصد والإرادة نحو: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾(١)، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾

ومنها العاقبة على ماسبق .

***

الثالث : الجازمة ؛ وهي الموضوعة للطلب ، وتسمّى لام الأمر ، وتدخل على المضارع لتؤذن أنّه مطلوب للمتكلم ؛ وشرطها أن يكون الفعل لغير المخاطب ، فيقولون : لتضرب أنت، ومنه قراءة بعضهم : ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا ﴾(٣) .

ووصفُها أن تكون مكسورة إذا ابتدئ بها ، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾(٤) ﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ﴾(٥) .

وتسكن بعد الواو والفاء ، نحو : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ .

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .

ويجوز الوجهان بعد « ثم » ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(٨) ، قرئ في السبع بتسكين ﴿ ليقضوا ﴾ وبتحريكه .

وتجيء لمعان :

منها : التكليف ، كقوله تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام ٧١ (٢) سورة التوبة ٥٥

(٣) سورة يونس ٥٨ ، وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب .

(٤) سورة الطلاق ٧ (٥) سورة النور ٥٨

(٦) سورة الكهف ٢٩ (٧) سورة البقرة ١٨٦

(٨) سورة الحج ٢٩

ومنها أمر المكلّف نفسه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾(١) .

والابتهال ، وهو الدعاء ، نحو : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(٢) .

والتّهديد نحو : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٣) .

والخبر ، نحو : ﴿ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾(٤) ، أى يمدّ . ويحتمله : ﴿ وَلْنَحْمِلْ ﴾(١) ، أى ونحمل .

ويجوز حذفها ورفع الفعل ، ومنه قوله : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٥) ، ويدلّ على أنّه للطلب ، قوله تعالى بعد : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾(٥) مجزوما ؛ فلولا أنّه طلب لم يصحّ الجزم ، لأنه ليس ثمّ وجه سواه .

---

(١) سورة العنكبوت ١٢
(٢) سورة الزخرف ٧٧
(٣) سورة الكهف ٢٩
(٤) سورة مريم ٧٥
(٥) سورة الصف ١١

لا

على ستة أوجه :

أحدها : أن تكون للنفى ، وتدخل على الأسماء والأفعال .

فالداخلة على الأسماء تكون عاملة وغير عاملة .

فالعاملة قسمان :

تارة تعمل عمل «إنّ» ، وهى النافية للجنس ، وهى تنفى ما أوجبته «إنّ» ، فلذلك تشبّه بها فى الأعمال ، نحو : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾(1) ، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾(2) ، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾(3) .

ويكثر حذف خبرها إذا عُلم ، نحو : ﴿لَا ضَيْرَ﴾(4) ، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾(5) . وتارة تعمل عمل « ليس » .

وزعم الزمخشرى فى « المفصّل » أنها غير عاملة .

وكذا قال الحريرىّ فى « الدُّرّة » : إنها لا تأتى إلا لنفى الوحدة .

قال ابن برّى : وليس بصحيح ؛ بل يجوز أن يريد منه العموم ، كما فى النصب ، وعليه قال : « لا ناقة لى فى هذا ولا جمل » ، يعنى فإنه نفى الجنس لمّا عطف .

وكذلك قولك : « لا رجل فى الدار ولا امرأة » ، تفيد نفى الجنس ؛ لأن العطف أفهم للعموم .

---

(1) سورة يوسف ٩٢
(2) سورة الأحزاب ١٣
(3) سورة النحل ٦٢
(4) سورة الشعراء ٥٠
(5) سورة سبأ ٥١

وممن نصّ على ذلك أبو البقاء فى « المحصّل »(١) . ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾(٢) ، قرئ بالرفع والنصب فيهما ، والمعنى فيهما واحد .

وقال ابن الحاجب : ما قاله الزمخشرى لا يستقيم ، ولا خلاف عند أصحاب الفهم أنه يُستفاد العموم منه ، كما فى المبنية على الفتح ، وإن كانت المبنية أقوى فى الدلالة عليه ؛ إمّا لكونه نصا أو لكونه أقوى ظهورا ، وسبب العموم أنها نكرةٌ فى سياق النفى فتعمّ.

وقال ابن مالك فى « التحفة » : قد تكون المشبه بـ « ليس » نافية للجنس ، ويفرق فيها بين إرادة الجنس وغيره بالقرائن . هذا كله فى العاملة .

وأما غير العاملة ؛ فيرفع الاسم بعدها بالابتداء إذا لم يُرَد نفى العموم. ويلزم التكرار. ثم تارة تكون نكرة ، كقوله : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾(٣) . ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾(٤) .

وتارة تكون معرفة كقوله : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾(٥) .

ولذلك يجب تكرارها إذا وليها نعت نحو: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾(٦)، وقوله تعالى : ﴿ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ ﴾(٧) .

فإن قيل : لِمَ لَمْ تكررها وقد أوجبوا تكرارها فى الصفات ؟

وجوابه أنه من الكلام المحمول على المعنى ، والتقدير : لا تثير الأرض ، ولا ساقية للحرث ، أى لا تثير ولا تسقى .

---

(١) المحصل فى شرح المفصل ، ذكره صاحب كشف الظنون ضمن شرح المفصل .
(٢) سورة البقرة ٢٥٤ .
(٣) سورة الصافات ٤٧
(٤) سورة إبراهيم ٣١
(٥) سورة يس ٤٠
(٦) سورة النور ٣٥
(٧) سورة البقرة ٧١

وقال الراغب: هى فى هذه الحالة تدخل فى المتضادّين، ويراد بها إثبات الأمرين بهما جميعا، نحو: زيد ليس بمقيم ولاظاعن، أى تارة يكون كذا، وتارة يكون كذا. وقد يراد إثبات حالة بينهما؛ نحو: زيد ليس بأبيض ولا أسود.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[1]، قيل: معناه أنها شرقية وغربية. وقيل: معناه مصونة عن الإفراط والتفريط، وأما الداخلة على الأفعال؛ فتارة تكون لنفى الأفعال المستقبلة، كقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾[2]؛ لأنه جزاء، فلا يكون إلا مستقبلا.

ومثله: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ﴾[3].

وقد ينفى المضارع مرادا به نفى الدوام، كقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[4].

وقد يكون للحال، كقوله: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[5]. ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ ﴾[6] ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾[7]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[8].

وقوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ ﴾[9]. يصحّ أن تكون فى موضع الحال: أى مالكم غير مقاتلين.

وقيل: ينفى بها الحاضر على التشبيه بـ «ما»، كقولك فى جواب من قال: «زيد يكتب الآن»: لا يكتب.

والنفى بها يتناول فعلَ المتكلم، نحو: لا أخرج اليوم ولا أسافر غدا. ومنه قوله تعالى:

---

(١) سورة النور ٣٥
(٢) سورة فاطر ١٤
(٣) سورة الحشر ١٢
(٤) سورة سبأ ٣
(٥) سورة القيامة ١
(٦) سورة المعارج ٤٠
(٧) سورة الواقعة ٧٥
(٨) سورة النساء ٦٥
(٩) سورة النساء ٧٥

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1].

وفعل المخاطب، كقولك: إنك لاتزورنا، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[2]، ﴿فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[3].

وتدخل على الماضى فى القَسَم والدعاء، نحو: والله لاصلّيت، ونحو: لَاضَاقَ صَدْرُكَ. وفى غيرها نحو: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾[4].

والأكثر تكرارها، وقد جاءت غير مكرّرة فى قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[5]. قال الزمخشرىّ: لكنّها مكررة فى المعنى؛ لأن المعنى: لا فكّ رقبة، ولا أطعم مسكينا، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك؟ وقيل: إنه دعاء، أى أنه يستحق أن يُدْعَى عليه بأن يفعل خيرا.

وقد يراد الدعاء فى المستقبل والماضى، كقولك: لا فضّ الله فاك. وقوله: « لا يَبْعَدَنْ قومى ».

***

الثانية: أن تكون للنهى، ينهى بها الحاضر والغائب، نحو: لاتقم ولا يقم. وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[6].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[8].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾[9].

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾[10].

---

(١) سورة الشورى ٢٣
(٢) سورة الأعلى ٦
(٣) سورة الرحمن ٣٣
(٤) سورة القيامة ٣١
(٥) سورة البلد ١١
(٦) سورة الممتحنة ١
(٧) سورة آل عمران ٢٨
(٨) سورة الكهف ٢٣، ٢٤
(٩) سورة آل عمران ١٨٨
(١٠) سورة الحجرات ١١

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾[1] .
﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾[2] .
﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾[3] .
وتخلّص المضارعَ للاستقبال ، نحو : ﴿ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾[4] .
وترد للدعاء ، نحو : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[5] ، ولذلك قال بعضهم: « لا الطلبية » ليشمل النهى وغيره .
وقد تحتمل النفيَ والنهيَ ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾[6] ، ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ ﴾[7] .

* * *

الثالثة : أن تكون جوابيّة ، أى ردّ فى الجواب ، مناقض لـ « نعم » أو بلى ، فإذا قال مقرّرا : ألم أحسن إليك ؟ قلت : لا ، أو بلى ، وإذا قال مستفهما : هل زيد عندك؟ قلت : لا ، أو نعم ، قال تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[8] ، ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾[9] .

* * *

الرابعة : أن تكون بمعنى « لم » ، ولذلك اختصّت بالدخول على الماضى ، نحو : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾[10] ، أى لم يصدق ولم يصل .
ومثله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾[11] .

* * *

(١) سورة الحجرات ١١
(٢) سورة الأعراف ٢٧
(٣) سورة النمل ١٨
(٤) سورة القصص ٧
(٥) سورة البقرة ٢٧٦
(٦) سورة هود ٢
(٧) سورة النساء ٧٥
(٨) سورة الأعراف ١٧٢
(٩) سورة الأعراف ١٤٤
(١٠) سورة القيامة ٣١
(١١) سورة البلد ١١

الخامسة : أن تكون عاطفة تُشْرِك ما بعدها في إعراب ما قبلها ، وتعطف بعد الإيجاب ، نحو يقوم زيد لا عمرو . وبعد الأمر ، نحو اضرب زيدا لا عمرا ، وتنفي عن الثاني ما ثبت للأول ، نحو : خرج زيد لا بكر .

فإن قلت : ما قام زيد ولا بكر ، فالعطف للواو دونها ، لأنها أمّ حروف العطف .

***

السادسة : أن تكون زائدة ، في مواضع :

الأول : بعد حرف العطف المتقدّم عليه النفي أو النهي ، فتجيء مؤكدة له كقولك: ما جاءني زيد ولا عمرو ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾(١) .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾(٣) .

قال أبو عبيدة : وقيل : إنما دخلت هنا مزيدة لتوهم أن « الضالين » هم « المغضوب عليهم » ، والعرب تنعت بالواو ، وتقول : مررت بالظريف والعاقل . فدخلت لإزالة التوهم

وقيل : لئلا يتوهم عطف « الضالين » على « الذين » .

ومثال النهي قوله تعالى : ﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾(٤) ، فـ « لا » زائدة ، وليست بعاطفة ، لأنها إنما يعطف بها في غير النهي ، وإنما دخلت هنا لنفي احتمال أن يكون المقصود نفيُ مجيئها جميعا ، تأكيدا للظاهر من اللفظ ، ونفيا للاحتمال الآخر ، فإنه يفيد النفي عن كلّ واحد منها نصا ، ولو لم يأت بـ « لا » ، لجاز أن يكون النفي عنها على جهة الاجتماع ولكنه خلاف الظاهر ؛ فلذلك كان القول ببقاء الزيادة أولى ؛ لبقاء الكلام بإثباتها على حالةٍ عند عدمها ، وإن كانت دلالته عند مجيئها أقوى .

---

(١) سورة سبأ ٣٧
(٢) سورة المائدة ١٠٣
(٣) سورة الفاتحة ٦
(٤) سورة المائدة ٢

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾(١) ، فمن قال : المراد أن الحسنة لا تساوى السيئة ، فـ« لا » عنده زائدة ، ومن قال: إن جنس الحسنة لا يستوى إفراده ، وجنس السيئة لا يستوى إفراده ـ وهو الظاهر من سياق الآية ـ فليست زائدة ، والواو عاطفة جملة على جملة ، وقد سبق فيها مزيد كلام فى بحث الزيادة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ . . . ﴾(٢) الآية، فالأولى والثانية غير زائدة ، والثالثة والرابعة والخامسة زوائد .

وقال ابنُ الشَّجرى : قد تجىء مؤكِّدة النفى فى غير موضعها الذى تستحقه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَلَا ٱلْمُسِيءُ ﴾(٣) ، لأنك لا تقول : ما يستوى زيد ولا عمرو ، ولا تقول : ما يستوى زيد ، فتقتصر على واحد .

ومثله : ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ . وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾(٤) ، ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(٥) .

وقال غيره : « لا » هاهنا صلة ؛ لأن المساواة لا تكون إلا بين شيئين ، فالمعنى : ولا الظلمات والنور ، حتى تقع المساواة بين شيئين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾(٣) ، ولو قلت: ما يستوى زيد ولا عمرو لم يجز إلا على زيادة «لا» .

الثانى : بعد « أن » المصدرية الناصبة للفعل المضارع ، كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾(٦) .

وقيل : إنما زيدت توكيدا للنفى المعنوى الذى تضمنه : ﴿ مَنَعَكَ ﴾ ، بدليل الآية الأخرى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة فصلت ٣٤
(٢) سورة غافر ٥٨
(٣) سورة غافر ٥٨
(٤) سورة فاطر ٢٩ ، ٢١
(٥) سورة الأنبياء ٩٥
(٦) سورة الأعراف ١٢
(٧) سورة ص ٧٥

وقال ابن السِّيد : إنما دخلت لما يقتضيه معنى المنع لا يحتمل حقيقة اللفظ ؛ لأنَّ المانعَ من الشيء بأمر الممنوع ، بألّا يفعل ، مهما كان المنع فى تأويل الأمر بترك الفعل ، والحمل على تركه أجراه مجراها .

ومن هنا قوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[1] أى لئن لم ، لأن المعنى يتم بذلك .

وقيل : ليست زائدة والمعنى عليها .

وهذا كما تكون محذوفة لفظا مرادة معنى ، كقوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾[2] ، المعنى ألّا تضلوا ؛ لأن البيان إنما يقع لأجل ألّا تضلوا .

وقيل : على حذف مضاف ، أى كراهة أن تضلوا .

وأما السِّيرافىّ فجعلها على بابها ، حيث جاءت ، زعم أن الإنسان إذا فعل شيئاً لأمرٍ ما ، قد يكون فعله لضدّه ، فإذا قلت : جئت لقيام زيد ، فإن المعنى أنّ المجىء وقع لأجل القيام ، وهل هو لأن يقع أو لئلا يقع ؟ محتمَل ، فمن جاء للقيام فقد جاء لعدم القيام ، ومن جاء لعدم القيام فقد جاء للقيام ؛ برهان ذلك أنّك إذا نصصت على مقصودك ، فقلت : جئت لأن يقع ، أو أردت أن يقع ، فقد جئت لعدم القيام ؛ أى لأن يقع عدم القيام ، وهو — أعنى عدم الوقوع — طلب وقوعه .

وإن قلت : وقصدى ألّا يقع القيام ، ولهذا جئت ، فقد جئت لأن يقع عدم القيام ، فيتصور أن تقول : جئت للقيام وتعنى به عدم القيام .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾[2] أى يبين الضلال ، أى لأجل الضلال يقع البيان : هل هو لوقوعه أو عدمه ؟ المعنى : يبين ذلك .

---

(١) سورة الحديد ٢٩ (٢) سورة النساء ١٧٦

وكذلك قوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ ﴾[1] أى فعل الله هذا لعدم علمهم :هل وقع أم لا؟ وإذا علموا أنهم لا يقدرون على شىء من فضل الله ، يبين لهم أنهم لا يعلمون ، فقوله : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ ﴾ باقٍ على معناه ، ليس فيه زيادة .

الثالث : قبل قَسَم ، كقوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[2] ، المعنى أقسم ، بدليل قراءة ابن كثير : ﴿ لَأُقْسِم ﴾ وهى قراءة قوية لا يضعفها عدم نون التوكيد مع اللام؛ لأن المراد بأقسم فعل الحال ، ولا تلزم النون مع اللام .

وقيل إنها غير زائدة ، بل هى نافية .

وقيل : على بابها ، ونفى بها كلاما تقدم منهم ، كأنه قال: ليس الأمر كما قلتم من إنكار القيامة ، ف﴿ لَا أُقْسِمُ ﴾ جواب للمحكى من جحدهم البعث ، كما كان قوله : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[3] جوابا لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[4] ، لأن القرآن يجرى مجرى السورة الواحدة .

وهذا أولى من دعوى الزيادة ، لأنها تقتضى الإلغاء ، وكونها صدر الكلام يقتضى الاعتناء بها ، وهما متنافيان .

قال ابن الشجرى : وليست « لا » فى قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾[5] ، قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ ﴾[6] . ونحوه بمنزلتها فى قوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[7] ، كما زعم بعضهم ، لأنها ليست فى أول السورة لمجيئها بعد الفاء ،

---

(١) سورة الحديد ٢٩
(٢) سورة القيامة ١
(٣) سورة القلم ٢
(٤) سورة الحجر ٦
(٥) سورة الواقعة ٧٥
(٦) سورة المعارج ٤٠
(٧) سورة القيامة ١

والفاء عاطفة كلمة على كلمة تخرجها عن كونها بمنزلتها فى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾[1]، فهى إذن زائدة للتوكيد.

وأجاز الخارزنجى فى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾[1]، كون «لا» فيه بمعنى الاستثناء، فحذفت الهمزة وبقيت «لا».

وجعل الزمخشرى[2] «لا» فى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت فى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾، لتأكيد وجوب العلم، و﴿لا يؤمنون﴾ جواب القسم، ثم قال:

فإن قلت: هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر «لا» فى ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

وأجاب بأنه يمنع من ذلك استواء النفى والإثبات فيه، وذلك قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[4]. انتهى.

وقد يقال: هب أنه لا يتأتى فى آية الواقعة، فما المانع من تأتيه فى النساء؟ إلا أن يقال استقر بآية الواقعة أنها تزاد لتأكيد معنى القَسَم فقط، ولم يثبت زيادتها متظاهرة لها فى الجواب.

* * *

السابعة: تكون اسما فى قول الكوفيين، أطلق بعضهم نقله عنهم.

وقيل: إن ما قالوه، إذا دخلت على نكرة، وكان حرف الجرّ داخلا عليها، نحو غضبت من لا شىء، وجئت بلا مال، وجعلوها بمنزلة «غير».

وكلام ابن الحاجب يقتضى أنه أعمّ من ذلك، فإنه قال: جعلوا «لا» بمعنى «غير»

(١) سورة القيامة ١
(٢) الكشاف ١ : ٤٠٩
(٣) سورة النساء ٦٥
(٤) سورة الحاقة ٣٨ ـ ٤٠

لأنه يتعذر فيها الإعراب ، فوجب أن يكون إعرابها على ماهو من تتمتها ، وهو مابعدها، كقولك: جاءنى رجل لا عالم ولا عاقل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾[1] ، ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة ٦٨

(٢) سورة الواقعة ٤٣ ، ٤٤

(٣) سورة الواقعة ٣٣

لات

قال سيبويه : « لات » مشبهة بـ «ليس» فى بعض المواضع ، ولم تتمكن تمكنها ، ولم يستعملوها إلا مضمرا فيها ؛ لأنها كـ«ليس» فى المخاطبة، والإخبار عن غائب، ألا ترى أنك تقول : ليست وليسوا ، وعبد الله ليس ذاهبا ، فتبنى عليها ، ولات فيها ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[1] ، أى ليس حين مهرب .

وكان بعضهم يرفع « حين » لأنها عنده بمنزلة « ليس » والنصب بها الوجه .

لا جَرَم

جاءت فى القرآن فى خمسة مواضع متلوة بأنّ واسمها ، ولم يجئ بعدها فعل .

الأول فى هود[2] ، وثلاثة فى النحل[3] ، والخامس[4] فى غافر ، وفيه فسرها الزمخشرى .

وذكر اللغويون والمفسرون فى معناها أقوالا :

أحدها : أنّ «لا» نافية ردا للكلام المتقدم، و«جرم» فعل معناه حقّ، و«أنّ» مع ما فى حيزها فاعل ، أى حق، ووجب بطلان دعوته . وهذا مذهب الخليل وسيبويه والأخفش، فقوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ ، معناه أنه ردٌّ على الكفار وتحقيق لخسرانهم .

---

(١) سورة ص ٣

(٢) سورة هود ٢٢ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ .

(٣) سورة النحل ٢٣ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، ٦٢ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ ، ١٠٩ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾ .

(٤) سورة غافر ٤٣ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ .

الثانى : أن « لا » زائدة « وجرم » معناه كسب، أى كسب عملهم الندامة ، وما فى خبرها على هذا القول فى موضع نصب ، وعلى الأوّل فى موضع رفع .

الثالث : لا جرم ، كلمتان ركبتا وصار معناهما حقا ، وأكثر المفسرين يقتصر على ذلك .

والرابع : أن معناها « لا بدّ » ، وأن الواقعة بعدها فى موضع نصب ، بإسقاط الخافض[1] .

لو

على خمسة أوجه :

أحدها : الامتناعية ؛ واختلف فى حقيقتها ، فقال سيبويه : هى حرف لما كان سيقع لوقوع غيره .

ومعناه كما قال الصفّار : أنّك إذا قلت : لو قام زيد قام عمرو ، دلّت على أن قيام عمرو كان يقع لو وقع من زيد . وأما أنه إذا امتنع قيام زيد ، هل يمتنع قيام عمرو أو يقع القيام من عمرو بسبب آخر ؟ فمسكوت عنه لم يتعرض له اللفظ .

وقال غيره : هى لتعليق ما امتنع بامتناع غيره .

وقال ابن مالك : هى حرف شرط يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه .

وهى تسمى امتناعية شرطية ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾[2] ، دلّت على أمرين :

أحدهما : أن مشيئة الله لرفعه منتفية ، ورفعه منتف ؛ إذ لا سبب لرفعه إلا المشيئة .

الثانى : استلزام مشيئة الرفع للرفع ؛ إذ المشيئة سبب والرفع مسبّب ؛ وهذا بخلاف :

---

(١) ت : « بإسقاط حرف الجر » .

(٢) سورة الأعراف ١٧٦

« لو لم يخفِ الله لم يعصه » ، إذ لا يلزم من انتفاء « لم يخفْ » انتفاء « لم يَعْص » حتى يكون خاف وعصى، لأن انتفاء العصيان له سببان: خوف العقاب والإجلال ، وهو أعلى، والمراد أن صهيبا لو قدّر خلوه عن الخوف لم يعص للإجلال ؛ كيف والخوف حاصل !

ومن فسّرها بالامتناع اختلفوا ، فقال الأكثرون إن الجزاء ـ وهو الثانى ـ امتنع لامتناع الشرط ـ وهو الأول ـ فامتنع الثانى وهو الرفع، لامتناع الأول ، وهو المشيئة .

قال ابن الحاجب ومَنْ تبعه كابن جمعة الموصلى وابن خطيب زَمَلكَا : امتنع الأول لامتناع الثانى ، قالوا لأن امتناعَ الشرط لا يستلزم امتناع الجزاء، لجواز إقامة شرط آخر مقامه؛ وأما امتناع الجزاء فيستلزم امتناع الشرط مطلقا .

وذكروا أن لها مع شرطها وجوابها أربعة أحوال :

أحدها : أن تتجرد من النفى ، نحو : لو جئتنى لأكرمتك ؛ وتدلّ حينئذٍ على انتفاء الأمرين، وسموها حرف وجوب لوجوب؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[(١)] .

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾[(٢)] .

وقوله : ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)] ، أى ما هدانى بدليل قوله بعده : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[(٣)] ؛ لأن « بلى » جواب للنفى .

وثانيها : إذا اقترن بها حرف النفى، تسمّى حرف امتناع لامتناع، نحو: لولم تكرمنى لم أكرمك ، فيقتضى ثبوتهما لأنهما للامتناع ؛ فإذا اقترن بهما حرف نفى ، سُلِب عنها الامتناع ، فحصل الثبوت ، لأن سلب السلب إيجاب .

ثالثها : أن يقترن حرف النفى بشرطها دون جوابها ، وهى حرف امتناع لوجوب؛ نحو : لو تكرمنى أكرمتك ، ومعناه عند الجمهور انتفاء الجزاء وثبوت الشرط .

---

(١) سورة النساء ٨٢ (٢) سورة التوبة ٤٦

(٤) سورة الزمر ٥٧ ، ٥٩

رابعها : عكسه وهو حرف وجوب لامتناع ، نحو : لو جئتنى لم أكرمك ، فيقتضى ثبوت الجزاء وانتفاء الشرط ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[1] .

واعلم أن تفسير سيبويه لها مطرد فى جميع مواردها ، ألا ترى أن مفهوم الآية[2] عدم نفاد كلمات الله مع فرض شجر الأرض أقلاماً والبحر ممدودا بسبعة أبحر مدادا ، ولا يلزم ألا يقع عدم نفاد الكلمات إذا لم يجعل الشجر أقلاماً والبحر مدادا .

وكذا فى « نعم العبد صهيب » فإن مفهومه أن عدم العصيان كان يقع عند عدم الخوف ، ولا يلزم ألا يقع عدم العصيان إلا عند الخوف ، وهكذا الباقى .

وأما تفسير من فسرها بأنها حرف امتناع لامتناع ، وذكر لها هذه الأحوال الأربعة فلا يطرد ، وذلك لتخلف هذا المعنى فى بعض الموارد ؛ وهو كل موضوع دل الدليل فيه على أن الثانى ثابت مطلقا ؛ إذ لو كان منفيا لكان النفاد حاصلا ، والعقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور فلأن تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾[3] .

وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾[4] ، فإن التولى عند عدم الإسماع أولى .

وأما قوله : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » فنفى العصيان ثابت ، إذ لو انتفى نفى العصيان لزم وجوده ؛ وهو خلاف ما يقتضيه سياق الكلام فى المدح .

---

(١) سورة المائدة ٨١

(٢) كذا فى ت ، م ؛ ولعل هنا سقطا ، وهو يشير إلى قوله تعالى فى سورة لقمان ٢٧ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾

(٣) سورة الأنعام ١١١ (٤) سورة الأنفال ٢٣

ولما لم يطّرد لهم هذا التفسير مع اعتقادهم صحته ، اختلفوا فى تخريجها على طرق :

الأول : دعوى أنها فى مثل هذه المواضع - أعنى الثابت فيها الثانى دائما - إنما جاءت لمجرد الدلالة على ارتباط الثانى بالأول ، لا الدلالة على الامتناع ، وضابطها ما يقصد به الدلالة على مجرد الارتباط دون امتناع كل موضع قصد فيه ثبوت شئ على كل حال ، فيربط ذلك الشيء بوجود أحد النقيضين لوجوده دائما ، ثمّ لا يذكر إذ ذاك إلا النقيض الذى يلزم من وجود ذلك الشيء ، على تقدير وجود النقيض الآخر ، فعدم النّفادفى الآية الكريمة واقع على تقدير كون ما فى الأرض من شجرة أقلام ، وكون البحر مدّمن سبعة أبحر ؛ فعدم النفاد على تقدير انتفاء كون هذين الأمرين أوْلى . وكذا عدم عصيان صهيب واقع على تقدير عدم خوفه ، فعدم عصيانه على تقدير وجود الخوف أولى . وعلى هذا يتقرر جميع ما يرد عليك من هذا الباب .

والتحقيق أنها تفيد امتناع الشرط كما سبق من الآيات الشريفة . وتحصّل أنها تدلّ على أمرين :

أحدهما : امتناع شرطها ، والآخر كونه مستلزما لجوابها ، ولا يدل على امتناع الجواب فى نفس الأمر ولا ثبوته ؛ فإذا قلت : لو قام زيد لقام عمرو ، فقيام زيد محكوم بانتفائه فيما مضى ، وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام عمرو ، وهل لقيام عمرو وقت آخر غير اللازم عن قيام زيد ، أو ليس له ؟ لا يعرض فى الكلام لذلك ؛ ولكن الأكثر كون الثانى والأول غير واقعين .

وقد سلب الإمام فخر الدين الدلالة على الامتناع مطلقا ، وجعلها لمجرد الربط ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾[1] ، قال :

---

(١) سورة الأنفال ٢٣

فلو أفادت « لو » انتفاء الشيء لا نتفاء غيره لزم التناقض ؛ لأن قوله . ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، يقتضى أنه ما علم فيهم خيرا وما أسمعهم ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾ ، يفيد أنه تعالى ما أسمعهم ولا تولّوا ؛ لكن عدم التولى خير، فيلزم أن يكون: وما علم فيهم خيرا .

قال : فعلمنا أن كلمة « لو » لا تفيد إلا الربط . هذا كلامه .

وقد يمنع قوله : « إن عدم التولى خير » ؛ فإن الخير إنّما هو عدم التولى ، بتقدير حصول الإسماع، والفرض أن الإسماع لم يحصل، فلا يكون عدم التولى على الإطلاق خيرا، بل عدم التولى المرتب على الإسماع .

الطريق الثانى : أنّ قولهم : لامتناع الشيء لامتناع غيره ، معناه أنّ ما كان جوابا لها كان يقع لوقوع الأول ، فلما امتنع الأول امتنع أن يكون الثانى واقعا لوقوعه ، فإن وقع فلأمر آخر ؛ وذلك لا ينكر فيها ؛ ألا ترى أنّك إذا قلت : لو قام زيد قام عمرو ، دلّ ذلك على امتناع قيام عمرو الذى كان يقع منه لو وقع قيام زيد ، لا على امتناع قيام عمرو لسبب آخر . وكذلك « لو لم يخف الله لم يعصه » ، امتنع عدم العصيان الذى كان سيقع عند عدم الخوف لو وقع ، ولا يلزم امتناع عدم العصيان عند وجود الخوف .

الثالث : أنْ تحمَل « لو » فيما جاء من ذلك؛ على أنّها محذوفة الجواب فيكون قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ معناه ، لو كان هذا لتكسرت الأشجار ، وفنيَ المداد ، ويكون قوله : ﴿ مَا نَفِدَتْ ﴾ مستأنف ، أو على حذف حرف العطف ، أى وما نفدت .

الرابع : أن تحمل « لو » فى هذه المواضع على التى بمعنى « إن »، قال أبو العباس: لو أصلها فى الكلام أن تدلّ على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتنى لأعطيتك، ولو كان زيد هناك لضربتك، ثم تتسع فتصير فى معنى « إن » الواقعة للجزاء، تقول: أنت لا

تـكرمنى ولو أكرمتك ، تريد « وإن » ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[١].

وقوله: ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ ﴾[٢]، تأويله عند أهل اللغة : لا يقبل أن يتبرر به وهو مقيم على الـكفر ، ولا يقبل وإن افتدى به .

فإن قيل : كيف يسوغ هذا فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فإن « إن » الشرطية لا يليها إلا الفعل « وإنّ » المشددة مع ما عملت فيه اسم؛ فإذا كانت «لو» بمنزلة « إنّ » فينبغى ألّا تليها .

أجاب الصفار ، بأنه قد يلى « أنّ » الاسم فى اللفظ . فأجاز ذلك فى « إن » نفسها ، فأولى أن يجوز فى « لو » المحمولة عليها ، وكما جاز ذلك فى « لو » قبل خروجها إلى الشرط ؛ مع أنها من الحروف الطالبة للأفعال .

قال : والدليل على أنّ « لو » فى الآيتين السابقين بمعنى « إن » أنّ الماضىَ بعدها فى موضع المستقبل ، « ولو » الامتناعية تصرف معنى المستقبل إلى الماضى ، فإن المعنى « وإن يفتد به » .

واعلم أن ما ذكرناه من أنها تقتضى امتناع مايليها أشكل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ ؛ فإنهم لم يقروا بالـكذب.

وأجيب بوجهين : أحدهما أنها بمعنى « إن » ، والثانى قاله الزمخشرى أنه على الفرض ؛ أى ولو كنا من أهل الصدق عندك .

وقال الزمخشرى فيما أفرده على سورة الحجرات : « لو » تدخل على جملتين فعليتين، تعلق ما بينهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط؛ ولما لم تـكن مخلّصة بالشرط كإن ولا عاملة مثلها،

---

(١) سورة يوسف ١٧

(٢) سورة آل عمران ٩١

وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا ؛ من حيث إفادتها فى مضمونى جملتها، أنّ الثانىَ امتنع لامتناع الأول؛ وذلك أن تكسوَ الناس فيقال لك: هلا كسوت زيدا ! فتقول: لو جاءنى زيد لكسوته؛ افتقرت فى جوابها إلى ماينصب علماً على التعليق ، فزيدت اللام، ولم تفتقر إلى مثل ذلك «إنْ» لعملها فى فعلها ، وخلوصها للشرط .

ويتعلق بـ« لو » الامتناعية مسائل :

الأولى : إنها كالشرطية فى[1] اختصاصها بالفعل، فلايليها إلا فعل أومعمول فعل يفسره ظاهر بعده ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[2] ، حذف الفعل فانفصل الضمير .

وانفردت « لو » بمباشرة « أنّ » ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾[3] ، وهو كثير .

واختلف فى موضع «أنّ» بعد «لو»، فقال سيبويه: فى موضع رفع بالابتداء، واختلف عنه فى الخبر ، فقيل محذوف ، وقيل لايحتاج إليه .

وقال الكوفيون : فاعل بفعل مقدر تقديره : « ولو ثبت أنهم » ، وهو أقيس لبقاء الاختصاص .

الثانية : قال الزمخشرى : يجب كون خبر « أنّ » الواقعة بعد « لو » فعلا ، ليكون عوضا عن الفعل المحذوف .

وقال أبو حيان : هو وهم ، وخطأ فاحش ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ . وكذا رده ابن الحاجب وغيره بالآية، وقالوا: إنما ذاك فى الخبر المشتق ، لا الجامد كالذى فى الآية .

---

(١) م : « باختصاصها » .

(٢) سورة الإسراء ١٠٠

(٣) سورة الحجرات ٥

وأيّد بعضهم كلام الزمخشرى، بأنه إنما جاء من حيث إن قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ ، لمّا التبس بالعطف بقوله : ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ صار خبر الجملة المعطوفة ، وهو ﴿ يَمُدُّهُ ﴾ كأنه خبر الجملة المعطوف عليها لالتباسها بها .

قال الشيخ فى « المغنى » : وقد وجدت آية فى التنزيل وقع فيها الخبر مشتقا ولم يتنبّه لها الزمخشرى ، كما لم يتنبّه لآية لقمان ، ولا ابن الحاجب وإلا لمنع ذلك(١) .

قلت : وهذا عجيب ، فإن « لو » فى الآية للتمنّى ، والكلام فى الامتناعية، بل أعجب من ذلك كلّه أن مقالة الزمخشرى سبقه إليها السيرافى، وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديما فى شرح «الإيضاح» لابن الخباز؛ لكن فى غير مظنته؛ فقال فى باب إنّ وأخواتها : قال السّيرافى : تقول لو أن زيدا أقام لأكرمته ، ولا تجوز : لو أن زيدا حاضر لأكرمته؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسد مسدّ ذلك الفعل .

هذا كلامهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾(٢) ، فأوقع خبرها صفة. ولهم أن يفرقوا بأنّ هذه للتمنى ، فأجريت مجرى « ليت » كما تقول : ليتهم بادون . انتهى كلامه .

تنبيه

ذكر الزمخشرى بعد كلامه السابق فى سورة الحجرات سؤالا ، وهو: ما الفرق بين قولك: لو جاءنى زيد لكسوته، ونظيره قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى ﴾(٣) وبين قوله : لو زيد جاءنى لكسوته، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ

---

(١) المغنى ١ : ٢٧٠

(٢) سورة الأحزاب ٢٠ (٣) سورة الزمر ٤

رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[1] ، وبين قوله: لو أن زيدا جاءنى لكسوته، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾[2] .

وأجاب بأن القصد فى الأولى أن الفعلين تعليق أحدهما بصاحبه لاغير، من غير تعرض لمعنى زائد على التعليق الساذج على الوجه الذى بينته ، وهو المعنىّ فى الآية الأولى ؛ لأنّ الغرض نفى أَنْ يَتَّخِذَ الرَّحْمنُ وَلَدا ، وبيان تعاليه عن ذلك ؛ وليس لأداء هذا الغرض إلا تجديد الفعلين للتعلق ، دون أمر زائد عليه ، وأما فى الثانى فقد انضم إلى التعليق بأحد معنيين ؛ إما نفى الشك أو الشبهة ، أن المذكور الذى هو زيد مكسوّ لا محالة لو وجد منه المجىء ولم يمتنع، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره . وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ يحتمل المعنيين جميعا، أعنى أنهم لامحالة يكون ، وأنهم المخصوصون بالإمساك لو ملكوا ، إشارة إلى أن الإله الذى هو مالكها ، وهو الله الذى وسعت رحمته كل شىء لايمسك .

فإن قلت : « لو » لاتدخل إلا على فعل ، و« أنتم » ليس بمرفوع بالابتداء، ولكن بـ « تملك » مضمرا ، وحينئذ فلا فرق بين « لو تملكون » وبين « لو أنتم تملكون » لكان القصد إلى الفعل فى الموضعين دون الاسم ؛ وإنما يسوغ هذا الفرق لوارتفع بالابتداء .

قلت : التقدير وإن كان على ذلك ، إلا أنه لمّا كان تمثيلا لايتكلم به، ينزّل الاسم فى الظاهر منزلة الشىء تقدم لأنه أهمّ، بدليل « لو ذات سوار لطمتنى »، فى ظهور قصدهم إلى الاسم ، لكنه أهمّ فيما ساقه المثل لأجله .

وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾[3] ، وإن كان « أحد » مرفوعا بفعل مضمر فى التقدير .

---

(١) سورة الإسراء ١٠٠ (٢) سورة الحجرات ٥ (٣) سورة التوبة ٦

وأما فى الثالث ، ففيه مافى الثانى مع زيادة التأكيد الذى تعطيه « أنّ » وفيه إشعار بأن زيدا كان حقه أن يجىء ، وأنه بتركه المجىء قد أغفل حظه . فتأمل هذه الفروق ، وقس عليها نظائرَ التراكيب فى القرآن العزيز ، فإنها لاتخرج عن واحد من الثلاثة .

الثالثة : الأكثر فى جوابها المثبت ، اللام المفتوحة ؛ للدلالة على أنّ مادخلت عليه هو اللازم لما دخلت عليه « لو » ، قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١) ، ففى اللام إشعار بأن الثانية لازمة للأولى .

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾(٢) ويجوز حذفها: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾(٣).

الرابعة: يجوز حذف جوابها للعلم به. وللتعظيم، كقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً ﴾(٤) ، وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾(٥) ، وهو كثير، سبق فى باب الحذف على مافيه من البحث ، ـ أ.. نوله : ﴿ ولَوْ أن ما فى الأرض من شجرة أقلامٌ ﴾ فيحتمل أن يكون جواب « لو » محذوفا والتقدير لنفدت هذه الأشياء ، وما نفدت كلمات الله ، وأن يكون ﴿ ما نفدت ﴾ هو الجواب مبالغة فى نفى النفاد ؛ لأنه إذا كان نفى النفاد لازما على تقدير كون مافى الأرض من شجرة أقلاما والبحر مدادا كان لزومه على تقدير عدمها أولى .

وقيل : تقدر هى وجوابها ظاهرا ، كقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾(٦) ، تقديره : ولو كان معه آلهة إذًا لذهب كل إله .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾(٧) ، أى ولو يكون وخططت ، إذن لارتاب .

* * *

(١) سورة الأنبياء ٢٢
(٢) سورة الواقعة ٦٥
(٣) سورة الواقعة ٧٠
(٤) سورة هود ٨٠
(٥) سورة الرعد ٣١
(٦) سورة المؤمنون ٩١
(٧) سورة العنكبوت ٤٨

الوجه الثانى : من أوجه « لو » أن تـكون شرطية ، وعلامتها أن يصلح موضعها «إنْ» المـكسورة ، وإنمـا أقيمت مقـامها ، لأنّ فى كل واحدة منهما معنى الشرط ، وهى مثلها فيليها المستقبل ، كقوله تعـالى : ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾[1] ، ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا ﴾[2] .

وإن كان ماضيا لفظا صرفه للاستقبال ، كقوله : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[4]، وقوله : ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾[5]، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾[6]، ونظائره.

قالوا : ولولا أنها بمعنى الشرط لما اقتضت جوابا ؛ لأنه لابدّ لها من جواب ظاهر أو مضمر ، وقد قال المبرّد فى « الـكامل » : إن تأويله عنـد أهل اللغة : لا يقبل منه أن يفتدى به وهو مقيم على الـكفر ، ولا يقبل إن افتدى به .

قالوا : وجوابها يكون ماضيا لفظا كما سبق ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾[7] ، ومعنًى ؛ ويكون باللام غالبا ، نحو :﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾[8].

وقد يحذف نحو : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾[9] ، ولا يحذف غالبا إلا فى صلة، نحو: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا . . . . ﴾[5] ، الآية .

***

الثالث :لو المصدرية ، وعلامتها أن يصلح موضعها «أن» المفتوحة ، كقوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[10] .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٢
(٢) سورة يس ٦٦
(٣) سورة التوبة ٣٣
(٤) سورة يوسف ١٧
(٥) سورة النساء ٩
(٦) سورة آل عمران ٩١
(٧) سورة فاطر ١٤
(٨) سورة البقرة ٢٠
(٩) سورة الواقعة ٧٠
(١٠) سورة البقرة ٩٦

وقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾(١) .
﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ﴾(٢) .
﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي ﴾(٣) ، أى الافتداء .

ولم يذكر الجمهور مصدرية « لو » وتأولوا الآيات الشريفة على حذف مفعول « يودّ » ، وحذف جواب «لو» ، أى يود أحدهم طول العمر لو يعمر ألف سنة ليسرّ بذلك .

وأشكل قول الأولين بدخولها على « أنّ » المصدرية ، فى نحو قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ﴾(٤) ، والحرف المصدرى لا يدخل على مثله !

وأجيب : بأنها إنما دخلت على فعل محذوف مقدر تقديره « يود لو ثبت أنّ بينها » فانتفت مباشرة الحرف المصدرىّ لمثله .

وأورد ابن مالك السؤال فى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾(٥) وأجاب بهذا ، وبأن هذا من باب توكيد اللفظ بمرادفه ، نحو : ﴿ فِجَاجًا سُبُلًا ﴾(٦) .

وفى كلا الوجهين نظر ، أما الأول وهو دخول «لو» على « ثبت » مقدرا ، إنما هو مذهب المبرد ، وهو لا يراه فكيف يقرره فى الجواب !

وأما الثانى ، فليست هنا مصدرية بل للتمنى كما سيأتى . ولو سلم فإنه يلزم ذلك وصل « لو » بجملة اسمية مؤكدة بـ« أن » . وقد نص ابن مالك وغيره ؛ على أنّ صلتها لا بد أن تكون فعلية بماض أو مضارع .

قال ابن مالك : وأكثر وقوع هذه بعد « ود » أو « يودّ » أو ما فى معناهما من مفهم تمنّ . وبهذا يعلم غلط من عدّها حرف تمن ، لو صح ذلك لم يجمع بينها وبين فعل تمن ، كما لا يجمع بين ليت وفعل تمن .

* * *

(١) سورة البقرة ١٠٩
(٢) سورة النساء ١٠٢
(٣) سورة المعارج ١١
(٤) سورة آل عمران ٣٠
(٥) سورة الشعراء ١٠٢
(٦) سورة الأنبياء ٣١

الرابع : لو التي للتمني ، وعلامتها أن يصح موضعها « ليت » ، نحو : لو تأتينا فتحدثنا ، كما تقول: ليتك تأتينا فتحدثنا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[1] ، ولهذا نصب ، فيكون في جوابها ؛ لأنها أفهمت التمني ، كما انتصب ﴿ فَأَفُوزَ ﴾[2] ، في جواب « ليت » : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ ﴾[2] .

* * *

وذكر بعضهم قسماً آخر وهو التقليل كقوله : ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾[3] .

---

(١) سورة الشعراء ١٠٢

(٢) سورة النساء ٧٢

(٣) سورة النساء ١٣٥

لولا

مركّبة عند سيبويه من « لو » و « لا » ، حكاه الصفّار . والصحيح أنها بسيطة .

ومن التركيب ما يغير ، ومنه ما لا يغيّر ، فما لا يغيّر « لولا » . ومما يتغير بالتركيب « حبذا » صارت للمدح والثناء، وانفصل « ذا » عن أن يكون مثنى أو مجموعا أو مؤنثا، وصار بلفظ واحد لهذه الأشياء ؛ وكذلك « هلّا » زال عنها الاستفهام جملة .

ثم هى على أربعة أضرب :

***

الأول : حرف امتناع لوجوب ، وبعضهم يقول : لوجود ، بالدال .

قيل : ويلزم على عبارة سيبويه فى « لو » أن تقول حرف لما سيقع ، لانتفاء ما قبله .

وقال صاحب « رصف المبانى »[1] : الصحيح أن تفسيرها بحسب الجُمَل التى تدخل عليها ؛ فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين ، فهى حرف امتناع لوجوب ؛ نحو : لولا زيد لأحسنت إليك ؛ فالإحسان امتنع لوجود زيد ، وإن كانتا منفيتين ، فحرف وجود لامتناع ، نحو : لولا عُدْم زيد لأحسنت إليك . انتهى .

ويلزم فى خبرها الحذف ، ويستغنى بجوابها عن الخبَر . والأكثر فى جوابها المثبت اللام ، نحو : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3] .

وقد يحذف للعلم به ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[4] .

---

(١) كتاب رصف المبانى فى حروف المعانى لأحمد بن عبد النور المالقى ـ كشف الظنون .

(٢) سورة سبأ ٣١ (٣) سورة الصافات ١٤٣ ، ١٤٤

(٤) سورة النور ١٠

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1] ، لهمّ بهـا ، لـكنه امتنع همّه بها لوجود رؤية برهان ربه ، فلم يحصل منه همّ البتة ، كقولك : لولا زيد لأكرمتك ؛ المعنى أنّ الإكرام ممتنع لوجود زيد؛ وبه يتخلّص من الإشكال الذى يورد: وهو كيف يليق به الهم !

وأما جوابها إذا كان منفيا فجاء القرآن بالحذف ، نحو : ﴿ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[2] .

وهو يردّ قولَ ابن عصفور أنّ المنفىّ بـ « ما » الأحسن باللام .

* * *

الثانى : التحضيض ، فتختصّ بالمضارع ، نحو : ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾[3] .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾[4] .

﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[5] .

والتوبيخ والتنديم ، فتختص بالماضى ، نحو : ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾[6] .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[7] .

وفى كلّ من القسمين تختص بالفعل ؛ لأن التحضيض والتوبيخ لا يرِدان إلا على الفعل ؛ هذا هو الأصل .

وقد جوّزوا فيها إذا وقع الماضى بعدها أن يكون تحضيضاً أيضاً، وهو حينئذٍ يكون قرينة صارفة للماضى عن المضى إلى الاستقبال ، فقالوا فى قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

(١) سورة يوسف ٢٤
(٢) سورة النور ٢١
(٣) سورة النمل ٤٦
(٤) سورة المائدة ٦٣
(٥) سورة المنافقون ١٠
(٦) سورة النور ١٣
(٧) سورة الأنعام ٤٢ .

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾(١) ، يجوز بقاء « نَفَرَ » على معناه فى المضىّ ، فيكون « لولا » توبيخاً . ويجوز أن يراد به الاستقبال ، فيكون تحضيضا .

قالوا : وقد تفصل من الفعل بإذ وإذا معمولين له ، وبجملة شرطية معترضة .

فالأول : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾(٢) ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾(٣) .

والثانى والثالث : نحو : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤) ، المعنى: فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مؤمنين؛ وحالتكم أنكم شاهدون ذلك، ونحن أقربُ إلى المحتضَر منكم بعلمنا، أو بالملائكة، ولكنكم لا تشاهدون ذلك . ولولا الثانية تكرار للأولى .

* * *

الثالث : للاستفهام بمعنى هَلْ ، نحو : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾(٥) . ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾(٦) .

قاله الهروىّ : ولم يذكره الجمهور؛ والظاهر أن الأولى للعرض، والثانية مثل: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾(٧) .

* * *

الرابع : للنفى بمعنى « لم » نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾(٨) ، أى لم تكن .

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾(٩) ، أى فلم يكن . ذكره ابن فارس فى كتاب « فقه العربية » والهروى فى « الأزهية » .

---

(١) سورة التوبة ١٢٢
(٢) سورة النور ١٦
(٣) سورة الأنعام ٤٣
(٤) سورة الواقعة ٨٣ — ٨٧
(٥) سورة المنافقون ١٠
(٦) سورة الأنعام ٨
(٧) سورة النور ١٣
(٨) سورة يونس ٩٨
(٩) سورة هود ١١٦

والظاهر أنّ المراد « فهلا » ، ويؤيده أنها فى مصحف أبىّ ﴿ فَهَلَّا كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ ،

نعم ، يلزم من ذلك الذى ذكراه معنى المضىّ ، لأن اقتران التوبيخ بالماضى يشعر بانتفائه.

وقال ابن الشجرىّ : هذا يخالف أصحّ الإعرابين ؛ لأن المستثنى بعد النفى يقوى فيه البدل ، ويجوز فيه النصب ، ولم يأت فى الآيتين إلّا النصب ، أى فدلّ على أن الكلام موجب ، وجوابه ما ذكرنا ، من أنّ فيه معنى النفى .

وجعل ابن فارس منه : ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾[1] ، المعنى : اتخذوا من دون الله آلهة ولا يأتون عليه بسلطان .

ونقل ابن بُرّجان فى تفسيره فى أواخر سورة هود ، عن الخليل ، أن جميع ما فى القرآن من « لولا » فهى بمعنى « هلّا » إلا قوله فى سورة الصافات : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ ﴾[2] ؛ لأن جوابها بخلاف غيرها .

وفيه نظر لما سبق .

لوما

هى قريب من « لولا » ، كقوله تعالى: ﴿ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾[3] ، قال ابن فارس : هى بمعنى « هلّا »[4] .

---

(١) سورة الكهف ١٥
(٢) سورة الصافات ١٤٣ ، ١٤٤
(٣) سورة الحجر ٧
(٤) فقه اللغة ١٢٥

لم

نفى للمضارع وقلبه ماضيا ، وتجزمه ، نحو : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[1] .

ومن العرب من ينصب بها ، وعليه قراءة : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحَ ﴾[2] ، بفتح الحاء ؛ وخرجت على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ، ففتح لها ما قبلها ، ثم حذفت ونويت .

---

(١) سورة الإخلاص ٣

(٢) سورة الشرح ١

لمّا

على ثلاثة أوجه :

أحدها : تدخل على المضارع ، فتجزمه وتقلبه ماضيا، كـ « لم » ، نحو : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾[1] ، ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[2] ، أى لم يذوقوه : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾[3].

لكنها تفارق « لم » من جهات :

أحدها : أنّ « لم » لنفى فعل ، و « لما » لنفى « قد فعل » ، فالمنفى بها آكد . قال الزمخشرى فى « الفائق » : لمّا مركبة من « لم » و « ما » هى نقيضة « قد » ، وتنفى ما تثبته من الخبر المنتظر .

وهذا أخذه من أبى الفتح ، فإنه قال : أصل « لمّا » « لم » زيدت عليها « ما » ، فصارت نفياً ، تقول: قام زيد ، فيقول المجيب بالنفى : لم يقم ؛ فإن قلت : قد قام ، قال : لما يقمْ ؛ لما زاد فى الإثبات « قد » زاد فى النفى « ما » ، إلا أنهم لما ركبوا « لم » مع « ما » حدث لها معنى ولفظ ، أما المعنى فإنها صارت فى بعض المواضع ظرفا ، فقالوا : لما قمت قام زيد ، أى وقت قيامك قام زيد . وأما اللفظ ، فلأنه يجوز الوقف عليها دون مجزومها ، نحو جئتك ولمّا . أى ولما تجئْ . انتهى .

ويخرج من كلامه ثلاثة فروق : ما ذكرناه أولا ، وكونها قد تقع اسما هو ظرف ، وأنه يجوز الوقف عليها دون المنفى ، بخلاف « لم » .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٢ (٢) سورة ص ٨

(٣) سورة البقرة ٢١٤

ورابعها : يجيء اتصال منفيها بالحال ، والمنفي بلم لا يلزم فيه ذلك ، بل قد يكون منقطعا ، نحو: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾[1]، وقد يكون متصلا نحو : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[2] .

وخامسها : أنّ الفعل بعد « لمّا » يجوز حذفه اختيارا

سادسها : أنّ « لم » تصاحب أدوات الشرط بخلاف « لما » فلا يقال : « إنْ لما يقم »، وفي التنزيل ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ﴾[3] ، ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا ﴾[4] .

سابعها : أن منفي « لمّا » متوقّع ثبوته ، بخلاف منفيّ « لم » ، ألا ترى أن معنى : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[5] ؛ أنهم لم يذوقوه إلى الآن ، وأنّ ذوقهم له متوقّع .

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[6] : ما في « لمّا » من معنى التوقع دالّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد[7] .

وأنكر الشيخ أبو حيان دلالة « لما » على التوقع ، فكيف يتوهم أنه يقع بعد .

وأجاب بعضهم بأن « لما » ليست لنفي المتوقّع حيث يُستَبعد توقعه ؛ وإنما هي لنفي الفعل المتوقّع ؛ كما أن « قد » لإثبات الفعل المتوقع ؛ وهذا معنى قول النحويين : إنها موافقة لـ « قد فعل » : أي يجاب بها في النفي حيث يجاب بـ « قد » في الإثبات ؛ ولهذا قال ابن السّراج : جاءت « لمّا » ، بعد فعل، يقول القائل : « لما يفعل »، فتقول: قد فعل .

***

---

(١) سورة الإنسان ١
(٢) سورة مريم ٤
(٣) سورة المائدة ٦٧
(٤) سورة المائدة ٧٣
(٥) سورة ص ٨
(٦) سورة الحجرات ١٤
(٧) سورة الكشاف ٤ : ٢٩٩

الوجه الثانى: أن تدخل على ماض؛ فهى حرف وجود لوجود، أو وجوب لوجوب، فيقتضى وقوع الأمرين جميعا؛ عكس «لو» نحو: لما جاءنى زيد أكرمته.

وقال ابن السرّاج والفارسى: ظرف بمعنى «حين».

وردّه ابن عصفور بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾(1) قال: لأن الهلاك لم يقع حين ظلموا؛ بل كان بَيْنَ الظلم والهلاك إرسال الرسل وإنذارهم إياهم؛ وبعد ذلك وقع الإهلاك، فليست بمعنى «حين»؛ وهذا الردّ لا يحسن إلّا إذا قدرنا الإهلاك أول ما ابتدأ الظلم؛ وليس كذلك، بل قوله: ﴿ظلموا﴾ فى معنى «استداموا الظلم» أى وقع الإهلاك لهم حين ظلمهم؛ أى فى حين استدامتهم الظلم، وهم متلبّسون به.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾(2).

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾(3).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾(4).

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾(5).

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾(6).

وأما جوابها فقد يجىء ظاهرا كما ذكرنا، قد يكون جملة اسمية مقرونة بالفاء؛ نحو: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾(7).

أو مقرونة بما النافية، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَازَادَهُمْ﴾(8).

وبإذا الفاجئة، نحو: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾(6).

---

(1) سورة الكهف ٥٩
(2) سورة الإسراء ٦٧
(3) سورة القصص ٢٣
(4) سورة هود ٧٧
(5) سورة يونس ٩٨
(6) سورة الأنبياء ١٢
(7) سورة لقمان ٣٢
(8) سورة فاطر ٤٢

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[١] .

﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾[٣] .

وبهذا رُدّ على من زعم أنها ظرف بمعنى «حين» فإن « ما » النافية « وإذا » الفجائية لا يعمل ما بعدها فيما قبلهما ؛ فانتفى أن يكون ظرفا .

وقد يكون مضارعا ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَى يُجَادِلُنَا ﴾[٤] وهو بمعنى الماضى ، أى جادلنا .

وقد يحذف ، كقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾[٥] ، قال بعضهم: التقدير انقسموا قسمين، منهم مقتصد ، ومنهم غير ذلك ، لكن الحق أن ﴿ مقتصد ﴾ هو الجواب ؛ هو الذى ذكره ابن مالك ، ونوزع فى ذلك من جهة أن خبرها مقرون بالفاء يحتاج لدليل .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾[٦] ؛ جوابه محذوف ؛ أى لمنعتكم .

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[٧] .

قيل جواب « لما » الأولى « لما » الثانية ؛ وجوابها ، ورد باقترانه .

وقيل : ﴿ كفروا به ﴾ جواب لهما ؛ لأن الثانية تكرير للأولى .

وقيل : جواب الأولى محذوف ، أى أنكروه .

واختلف فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾[٨] ، فقيل : الجواب ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ ﴾ . وقيل : محذوف استطالة للكلام مع أمن اللبس ، أى خمدت .

---

(١) سورة الزخرف ٥٧
(٢) سورة العنكبوت ٦٥
(٣) سورة الزخرف ٥٠
(٤) سورة هود ٧٤
(٥) سورة لقمان ٣٢
(٦) سورة هود ٨٠
(٧) سورة البقرة ٨٩
(٨) سورة البقرة ١٧

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ ﴾[1] : قيل الجواب قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾[1] ، على جعل الواو زائدة .

وقيل : الجواب محذوف ، أى أنجيناه وحفظناه .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا ﴾[2]، قيل : الجواب ﴿ وجاءته ﴾ على زيادة الواو .

وقيل : الجواب محذوف ، أى أخذ يجادلنا .

وقيل : ﴿ يجادلنا ﴾ مؤوّل بـ « جادلنا » .

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[3] ، أى أجزل له الثواب وتلّه .

وأما قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[4] ، فما تقدم من قوله ﴿ وجعلنا ﴾ يسدّ مسدّ الجواب ، لا أنه الجواب ؛ لأن الجواب لا يقدّم عليها .

وكذا قوله : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[5] ، فما تقدم من قوله : ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ ، يسدّ مسدّ الجواب ، لا أنّه الجواب ، لأن الجواب لا يقدم عليها .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾[6] ؛ فإنما وقع جوابها بالنفى ؛ لأن التقدير : فلما جاءهم نذير زادهم نفورا ، أو ازداد نفورهم .

تنبيه : يختلف المعنى بين تجردها من « أن » ودخولها عليها ؛ وذلك أنّ من شأنها أن تدل على أن الفعل الذى هو ناصبها قد تعلق بعقب الفعل الذى هو خافضته من غير مهلة ؛ وإذا انفتحت « أن » بعدها أكدت هذا المعنى وشددته، ذكره الزمخشرى فى كشافه القديم قال : ونراه مبنيا فى قوله تعالى : ﴿ ولَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا . ﴾[7] الآية ، كأنه قال : لما أبصرهم لحقته المساءة ، وضيق الذّرع فى بديهة الأمر وغرته .

---

(١) سورة يوسف ١٥
(٢) سورة هود ٧٤
(٣) سورة الصافات ١٠٣
(٤) سورة السجدة ٢٤
(٥) سورة الكهف ٥٩
(٦) سورة فاطر ٤٢
(٧) سورة هود ٧٧

الوجه الثالث : حرف استثناء ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[1] على قراءة تشديد الميم .

وقوله : ﴿ وإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2] .

لَمَا

المخففة

مركبة من حرفين : اللام وما النافية . وسيبويه يجعل « ما » زائدة ، والفارسي يجعل اللام ؛ وسيأتي في حرف الميم .

---

(١) سورة الطارق ٤

(٢) سورة الزخرف ٣٥

لن

صيغة مرتجلة للنفى فى قول سيبويه ، ومركبة عند الخليل من « لا » و « أن »

واعترض بتقديم المفعول عليها ، نحو : زيدا لن أضرب .

وجوابه : يجوز فى المركبات ما لا يجوز فى البسائط .

وكان ينبغى أن تكون جازمة ، وقد قيل به ؛ إلا أن الأكثر النصب .

وعلى كلّ قول ؛ فهى لنفى الفعل فى المستقبل ؛ لأنها فى النفى نقيضة السين وسوف وأن فى الإثبات ؛ فإذا قلت : سأفعل أو سوف أفعل كان نقيضه « لن أفعل » .

وهى فى نفى الاستقبال آكد من «لا»،وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾(١) آكد من قوله : ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾(٢) .

وليس معناها النفى على التأبيد ؛ خلافا لصاحب « الأنموذج » بل إن النفىَ مستمر فى المستقبل ؛ إلا أن يطرأ ما يزيله ، فهى لنفى المستقبل « ولم » لنفى الماضى ، و « ما » لنفى الحال .

ومن خواصها أنها تنفى ما قرُب ، ولا يمتد معنى النفى فيها كامتداد معناها ، وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا ﴾(٣) بحرف « لا » فى الموضع الذى اقترن به حرف الشرط بالفعل ، فصار من صيغ العموم يعمّ الأزمنة ، كأنه يقول : متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات وقيل لهم : تمنوا الموت ، فلا يتمنونه .

وقال فى البقرة : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ ﴾(٤) ، فقصر من صيغة النفى ، لأن قوله تعالى :

---

(١) سورة يوسف ٨٠
(٢) سورة الكهف ٦٠
(٣) سورة الجمعة ٧
(٤) سورة البقرة ٩٥

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾[1] ، وليست « لن » مع « كان » من صيغ العموم ؛ لأن « كان » لا تدخل على حدث ؛ وإنما هى داخلة على المبتدأ والخبر ، عبارة عن قصر الزمان الذى كان فيه ذلك الحدث ؛ كأنه يقول : إن كان قد وجب لكم الدار الآخرة ، فتمنوا الموت ، ثم قال فى الجواب: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ ﴾ ، فانتظم معنى الآيتين.

وأما التأبيد فلا يدل على الدّوام ، تقول : زيد يصوم أبدا ، ويصلى أبدا ؛ وبهذا يبطل تعلّق المعتزلة بأن « لن » تدل على امتناع الرؤية ؛ ولو نفى بـ« لا » لكان لهم فيه متعلق ؛ إذ لم يخصّ بالكتاب أو بالسنة ، وأما الإدراك الذى نفى بـ« لا » فلا يمنع من الرؤية ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم « إنّكم ترَوْن ربكم » ، ولم يقل : « تدركون ربكم » ، والعرب تنفى المظنون بـ« لن » والمشكوك بـ« لا » .

وممن صرح بأن التأبيد عبارة عن الزمن الطويل لا عن الذى لا ينقطع ابنُ الخشاب. وقد سبق مزيد كلام فيها فى فصل التأبيد وأدواته .

قيل : وقد تأتى للدعاء كما أتت « لا » لذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[2] .

ومنعه آخرون ، لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم ؛ بل إلى المخاطب والغائب ، نحو : يارب لا عذبت فلانا ! ونحوه : لا عذب الله عمرا .

(١) سورة البقرة ٩٥
(٢) سورة القصص ١٧

لـكن

للاستدراك مخففة ومثقّلة ؛ وحقيقته رفع مفهوم الـكلام السابق، تقول: مازيد شجاع ولـكنه غير كريم، فرفعت بـ«لـكن» ماأفهمه الوصف بالشجاعة من ثبوت الـكرم له، لـكونهما كالمتضايفين؛ فإن رفعنا ما أفاده منطوق الـكلام السابق فذاك استثناء؛ وموقع الاستدراك بين متنافيين بوجه ما؛ فلا يجوز وقوعها بين متوافقين، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾[1] ، لـكونه جاء فى سياق «لو»، «ولو» تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ؛ فدل على أن الرؤية ممتنعة فى المعنى ؛ فلما قيل: ﴿وَلَـكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ علم إثبات مافهم إثباته أولا وهو سبب التسليم ؛ وهو نفى الرؤية ، فعلم أن المعنى: ولـكن الله ما أراكهم كثيرا ليسلّمكم، فحذف السبب وأقيم المسبب مقامه.

قال ابن الحاجب : الفرق بين « بل » و « لـكن » ؛ وإن اتفقا فى أنّ الحـكم للثانى؛ أنّ « لـكن » وضعها على مخالفة مابعدها لما قبلها ، ولا يستقيم تقديره إلا مثبتا لامتناع تقدير النفى فى المفرد ؛ وإذا كان مثبتا وجب أن يكون ما قبله نفيا ، كقولك : ما جاءنى زيد لـكن عمرو ؛ ولو قلت : جاءنى زيد لـكن عمرو ، لم يجز لما ذكرنا . وأما بلْ فللإضراب مطلقا ، موجبا كان الأول أو منفيا .

وإذا ثقّلت فهى من أخوات « إنّ » تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ ولا يليها الفعل . وأما وقوع المرفوع بعدها فى قوله تعالى : ﴿ لَـكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾[2] ، و « هو » ضمير الرفع ، فجوابه أنها هنا ليست المثقّلة بل هى المخففة ؛ والتقدير : لـكن أنا هو الله ربى؛

---

(١) سورة الأنفال ٤٣

(٢) سورة الـكهف ٣٨

ولهذا تكتب فى المصاحف بالألف، ويوقف عليها بها؛ إلا أنهم ألقَوْا حركة الهمزة على النون؛ فالتقت النونان ، فأدغمت الأولى فى الثانية، وموضع «أنا» رفع بالابتداء، وهو مبتدأ ثان و « الله » مبتدأ ثالث ، و «ربّى » خبر المبتدأ الثالث ، والمبتدأ الثالث وخبره خبر الثانى، والثانى هو خبر الأول ، والراجع إلى الأول الياء .

ثم المخفّفة قد تكون مخففة من الثقيلة، فهى عاملة، وقد تكون غير عاملة، فيقع بعدها المفرد ، نحو ماقام زيد لكنْ عمرو ، فتكون عاطفة على الصحيح ، وإن وقع بعدها جملة كانت حرف ابتداء .

وقال صاحب « البسيط » : إذا وقع بعدها جملة؛ فهل هى للعطف، أو حرف ابتداء . قولان ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾(١) .

قال : ونظير فائدة الخلاف فى جواز الوقف على ماقبلها ؛ فعلى العطف لايجوز ، وعلى كونها حرف ابتداء يجوز .

قال : وإذا دخل عليها الواو انتقل العطف إليها ، وتجردت للاستدراك .

وقال الكسائىّ : المختار عند العرب تشديد النون إذا اقترنت بالواو، وتخفيفها إذا لم تقترن بها ؛ وعلى هذا جاء أكثر القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٢) .

﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

﴿ لَـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾(١) .

﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة النساء ١٦٦
(٢) سورة الأنعام ٣٣
(٣) سورة الأعراف ١٣١
(٤) سورة التوبة ٨٨

﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾[1] ،

﴿ لَـٰكِنِ ٱلظَّالِمُونَ ٱلْيَوْمَ ﴾[2] .

وعلّل الفراء ذلك بأنها مخففة تكون عاطفة فلا تحتاج إلى واو معها كـ « بل » ، فإذا كان قبلها واو لم تشبه « بل » لأن « بل » لا تدخل عليها الواو ، وأما إذا كانت مشدّدة فإنها تعمل عمل « إن » ولا تكون عاطفة .

وقد اختلف القرّاء في ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾[3] ، فأكثرهم على تخفيفها ونصب « رسول » بإضمار « كان » أو بالعطف على « أبا أحد » . والأوّل أليق ، لكن ليست عاطفة لأجل الواو ، فالأليق لها أن تدخل على الجمل كـ « بل » العاطفة .

وقرأ أبو عمرو بتشديدها على أنها عاملة ، وحذف خبرها ؛ أي ولكن رسول الله هو ، أي محمد .

---

(١) سورة آل عمران ١٩٨

(٢) سورة مريم ٣٨

(٣) سورة الأحزاب ٤٠

لعلّ

تجيء لمعان :

الأول للترجى فى المحبوب، نحو: لعل الله يغفر لنا، وللإشفاق فى المكروه، نحو: لعلّ الله يغفر للعاصى . ثم وردت فى كلام من يستحيل عليه الوصفان ، لأنّ الترجى للجهل بالعاقبة وهو محال على الله وكذلك الخوف والإشفاق .

فمنهم من صرفها إلى المخاطبين . قال سيبويه فى قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[1] ، معناه : كونا على رجائكما فى ذكرها ، يعنى أنه كلام منظور فيه إلى جانب موسى وهارون عليهما السلام ؛ لأنهما لم يكونا جازمين بعدم إيمان فرعون .

وأما استعمالها فى الخوف: ففى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[2] ، فإن الساعة مخوفة فى حق المؤمنين ، بدليل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾[3] .

وفى هذا ردّ على الزمخشرى حيث أنكر أن تكون هذه الآية من هذا القبيل .

فإن قلت : مامعنى قولهم : « لعل من الله واجبة » ؟ هل ذلك من شأن المحبوب، أو مطلقا؟ وإذا كانت فى المحبوب فهل ذلك إخراج لها عن وضع الترجى إلى وضع الخبر ، فيكون مجازاً أم لا ؟

قلت : ليس إخراجاً لها عن وضعها ؛ وذلك أنهم لما رأوها من الكريم للمخاطبين فى ذلك المحبوب تعريض بالوعد ، وقد علم أن الكريم لا يعرض بأن يفعل إلا بعد التصميم عليه، فجرى الخطاب الإلهى مجرى خطاب عظماء الملوك من الخلق . وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

---

(١) سورة طه ٤٤

(٢) سورة الشورى ١٧

(٣) سورة الشورى ١٨

رَبَّكُمُ .. ﴾ الآية إلى ﴿ تَتَّقُونَ ﴾[1] ، إطماع المؤمنِ بأن يبلغ بإيمانه درجة التقوى العالية ، لأنه بالإيمان يفتتحها وبالإيمان يختتمها ، ومن ثم قال مالك وأبو حنيفة : الشرع ملزم .

وقد قال الزمخشرى : وقد جاءت على سبيل الإطماع فى مواضع من القرآن ، لكنّه كريم رحيم ، إذا أطمع فَعَل ما يُطمع لا محالة ، فجرى إطماعُه مجرى وعْده ، فلهذا قيل : إنّها من الله واجبة .

وهذا فيه رائحة الاعتزال فى الإيجاب العقلى ، وإنما يحسن الإطماع دون التحقيق ، كيلا يتكل العباد ، كقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ ﴾[2] .

وقال الراغب : « لعل » طمع وإشفاق .

وذكر بعض المفسرين أن «لعل» من الله واجبة ، وفُسّر فى كثير من المواضع بـ«لا» وقالوا : إن الطمع والإشفاق لا يصح على الله تعالى .

قال : ولعلّ ــ وإن كان طمعاً ــ فإن ذلك يقتضى فى كلامهم تارة طمع المخاطِب ، وتارة طمع المخاطَب ، وتارة طمع غيرهما ، فقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ ﴾[3] ، فذلك طمع منهم فى فرعون .

وفى قوله : ﴿ لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[4] ، إطماع موسى وهارون ، ومعناه : قولا له قولا لينا راجيَيْنِ أن يتذكر أو يخشى .

وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾[5] ، أى تظنّ بك الناس .

وعليه قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾[6] ، وقوله : ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[7] ، أى راجين الفلاح .

---

(١) سورة البقرة ٢١
(٢) سورة التحريم ٨
(٣) سورة الشعراء ٤٠
(٤) سورة طه ٤٤
(٥) سورة هود ١٢
(٦) سورة الشعراء ٣
(٧) سورة الأنفال ٤٥

كما قال : ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللهِ ﴾[1] .

وزعم بعضهم بأنها لا تكون للترجى إلا فى الممكن ، لأنه انتظار ، ولا ينتظر إلا فى ممكن ؛ فأمّا قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّى أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . . ﴾[2] الآية ، فاطلاع فرعون إلى الإله مستحيل ، وبجهله اعتقد إمكانه ، لأنه يعتقد فى الإله الجسمية والمكان ، تعالى الله عن ذلك !

* * *

الثانى: للتعليل، كقوله تعالى : ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] .

﴿ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4] ، أى كىْ .

وجعل منه ثعلب : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ﴾[5] ، أى « كى » ، حكاه عنه صاحب « المحكم » .

* * *

الثالث: الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً﴾[6].

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾[7] .

* * *

وحكى البغوى فى تفسيره عن الواقدى أن جميع ما فى القرآن من « لعلّ » فإنها للتعليل، إلا قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[8] ، فإنها للتشبيه .

وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة ، ووقع فى صحيح البخارىّ فى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أن « لعل » للتشبيه .

---

(١) سورة البقرة ٢١٨
(٢) سورة غافر ٣٦
(٣) سورة الأنعام ١٥٥
(٤) سورة النحل ١٥
(٥) سورة طه ٤٤
(٦) سورة الطلاق ١
(٧) سورة عبس ٣
(٨) سورة الشعراء ١٢٩

وذكر غيره أنها للرجاء المحض ؛ وهو بالنسبة إليهم .

واعلم أن الترجى والتمنى من باب الإنشاء ، كيف يتعلقان بالماضى !

وقد وقع خبر « ليت » ماضيا فى قوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا ﴾[1] .

وممن نص على منع وقوع الماضى خبرا للعل الرمانى .

(١) سورة مريم ٢٣

ليس

فعل معناه نفي مضمون الجملة في الحال ، إذا قلت : ليس زيد قائما ، نفيت قيامه في حالك هذه . وإن قلت : ليس زيد قائما غدا لم يستقم ، ولهذا لم يتصرف فيكون فيها مستقبلا .

هذا قول الأكثرين ؛ وبعضهم يقول : إنها لنفي مضمون الجملة عموما .

وقيل مطلقا ؛ حالا كان أو غيره . وقواه ابن الحاجب .

وردّ الأول بقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[1] ؛ وهذا نفي لكون العذاب مصروفا عنهم يوم القيامة، فهو نفي في المستقبل ؛ وعلى هذين القولين يصح « ليس إلا الله » ؛ وعلى الأول يحتاج إلى تأويل ، وهو أنه قد ينفي عن الحال بالقرينة ، نحو ليس خلق الله مثله .

وهل هو لنفي الجنس أو الوحدة ؟ لم أر مَنْ تعرض لذلك غير ابن مالك في كتاب « شواهد التوضيح » فقال في قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس صلاة أثقل على المنافقين » ففيه شاهد على استعمال « ليس » للنفي العام المستغرق به للجنس ؛ وهو مما يغفل عنه . ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[2] .

لدن

بمعنى « عند » ، وهي أخصّ منها لدلالته على ابتدائها به، نحو : أقمت عنده من لَدُنْ

---

(١) سورة هود ٨ (٢) سورة الغاشية ٦

طلوع الشمس إلى غروبها . فتوضّح نهاية الفعل وهى أبلغ من « عند » ، قال تعالى :
﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا ﴾[1] .

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾[2] .

﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[3] .

﴿ فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾[4] .

وقد سبق الفرق بينهما فى عند .

وقد تحذف نونها ، قال تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[5] .

﴿ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾[6] .

---

(١) سورة الكهف ٧٦
(٢) سورة الأنبياء ١٧
(٣) سورة النمل ٦
(٤) سورة مريم ٥
(٥) سورة يوسف ٢٥
(٦) سورة ق ٢٣

ما

تكون على اثنى عشر وجها : ستة منها أسماء ، وستة حروف .

[ما الاسمية]

فالاسمية ضربان : معرفة ونكرة ؛ لأنه إذا حَسُن موضعها « الذى » فهى معرفة ، أو « شىء » فهى نكرة ؛ وإن حَسُنا معا جاز الأمران ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ ﴾[1] و ﴿ هَٰذَا مَالَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾[2] .

والنكرة ضربان : ضرب يلزم الصفة ، وضرب لا يلزمه ، والذى يلزمه الاستفهامية والشرطية والتعجب ، وما عداها تكون منه نكرة ، فلا بد لها من صفة تلزمها .

* * *

فالأول من الستة : الأسماء الخبرية ، وهى الموصولة ، ويستوى فيها التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، كقوله تعالى : ﴿مَاعِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[3] ،وقوله ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[4] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[5] .

فإن كان المراد بها المذكر كانت للتذكير ، بمعنى « الذى » ، وإن كان المراد بها المؤنث كانت للتأنيث بمعنى « التى » .

وقال السهيلىّ : كذا يقول النحويون ، إنها بمعنى « الذى » مطلقا ،وليس كذلك ، بل بينهما تخالف فى المعنى وبعض الأحكام .

أمّا المعنى ؛ فلأن « ما » اسم مبهم فى غاية الإبهام ؛ حتى إنه يقع على المعدوم ،نحو: « إنّ الله عالم بما كان وبما لم يكن » .

(١) سورة النساء ٤٨
(٢) سورة ق ٢٣
(٣) سورة النحل ٩٦
(٤) سورة البقرة ٤
(٥) سورة النحل ٤٩

وأما فى الأحكام فإنها لا تكون نعتا لما قبلها ، ولا منعوتة ، لأن صلتها تُغنيها عن النعت ولا تثنى ولا تجمع . انتهى .

ثم لفظها مفرد ومعناها الجمع ، ويجوز مراعاتها فى الضمير.

ونحوه من مراعاة المعنى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾(١)، ثم قال : ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا ﴾(١) لما أراد الجمع .

وكذلك قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾(٢) .

ومن مراعاة اللفظ : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾(٣) .

وأصلها أن تكون لغير العاقل ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾(٤) .

وقد تقع على مَنْ يعقل عند اختلاطه بما لا يعقل تغليبا ، كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ . . . ﴾(٦) ، الآية بدليل نزول الآية بعدها مخصصة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾(٧) .

قالوا : وقد تأتى لأنواع مَنْ يعقل ، كقوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾(٨) أى الأبكار إن شئتم أو الثيّبات .

ولا تكون لأشخاص مَنْ يعقل على الصحيح ؛ لأنها اسم مبهم يقع على جميع الأجناس ، فلا يصح وقوعها إلا على جنس .

---

(١) سورة يونس ١٨
(٢) سورة النحل ٧٣
(٣) سورة البقرة ٩٣
(٤) سورة النحل ٩٦
(٥) سورة الأعراف ١٨٥
(٦) سورة الأنبياء ٩٨
(٧) سورة الأنبياء ١٠١
(٨) سورة النساء ٣

ومنهم من جوزه ، محتجا بقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] ، والمراد آدم .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[3] ، أى الله .

فأما الأولى فقيل إنها مصدرية . وقال السهيلى : بل إنها وردت فى معرض التوبيخ على امتناعه من السجود ، ولم يستحق هذا من حيث كان السجود لما يعقل ، ولكن لعلة أخرى ، وهى المعصية والتكبّر ؛ فكأنه يقول : لم عصيتنى وتكبرت على ما خلقته وشرفته ؟ فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن ؟ كان استفهاما مجردا من توبيخ ، ولتُوُهِّم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل ، أو لعلة موجودة فيه أو لذاته؛ وليس كذلك.

وأما آية السماء ؛ فلأنّ القسم تعظيم للمقسَم به من حيث ما فى خلقها من العظمة والآيات ، فثبت لهذا المقسم بالتعظيم كائنا ما كان . وفيه إيماء إلى قدرته تعالى على إيجاد هذا الأمر العظيم ، بخلاف قوله : « من » لأنه كان يكون المعنى مقصورا على ذاته دون أفعاله . ومن هذا يظهر غلط من جعلها بتأويل المصدر .

وأما ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾ فهى على بابها ؛ لأنها واقعة على معبوده عليه السلام على الإطلاق؛ لأن الكفار كانوا يظنون أنهم يعبدون الله وهم جاهلون به ، فكأنه قال : أنتم لا تعبدون معبودى .

ووجه آخر ، وهو أنهم كانوا يحسدونه ويقصِدون مخالفته كائنا من كان معبوده ، فلا يصح فى اللفظ إلا لفظة «ما» لإبهامها ومطابقتها لغرض أو لازدواج الكلام ؛ لأن معبودهم لا يعقل ، وكرر الفعل على بنية المستقبل حيث أخبر عن نفسه، إيماء إلى عِصْمة الله له عن

---

(١) سورة ص ٧٥ (٢) سورة الشمس ٥

(٣) سورة الكافرون ٣

الزيغ والتبديل ، وكره بلفظ حين أخبر عنهم بأنهم يعبدون أهواءهم ، ويتبعون شهواتهم ؛ بفرض أن يعبدوا اليوم مالا يعبدونه غدا .

وهاهنا ضابط حسن للفرق بين الخبرية والاستفهامية ، وهو أن « ما » إذا جاءت قبل « ليس » أو « لم » أو « لا » ، أو بعد « إلا » ، فإنها تكون خبرية ، كقوله : ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1] ، ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2] ، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] ، ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[4] ، وشبهه .

وكذلك إذا جاءت بعد حرف الجر ، نحو : « ربما » و « عما » و « فيما » ونظائرها ؛ إلا بعد كاف التشبيه .

وربما كانت مصدرا بعد الباء ، نحو : ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[5] ، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[6] ، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[7] .

وإن وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر ، جاز فيها الخبر والاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[8] .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[9] ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[10] .

﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ﴾[11] .

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[12] .

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾[13] .

* * *

(١) سورة المائدة ١١٦
(٢) سورة العلق ٥
(٣) سورة البقرة ١٦٩
(٤) سورة البقرة ٣٢
(٥) سورة الأعراف ١٦٢
(٦) سورة البقرة ١٠
(٧) سورة الفتح ١١
(٨) سورة البقرة ٣٣
(٩) سورة النحل ١٩
(١٠) سورة هود ٧٩
(١١) سورة يوسف ٨٩
(١٢) سورة الأحقاف ٩
(١٣) سورة الحشر ١٨

(١) الثانى : الشرطية ، ولها صدر الكلام ، ويعمل فيها ما بعدها من الفعل ، نحو : ما تصنع أصنع ، وفى التنزيل : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾(٢) .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ﴾(٣) .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(٤) .

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾(٥) .

﴿ مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾(٦) .

فـ « ما » فى هذه المواضع فى موضع نصب بوقوع الفعل عليها(١) .

* * *

الثالث : الاستفهامية ، بمعنى « أىّ شىء » ، ولها صدر الكلام كالشرط ، ويُسأل بها عن أعيان مالا يعقل وأجناسه وصفاته ، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم ، قال تعالى : ﴿ مَا هِيَ ﴾(٧) ، و ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾(٨) ، و ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى ﴾(٩) .

قال الخليل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾(١٠) : ما : استفهام ، أى أىّ شىء تدعون من دون الله ؟

ومثال مجيئها لصفات مَنْ يعلم قوله تعالى: ﴿ وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾(١١)، ونظيرها ـ لكن فى الموصولة ـ ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾(١٢) .

(١ ـ ١) ساقط من ت .

(٢) سورة البقرة ١٠٦

(٣) سورة البقرة ١٩٧

(٤) سورة البقرة ٢١٥

(٧) سورة البقرة ٧٠ ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ .

(٨) سورة البقرة ٦٩ ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ .

(٩) سورة طه ١٧

(١٠) سورة العنكبوت ٤٢

(١١) سورة الفرقان ٦٠

(١٢) سورة النساء ٣

وجوّز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضا . حكاه الراغب؛ فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[١]، فإنما هو سؤال عن الصفة؛ لأن الربّ هو المالك والملك صفة، ولهذا[٢] أجابه موسى بالصفات. ويحتمل أن «ما» سؤال عن ماهيّة الشيء، ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى، فأجابه موسى تنبيها على صواب السؤال.

ثم فيه مسألتان : إحداهما في إعرابها؛ وهو بحسب الاسم المستفهم عنه، فإن كانت هي المستفهم عنها كانت في موضع رفع بالابتداء، نحو قوله تعالى : ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾[٣] و﴿ مَا هِيَ ﴾[٤] ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٥] .

وإن كان ما بعدها هو المسئول عنه، كانت في موضع الخبر، كقوله: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[٦] وقوله : ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾ .

الثانية : في حذف ألفها؛ ويكثر في حالة الخفض، قصدوا مشاكلة اللفظ للمعنى؛ فحذفوا الألف كما أسقطوا الصلة، ولم يحذفوا في حال النصب والرفع، كيلا تبقى الكلمة على حرف واحد، فإذا اتصل بها حرف الجر أو مضاف اعتمدت عليه؛ لأن الخافض والمخفوض بمنزلة الكلمة الواحدة ، كقوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾[٧]، ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[٨]، ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[٩] ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[١٠] .

وأمّا قوله : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[١١]، فقال المفسرون: معناه بأيّ شيء غفر لي، فجعلوا «ما» استفهاما . وقال الكسائي: معناه بمغفرة ربّي، فجعلها مصدرية.

قال الهرويّ : إثبات الألف في «ما» بمعنى الاستفهام مع اتصالها بحرف الجر لغة ، وأما قوله : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾[١٢]، فقيل: إنها للاستفهام، أي بأيّ شيء

---

(١) سورة الشعراء ٢٣
(٢) وهو قوله تعالى في الآية بعدها: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ .
(٣) سورة البقرة ٦٩ — (٤) سورة البقرة ٧٠
(٥) سورة النساء ٧٩ ، وفي إيراد هذا المثال نظر . — (٦) سورة الفرقان ٦٠
(٧) سورة النازعات ٤٣ — (٨) سورة التحريم ١
(٩) سورة الحجر ٥٤ — (١٠) سورة النبأ ١
(١١) سورة يس ٢٦ ، ٢٧ — (١٢) سورة الأعراف ١٦

أغويتنى ؟ ثم ابتدأ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ . وقيل مصدرية والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف ، أى فبما أغويتنى أقسم بالله لأقعدنّ ، أى بسبب إغوائك أقسم .

ويجوز أن تكون الباء للقَسَم ، أى فأقسم بإغوائك لأقعدنّ ، وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان مكلّفا ، والتكليف من أفعال الله، لكونه تعريفا لسعادة الأبد، وكان جديرا أن يُقْسَم به .

فإن قيل : تعلقها بـ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ ﴾، قيل: يصدّ عنه لام القسم، ألا ترى أنك لا تقول : والله لا بزيد لأمرّنّ .

* * *

والرابع : التعجبية ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[1] .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[2] .

ولا ثالث لهما فى القرآن إلا فى قراءة سعيد بن جبير: ﴿مَآ أَغَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾[3] .

وتكون فى موضع رفع بالابتداء و «ما» خبر ، وهو قريب مما قبله ؛ لأن الاستفهام والتعجب بينهما تلازم ؛ لأنك إذا تعجبت من شىء فبالحرىّ أن تسأل عنه .

* * *

والخامس : نكرة بمعنى « شىء »، ويلزمها النعت ، كقولك : رأيت ما معجبا لك ، وفى التنزيل : ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[4] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾[5] أى نعم شيئا يعظكم به .

* * *

(١) سورة البقرة ١٧٥ (٢) سورة عبس ١٧

(٣) سورة الانفطار ٦ ، وانظر الكشاف ٤ : ٥٧٢

(٤) سورة البقرة ٢٦ (٥) سورة النساء ٥٨

والسادس: نكرة بغير صفة ولا صلة، كالتعجب، وموضعها نصب على التمييز، كقوله: ﴿ إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾(١)، أى فنعم شيئا هى، كما تقول: نعمَ رجلا زيد، أى نعم الرجل رجلا زيد، ثم قام «ما» مقام الشيء.

فائدة: قال بعضهم: وقد تجيء «ما» مضمرة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ ﴾(٢) أى ما ثمّ.

وقوله: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾(٣) أى ما بينى.

﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾(٤)، أى ما بينكم.

[ما الحرفية]

وأما الحرفية فستة:

الأول: النافية، ولها صدر الكلام. وقد تدخل على الأسماء والأفعال، ففى الأسماء كـ«ليس» ترفع وتنصب فى لغة أهل الحجاز، ووقع فى القرآن فى ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾(٦) على قراءة كسر التاء، وقوله:

﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾(٧).

وعلى الأفعال فلا تعمل، وتدخل على الماضى بمعنى «لم» نحو ما خرج، أى لم يخرج.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(٨).

وعلى المضارع لنفى الحال، بمعنى «لا»، نحو ما يخرج زيد، أى لا يخرج، نفيتَ أن يكون منه خروج فى الحال.

---

(١) سورة البقرة ٢٧١
(٢) سورة الإنسان ٢٠
(٣) سورة الكهف ٧٨
(٤) سورة الأنعام ٩٤
(٥) سورة يوسف ٣١
(٦) سورة المجادلة ٢
(٧) سورة الحاقة ٤٧
(٨) سورة البقرة ١٦

ومنهم من يسميه جَحْدا ، وأنكره بعضهم . وسبق الفرق بين الجَحْد والنفى فى الكلام على قاعدة المنفىّ .

وقال ابن الحاجب : هى لنفى الحال فى اللغتين الحجازية والتميمية ، نحو : مازيد منطلقا ومنطلق ؛ ولهذا جعلها سيبويه فى النفى جوابا لـ « قد » فى الإثبات ؛ ولا ريب أن «قد» للتقريب من الحال ، فلذلك جعل جوابا لها فى النفى .

قال : ويجوز أن تستعمل للنفى فى الماضى والمستقبل عند قيام القرائن، قال تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾(١) ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(٢) .

وفى الماضى ، نحو : ﴿ مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾(٣) ، فإنه ورد للتعليل، على معنى كراهة أن يقولوا عند إقامة الحجة عليهم : ما جاءنا فى الدنيا من بشير ولا نذير ؛ وهذا للماضى المحقق ، وأمثال ذلك كثير .

قال : ثم إن سيبويه جعل فيها معنى التوكيد ؛ لأنها جرت موضع « قد » فى النفى ، فكما أن « قد » فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جعل جوابا لها .

وهنا ضابط ؛ وهو إذا مأأتت بعدها « إلا » فى القرآن ؛ فهى من نفى « إلا فى ثلاثة عشر موضعا » :

أولها : فى البقرة قوله تعالى : ﴿ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا ﴾(٤) .

الثانى : ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ﴾(٥) .

الثالث : فى النساء قوله : ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ ﴾(٦) .

الرابع : ﴿ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة الدخان ٣٥
(٢) سورة الأنعام ٢٩
(٣) سورة المائدة ١٩
(٤) سورة البقرة ٢٢٩
(٥) سورة البقرة ٢٣٧
(٦) سورة النساء ١٩
(٧) سورة النساء ٢٢

الخامس: فى المائدة ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾(١) .

السادس : فى الأنعام ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا ﴾(٢) .

السابع : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا ﴾(٣) .

الثامن والتاسع : فى هود ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴾(٤) ، فى موضعين، أحدهما : فى ذكر أهل النار ، والثانى : فى ذكر أهل الجنة .

العاشر والحادى عشر : فى يوسف: ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٥)، وفيها : ﴿ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا ﴾(٥) .

الثانى عشر : فى الكهف ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾(٦) ، على خلاف فيها .

الثالث عشر : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٧) حيث كان .

* * *

والثانى : المصدرية ، وهى قسمان : وقتية وغير وقتية .

فالوقتية هى التى تقدر بمصدر نائب عن الظرف الزمان ، كقوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾(٨) ، وقوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾(٩) ، و ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾(١٠) ، أى مدة دوام السموات والأرض ، ووقت دوام قيامكم وإحرامكم ، وتسمى ظرفية أيضا .

وغير الوقتية هى التى تقدر مع الفعل ، نحو بلغنى ما صنعت ، أى صنعك ، قال تعالى ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(١١) ، أى بتكذيبهم ، أو بكذبهم على القرآن .

---

(١) سورة المائدة ٣
(٢) سورة الأنعام ٨٠
(٣) سورة الأنعام ١١٩
(٤) سورة هود ١٠٧ ، ١٠٨
(٥) سورة يوسف ٤٧ ، ٤٨
(٦) سورة الكهف ١٦
(٧) سورة الحجر ٨٥
(٨) سورة هود ١٠٧
(٩) سورة آل عمران ٧٥
(١٠) سورة المائدة ٩٦
(١١) سورة التوبة ٧٧

وقوله : ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾[١] وقوله: ﴿ كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾[٢] و ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾[٣] و ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا ﴾[٢] أى كإيمان الناس، وكإرسال الرسل ، وبئس اشتراؤهم .

وكلّما أتت بعد كاف التشبيه أو « بئس » فهى مصدرية على خلاف فيه ، وصاحب الكتاب يجعلها حرفا، والأخفش يجعلها اسما. وعلى كلا القولين لا يعود عليها من صلتها شىء .

* * *

والثالث : الكافّة للعامل عن عمله ، وهو ما يقع بين ناصب ومنصوب ، أو جار ومجرور ، أو رافع ومرفوع .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[٣] ، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٤] ، ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾[٥].

والثانى : كقوله : ربما رجل أكرمته ، وقوله : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٦].

والثالث : كقولك : قلما تقولين ، وطالما تشتكين .

* * *

والرابع : المسلطة ، وهى التى تجعل اللفظ متسلطا بالعمل بعد أن لم يكن عاملا ؛ نحو: « ما » فى « إذما » و « حيثما » ؛ لأنهما لا يعملان بمجردهما فى الشرط ، ويعملان عند دخولها عليهما

* * *

والخامس : أن تكون مغيِّرة للحرف عن حاله ، كقوله فى « لو » لوما ، غيّرتها إلى معنى « هلا » ، قال تعالى : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا ﴾[٦] .

* * *

---

(١) سورة التوبة ١١٨
(٢) سورة البقرة ١٣ ، ١٥١ ، ٩٠
(٣) سورة النساء ١٧١
(٤) سورة فاطر ٢٨
(٥) سورة آل عمران ١٧٨
(٦) سورة الحجر ٢ ، ٧

والسادس : المؤكد للفظ ويسميه بعضهم صلة ، وبعضهم زائدة ، والأول أوْلَى ، لأنه ليس فى القرآن حرف إلا وله معنى . ويتّصل بهـا الاسم والفعل ، وتقع أبدا حشوا أو آخرا ، ولا تقع ابتداء، وإذا وقعت حشوا فلا تقع إلا بين الشيئين المتلازمين؛ وهو مما يؤكد زيادتها لإقحامها بين ما هو كالشيء الواحد .

نحو : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾[1] .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[2] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[3] .

﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[4] .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[5] .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾[6] .

﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[7] .

﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾[8] .

﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾[9] .

وجعل منه سيبويه فى باب الحروف الخمسة قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[10] ، قال : فجعلها زائدة[11] .

وأجاز الفارسيّ زيادة اللام ، والمعنى : إن كل نفس ما عليها حافظ .

---

(١) سورة البقرة ١٤٨

(٢) سورة النساء ٧٨

(٣) سورة البقرة ١١٥

(٤) سورة الإسراء ١١٠

(٥) سورة آل عمران ١٥٩

(٦) سورة النساء ١٥٥

(٧) سورة المؤمنون ٤٠

(٨) سورة القصص ٢٨

(٩) سورة نوح ٢٥

(١٠) سورة الطارق ٤

(١١) الكتاب ١:٢٨٣

ثم قال سيبويه : وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ ﴾[١] ، إنما هو : لجميع[٢] ، و « ما » لغو .

قال الصّفّار : والذى دعاه إلى أن يجعلها لغوا ولم يجعلها موصولا ؛ لأن بعدها مفرد ، فيكون من باب : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى أَحْسَنَ ﴾[٣] .

فإن قيل : فهلّا جعلها فى ﴿ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ موصولة لأن بعدها الظرف ؟

قلنا : منع من ذلك وقوع «ما» على آحاد من يعقل، ألا ترى كلّ نفس! وهذا يمنع فى الآيتين من الصلة .

انتهى . وكان ينبغى أن يتجنب عبارة اللغو .

---

(١) سورة يس ٣٢
(٢) الكتاب ١ : ٢٨٣
(٣) سورة الأنعام ١٥٤

مَنْ

لا تكون إلا اسما لوقوعها فاعلة ومفعولة ومبتدأة ، ولها أربعة أقسام متفق عليها : الموصولة ، والاستفهامية ، والشرطية ، والنكرة الموصوفة .

* * *

فالموصولة كقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(١) .
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٢) .

* * *

والاستفهامية ، وهى التى أشربت معنى النفى ،ومنه:﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٣)
و ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾(٤) .

ولا يتقيد جواز ذلك بأن يتقدمها الواو ، خلافا لابن مالك فى « التسهيل » ،بدليل ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾(٥) .

* * *

والشرطية ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾(٦) .
و ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(٧) .

* * *

والنكرة الموصوفة ، كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴾(٨) ، أى فريق يقول .

---

(١) سورة الأنبياء ١٩
(٢) سورة الرعد ١٥
(٣) سورة آل عمران ١٣٥
(٤) سورة الحجر ٥٦
(٥) سورة البقرة ٢٥٥
(٦) سورة فصلت ٤٦
(٧) سورة الأنعام ١٦٠
(٨) سورة البقرة ٨

وقيل : موصولة ، وضعّفه أبو البقاء بأن « الذى » يتناول أقواما بأعيانهم ، والمعنى هاهنا على الإبهام .

وتوسط الزمخشرى فقال : إن كانت « أل » للجنس فنكرة ، أو للعهد فموصولة ؛ وكأنه قصد مناسبة الجنس للجنس ، والعهد للعهد ، لكنه ليس بلازم ، بل يجوز أن تكون للجنس ومَنْ موصولة ، وللعهد ومَنْ نكرة .

ثم الموصولة قد توصف بالمفرد وبالجملة ، وفى التنزيل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1] ؛ فى أحد الوجهين ، أى كل شخص مستقر عليها .

قالوا : وأصلها أن تكون لمن يعقل ، وإن استعملت فى غيره فعلى المجاز .

هذه عبارة القدماء ، وعدل جماعة إلى قولهم : « مَنْ يعلم » لإطلاقها على البارى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾[2] ، وهو سبحانه يوصف بالعلم لا بالعقل ، لعدم الإذن فيه .

وضيق سيبويه العبارة فقال : هى للأناسىّ .

فأورد عليه أنها تكون للملك ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوَاتِ ﴾[3] فكان حقه أن يأتى بلفظ يعم الجميع ، بأن يقول « لأولى العلم » .

وأجيب بأن هذا يقلّ فيها ، فاقتصر على الأناسىّ للغلبة .

وإذا أطلقت على ما لا يعقل ؛ فإما لأنه عومل معاملة مَنْ يعقل ، وإما لاختلاطه به .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[4] ، والذى لا يخلق المراد به الأصنام ؛ لأن الخطاب مع العرب لكنه لمّا عوملت بالعبادة عبر عنها بـ« مَنْ » بالنسبة إلى اعتقاد المخاطب . ويجوز أن يكون المراد بـ« من » لا يخلق العموم الشامل لكل ما عُبِد من دون

---

(١) سورة الرحمن ٢٦
(٢) سورة الرعد ١٦
(٣) سورة الحج ١٨
(٤) سورة النحل ١٧

الله من العقلين وغيرهم ، فيكون مجيء « مَنْ » هنا للتغليب الذى اقتضاه الاختلاط فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاء فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ . . ﴾[1] الآية ، فعبّر بها عمّن يمشى على بطنه ، وهم الحيات ، وعمّن يمشى على أربع وهم البهائم ، لاختلاطها مع مَنْ يعقل فى صدر الآية ؛ لأن عموم الآية يشمل العقلاء وغيرهم ، فغلّب على الجميع حكمَ العاقل .

---

(١) سورة النور ٤٥

فـائدة

قيل : إنما كان « من » لمن يعقل و « ما » لما لا يعقل ؛ لأن مواضع « ما » في الكلام أكثر من مواضع « مَنْ » ، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل ، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير ، وأعطوا ما قلّت مواضعه للقليل ، وهو من يعقل ، للمشاكلة والمجانسة .

تنبيه

ذكر الإبياري في شرح « البرهان » أن اختصاص « مَنْ » بالعاقل و « ما » بغيره مخصوص بالموصولتين ، أما الشرطية فليست من هذا القبيل ؛ لأن الشرط يستدعي الفعلَ ولا يدخل على الأسماء .

تنبيه

وقد سبق في قاعدة مراعاة اللفظ والمعنى بيان حُكم « مَنْ » في ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾[1] ، فجعل اسم « كان » مفردا حملا على لفظ « مَنْ » ، وخبرها جمعا حملا على معناها ، ولو حمل الاسم والخبر على اللفظ معا لقال « إلا من كان يهوديا أو نصرانيا » ؛ ولو حملهما على معناها لقال : « إلّا من كانوا هودا أو نصارى » فصارت الآية الشريفة بمنزلة قولك : لا يدخل الدار إلا مَنْ كان عاقلين ، وهذه المسألة منعها ابن السراج وغيره ، وقالوا : لا يجوز أن يحمل الاسم والخبر معا على اللفظ ، فيقال : « إلا من كان عاقلا » ، أو يحملا معا على المعنى فيقال : « إلا من كانوا عاقلين » ، وقد جاء القرآن بخلاف قولهم .

---

(١) سورة البقرة ١١١

مِنْ

حرف يأتى لبضعة عشر معنى :

الأول : ابتداء الغاية، إذا كان فى مقابلتها « إلى » التى للانتهاء.

وذلك إماّ فى اللفظ، نحو سرت من البصرة إلى الكوفة ، وقوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ﴾(١) .

وإمّا فى المعنى ؛ نحو زيد أفضل من عمرو؛ لأن معناه زيادة الفضل على عمرو، وانتهاؤه فى الزيادة إلى زيد .

ويكون فى المكان اتفاقا ، نحو : من المسجد الحرام .

وما نزّل منزلته ، نحو من فلان، ومنه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾(٢) ، وقولك: ضربت من الصغير إلى الكبير، إذا أردت البداءة من الصغير والنهاية بالكبير .

وفى الزمان عند الكوفيين، كقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾(٣). فإن « قبل » و« بعد» ظرفا زمان.

وتأوله مخالفوهم على حذف مضاف، أى من تأسيس أول يوم، فـ « مِنْ » داخلة فى التقدير على التأسيس، وهو مصدر ، وأما « قبل » و« بعد » فليستا ظرفين فى الأصل، وإنما هما صفتان .

* * *

الثانى : الغاية ، وهى التى تدخل على فعل هو محلّ لابتداء الغاية وانتهائه معا ، نحو:

---

(١) سورة الإسراء ١ (٢) سورة النمل ٣٠

(٣) سورة الروم ٤

أخذتُ من التابوت » فالتابوت محل ابتداء الأخذ وانتهائه . وكذلك أخذته من زيد ، فـ « زيد » محل لابتداء الأخذ وانتهائه كذلك .

قاله الصفار . وغاير قبله وبين ما قبله ، قال : وزعم بعضهم أنها تكون لانتهاء الغاية ، نحو قولك : رأيت الهلال من دارى من خَلَل السحاب ، فابتداء الرؤية وقع من الدار، وانتهاؤها من خَلَل السحاب، وكذلك: شممت الريحان من دارى من الطريق، فابتداء الشمّ من الدار وانتهاؤه إلى الطريق .

قال : وهذا لاحجة فيه ، بل هما لابتداء الغاية ، فالأولى لابتداء الغاية فى حق الفاعل، والثانية لابتداء الغاية فى حق المفعول ، ونظيره كتاب أبى عبيدة بن الجراح إلى عمر بالشام، وأبو عبيدة لم يكن وقت كتبه إلى عمر بالشام، بل الذى كان فى الشام عمر، فقوله « بالشام » ظرف متعلق بالنسبة إلى المفعول .

قال : وزعم ابن الطراوة أنها إذا كانت لابتداء الغاية فى الزمان لزمها إلى الانتهاء فأجاز: سرت من يوم الجمعة إلى يوم الأحد؛ لأنكَ لو لم تذكر لم يُدْرَ إلى أين انتهى السير.

قال الصفار : وهذا الذى قاله غير محفوظ من كلامهم، وإذا أرادت العرب هذا أتت فيه بمذ ومنذ ، ويكون الانتهاء إلى زمن الإخبار .

***

الثالث : التبعيض ، ولها علامتان : أن يقع البعض موقعها وأنّ يعم ما قبلها ما بعدها إذا حذفت كقوله تعالى: ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(١)، ولهذا فى مصحف ابن مسعود: « بعض ماتحبون » .

وقوله : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٩٢ (٢) سورة البقرة ٢٥٣

وقوله : ﴿ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾(١) ؛ فإنه كان نزل ببعض ذريته .

* * *

الرابع : بيان الجنس . وقيل : إنها لا تنفكّ عنــه مطلقا ، حكاه التراس ؛ ولها علامتان : أن يصح وضع « الذى » موضعها ، وأن يصح وقوعها صفة لما قبلها .

وقيل : هى أن تذكر شيئا تحته أجناس، والمراد أحدها، فإذا أردت واحدا منها بينته، كقوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾(٢) ، وغيرها ، فلما اقتصر عليه لم يعلم المراد ، فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من الجنس . وقرنت بـ « مِنْ » للبيان ؛ فلذلك قيل : إنها للجنس ، وأما اجتناب غيرها فستفاد من دليل آخر ، والتقدير : واجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان ، أى اجتنبوا الرجس الوثنىّ ، فهى راجعة إلى معنى الصفة .

وهى بعكس التى للتبعيض ؛ فإنّ تلك يكون ما قبلها بعضا مما بعدها . فإذا قلت : أخذت درهما من الدراهم كان الدرهم بعض الدراهم . وهذه ما بعدها بعضٌ مما قبلها ، ألا ترى أن الأوثان بعض الرجس .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(٣) ، أى الذين هم أنتم ؛ لأنّ الخطاب للمؤمنين ، فلهذا لم يتصور فيها التبعيض .

وقد اجتمعت المعانى الثلاثة فى قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾(٤) ، فـ « مِن » الأولى لابتداء الغاية ، أى ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ؛ أى بعض جبال منها ، والثالثة لبيان الجنس ؛ لأنّ الجبال تكون بَرَدا وغير بَرَد .

ونظيرها : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٥) ، فالأولى للبيان ؛ لأن الكافرين نوعان : كتابيون

(١) سورة إبراهيم ٣٧
(٢) سورة الحج ٣٠
(٣) سورة النور ٥٥
(٤) سورة النور ٤٣
(٥) سورة البقرة ١٠٥

ومشركون ، والثانية : مزيدة لدخولها على نكرة منفية ، والثالثة : لابتداء الغاية .

وقوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾(١) ؛ فالأولى: لابتداء الغاية ، والثانية: لبيان الجنس ، أو زائدة ، بدليل قوله: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ﴾(٢) والثالثة : لبيان الجنس أو التبعيض .

وقد أنكر قوم من متأخرى المغاربة بيان الجنس، وقالوا : هى فى الآية الشريفة لابتداء الغاية ؛ لأن الرجس جامعٌ للأوثان وغيرها . فإذا قيل «من الأوثان». فمعناه الابتداء من هذا الصنف ، لأن الرجس ليس هو ذاتها ، و «من» فى هذه الآية كهى فى: أخذته من التابوت .

وقيل : للتبعيض ؛ لأن الرجس منها هو عبادتها . واختاره ابن أبى الربيع ، ويؤيده قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ .

وأما قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ فهى للتبعيض ، ويقدر الخطاب عاما للمؤمنين وغيرهم .

وأما قوله : ﴿ من جبال ﴾ فهو بَدل من السماء ، لأن السماء مشتملة على جبال البرد، فكأنه قال « وينزل من برد فى السماء » ، وهو من قبيل ما أعيد فيه العامل مع البدل ، كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾(٣) .

وأما قوله : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ ﴾(١) ، فنى موضع الصفة ، فهى للتبعيض .

وكثيرا ما تقع بعد ما ومهما ، لإفراط إبهامهما ، نحو : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾(٤) ، ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾(٥) ، ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ ﴾(٦) ، وهى ومخفوضها فى موضع نصب على الحال .

---

(١) سورة الكهف ٣١
(٢) سورة الإنسان ٢١
(٣) سورة الأعراف ٧٥
(٤) سورة فاطر ٢
(٥) سورة البقرة ١٠٦
(٦) سورة الأعراف ١٣٢

وقد تقع بعد غيرها : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾(١) الشاهد فى غير الأولى ، فإن تلك للابتداء . وقيل زائدة .

***

الخامس : التعليل ، ويقدر بلام ، نحو : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾(٢) ، وقوله : ﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾(٣) أى من أجل الجوع .

وردّه الأبذىّ بأن الذى فهم منه العلة إنما هو لأجل المراد ، وإنما هى للابتداء ، أى ابتداء الإطعام من أجل الجوع .

***

السادس : البدل من حيث العوض عنه ، فهو كالسبب فى حصول العوَض؛ فكأنه منه أتى ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾(٤) ، لأنّ الملائكة لا تكون من الإنس .

وقوله : ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾(٥)، أى بدلا من الآخرة، ومحلّها مع مجروزها النصب على الحال .

وقوله : ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾(٦)، أى بدل طاعة الله أو رحمة الله .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ﴾(٧)، أى بدل الرحمن.

***

(١) سورة الكهف ٣١
(٢) سورة نوح ٢٥
(٣) سورة قريش ٤
(٤) سورة الزخرف ٦٠
(٥) سورة التوبة ٣٨
(٦) سورة آل عمران ١١٦
(٧) سورة الأنبياء ٤٢

السابع : بمعنى «على» نحو: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ ﴾[1] أى على القوم. وقيل: على التضمين ، أى منعناه منهم بالنصر .

* * *

الثامن : بمعنى « عن » ، نحو : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[2] ، ﴿ يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ﴾[3] ، وقيل : هى للابتداء فيهما .

وقوله : ﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾[4] ؛ فقد أشار سيبويه إلى أنّ « مِنْ » هنا تؤدى معنى « عن » .

وقيل : هى بمنزلة اللام للعلة ، أى لأجل الجوع . وليس بشىء ، فإن الذى فهم منه العلة إنما هو « أجل » لا « من » .

واختار الصفّار أنها لابتداء الغاية .

* * *

التاسع : بمعنى الباء ، نحو : ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾[5] ؛ حكاه البغوىّ عن يونس . وقيل إنما قال : ﴿ من طرف ﴾ لأنه لا يصحّ عنه ، وإنما نظره ببعضها .

وجعل منه ابن أبان : ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[6] ، أى بأمر الله .

وقوله : ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ ﴾[6] .

* * *

العاشر : بمعنى « فى » نحو: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾[8] .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٧
(٢) سورة الزمر ٢٢
(٣) سورة الأنبياء ٩٧
(٤) سورة قريش ٤
(٥) سورة الشورى ٤٥
(٦) سورة الرعد ١١
(٧) سورة القدر ٤ ، ٥
(٨) سورة الجمعة ٩

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾(١) .

وقيل : لبيان الجنس .

* * *

الحادى عشر : بمعنى « عند » نحو : ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢) : قال أبو عبيد : وقيل إنها للبدل .

* * *

الثانى عشر : بمعنى الفصل ، وهى الداخلة بين متضادين ، نحو : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾(٣) ، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٤) .

* * *

الثالث عشر : الزائدة ، ولها شرطان عند البصريين : أن تدخل على نكرة ، وأن يكون الكلام نفيا ، نحو ما كان من رجل . أو نهيا ، نحو لا تضرب من رجل ، أو استفهاما ، نحو هل جاءك من رجل ؟

وأجرى بعضُهم الشرطَ مجرى النفى ، نحو : إن قام رجل قام عمرو .

وقال الصفّار : الصحيح المنع .

ولها فى النفى معنيان :

أحدهما : أن تكون للتنصيص على العموم ، وهى الداخلة على مالا يفيد العموم ، نحو : ما جاءنى من رجل ؛ فإنه قبل دخولها يحتمل نفى الجنس ونفى الوحدة ؛ فإذا دخلت « مِنْ » تعيّن نفى الجنس ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾(٥) ،

---

(١) سورة فاطر ٤٠
(٢) سورة آل عمران ١٠
(٣) سورة البقرة ٢٢٠
(٤) سورة آل عمران ١٧٩
(٥) سورة المائدة ٧٣

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾(١) .

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾(٢) .

وثانيهما : لتوكيد العموم ، وهى الداخلة على الصيغة المستعملة فى العموم ،نحوماجاءنى من أحد ، أو مِنْ ديّار ؛ لأنك لو أسقطت « مِنْ » لبقى العموم على حاله ؛ لأن«أحداً» لا يستعمل إلا للعموم فى النفى .

وما ذكرناه من تغاير المعنيين خلافُ ما نص عليه سيبويه من تساويهما .

قال الصفار : وهو الصحيح عندى ؛ وأنها مؤكدة فى الموضعين ، فإنها لم تدخل على: « جاءنى رجل » إلا وهو يراد به « ما جاءنى أحد » لأنّه قد ثبت فيها تأكيد الاستغراق مع « أحد » ، ولم يثبت لها الاستغراق ، فيحمل هذا عليه ، فلهذا كان مذْهب سيبويه أولى .

قال : وأشار إلى أنّ المؤكدة ترجع لمعنى التبعيض ، فإذا قلت : « ما جاءنى من رجل » فكأنه قال : « ما أتانى بعض هذا الجنس ولا كله » ، وكذا « ما أتانى من أحد » ، أى بعض من الأحدين . انتهى .

وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : نصّ سيبويه على أنها نصّ فى العموم ، قال : فإذا قلت : ما أتانى رجل ، فإنه يحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن تريد ما أتاك من رجل فى قوته ونفاده ، بل أتاك الضعفاء .

أحدها : أن تريد أنه ما أتاك رجل واحد ، بل أكثر من واحد .

والثالث : أن تريد ما أتاك رجل واحد ، ولا أكثر من ذلك .

---

(١) سورة الأنعام ٥٩ (٢) سورة الملك ٣

فإن قلت : ما أتانى من رجل ، كان نفيا لذلك كلّه ، قال : هذا معنى كلامه .

والحاصل أن « من » فى سياق النفى تعمّ وتستغرق .

ويلتحق بالنفى الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾[1] .

وجوز الأخفش زيادتها فى الإثبات ، كقوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾[2] ، والمراد الجميع ، بدليل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾[3] ، فوجب حملُ الأول على الزيادة دفعا للتعارض .

وقدْ نوزع فى ذلك ، بأنّه إنما يقع التعارض لو كانتا فى حقّ قَبيلٍ واحد ، وليس كذلك ، فإن الآية التى فيها « مِنْ » لقوم نوح ، والآخرى لهذه الأمة .

فإن قيل : فإذا غُفِر للبعض كان البعض الآخر معاقبا عليه ، فلا يحصل كمال الترغيب فى الإيمان ، إلا بغفران الجميع .

وأيضا : فكيف يحسن التبعيض فيها ، مع أن الإسلام يجبّ ما قبله ، فيصحّ قول الأخفش ، فالجواب من وجوه :

أحدها : أن المراد بغفران بعض الذنوب فى الدنيا ، لأن إغراق قوم نوح عذاب لهم ، وذلك إنما كان فى الدنيا مضافا إلى عذاب الآخرة ، فلو آمنوا لغفر لهم من الذنوب مااستحقوا به الإغراق فى الدنيا ، وأما غفران الذنب بالإيمان فى الآخرة فمعلوم .

والثانى : أن الكافر إذا آمن فقد بقىَ عليه ذنوب وهى مظالم العباد ، فثبت التبعيض بالنسبة للكافر .

الثالث : أن قوله : ﴿ ذُنُوبِكُمْ ﴾ يشمل الماضية والمستقبلة ، فإنّ الإضافة تفيد

---

(١) سورة الملك ٣

(٢) سورة نوح ٤

(٣) سورة الزمر ٥٣

العموم ، فقيل « من » لتفيد أن المغفورَ الماضى ، وعدم إطماعهم فى غفران المستقبل بمجرد الإسلام حتى يجتنبوا المنهيات .

وقيل : إنها لابتداء الغاية وهو حَسَن ، لقوله : ﴿ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(1) ، وسيبويه يقدّر فى نحو ذلك مفعولا محذوفا ، أى يغفر لكم بعضاً من ذنوبكم محافظة على معنى التبعيض .

وقيل : بل الحذف للتفخيم ، والتقدير : « يغفر لكم من ذنوبكم مالو كشف لكم عن كنهه لا ستعظمتم ذلك » ، والشىء إذا أرادوا تفخيمه أبهموه ، كقوله : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾(2) ، أى أمر عظيم .

وقال الصّفّار : « من » للتبعيض على بابها ، وذلك أن « غفر » تتعدى لمفعولين :

أحدهما : باللام ، فالأخفش يجعل المفعول المصرح « الذنوب » وهو المفعول الثانى ، فتكون « من » زائدة ، ونحن نجعل المفعول محذوفا ، وقامت « من ذنوبكم » مقامه، أى جملة من ذنوبكم ، وذلك أن المغفور لهم بالإسلام ماا كتسبوه فى حال الكفر لاحال الإسلام ، والذى اكتسبوه فى حال الكفر بعض ذنوبهم لا جميعها .

وأما قوله فى آية الصدقة : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ فللتبعيض ، لأن أخذ الصدقة لا يمحو كل السيئات .

ومما احتجّ به الأخفش أيضا قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(3) ، أى أبصارهم ، وقوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾(4) ، أى كلّ الثمرات .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(5) .

---

(1) سورة الأنفال ٣٨ — (2) سورة طه ٧٨

(3) سورة النور ٣٠ — (4) سورة محمد ١٥

(5) سورة الأنعام ٣٤

وهذا ضعيف أيضا ، بل هى فى الأول للتبعيض ، لأن النظر قد يكون عن تعمّد وغير تعمد ، والنهى إنما يقع على نظر العمْد فقط ، ولهذا عطف عليه قوله : ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾(١) ، من غير إعادة « من » ، لأنّ حفظ الفروج واجب مطلقا ، ولأنه يمكن التحرّز منه ، ولا يمكن فى النظر لجواز وقوعه اتفاقا ، وقد يباح للخِطْبة وللتعليم ونحوهما .

وأما الثانية ؛ فإنّ الله وَعَد أهل الجنة أن يكون لهم فيها كلّ نوع من أجناس الثمار مقدارُ ما يحتاجون إليه وزيادة ، ولم يجعل جميع الذى خلقه الله من الثمار عندهم ؛ بل عند كلّ منهم من الثمرات ما يكفيه ، وزيادة على كفايته ، وليس المعنى على أن جميع الجنس عندهم حتى لم تبق معه بقية ؛ لأنّ فى ذلك وصف ما عند الله بالتناهى .

وأما الثالثة : فللتبعيض ، بدليل قوله : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾(٢) .

* * *

لطيفة : إنها حيث وقعت فى خطاب المؤمنين لم تذكر ، كقوله فى سورة الصّف : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ﴾(٣) إلى قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٣) .

وقوله فى سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾(٤) إلى قوله : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٤) .

وقال فى خطاب الكفار فى سورة نوح : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٥) .

وفى سورة الأحقاف : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ

---

(١) سورة النور ٣٠
(٢) سورة النساء ١٦٤
(٣) سورة الصف ١٠ ، ١٢
(٤) سورة الأحزاب ٧٠ ، ٧١
(٥) سورة نوح ٤

ذُنُوبِكُمْ ﴾[1] ، وما ذاك إلا للتفرقة بين الخطابين ، لئلا يسوّى بين الفريقين فى الوعد ، ولهذا إنه فى سورة نوح والأحقاف وَعَدَهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان، لا مطلقا، وهو غفران ما بينه وبينهم ، لا مظالم العباد .

***

الرابع عشر : الملابسة ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾[2] ، أى يلابس بعضهم بعضا ويواليه ، وليس المعنى على النسل والولادة ؛ لأنه قد يكون من نسل المنافق مؤمن وعكسه .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[3] .

وكذا قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾[4] .

كما يتبرأ الكفّار ، كقوله : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا ﴾[5] .

فأمّا قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾[6] ، أى بعضكم يلابس بعضا ويواليه فى ظاهر الحكم ، من حيث يشملكم الإسلام .

---

(١) سورة الأحقاف ٣١

(٢) سورة التوبة ٦٧

(٣) سورة التوبة ٧١

(٤) سورة آل عمران ٣٤

(٥) سورة البقرة ١٦٦

(٦) سورة النساء ٢٥

مع

للمصاحبة بين أمرين لا يقع بينهما مصاحبة واشتراك إلا فى حُكم يجمع بينهما ، ولذلك لا تكون الواو التى بمعنى « مع » إلا بعد فعل لفظا أو تقديرا ، لتصح المعيّة .

وكمالُ معنى المعية الاجتماعُ فى الأمر الذى به الاشتراك دون زمانه .

فالأول يكثر فى أفعال الجوارح والعلاج ، نحو : دخلت مع زيد ، وانطلقت مع عمرو ، وقمنا معا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾(١) ،﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً ﴾(٢) ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ﴾(٣) ، ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾(٤) .

والثانى يكثر فى الأفعال المعنوية ، نحو آمنت مع المؤمنين وتبت مع التائبين ، وفهمت المسألة مع مَنْ فهمها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(٦) . ﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾(٧)

﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٨) .

﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾(٩) .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾(١٠) ، أى بالعناية والحفظ .

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾(١١) ، يعنى الذين شاركوه فى الإيمان ، وهو الذى وقع فيه الاجتماع والاشتراك من الأحوال والمذاهب .

(١) سورة يوسف ٣٦
(٢) سورة يوسف ١٢
(٣) سورة يوسف ٦٣
(٤) سورة يوسف ٦٦
(٥) سورة آل عمران ٤٣
(٦) سورة التوبة ١١٩
(٧) سورة التحريم ١٠
(٨) سورة طه ٤٦
(٩) سورة الشعراء ٦٢
(١٠) سورة التوبة ٤٠
(١١) سورة التحريم ٨

وقد ذكروا الاحتمالين المذكورين فى قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾(١) ، قيل : إنه من باب المعية فى الاشتراك ، فتمامه الاجتماع فى الزمان على حذف مضاف ؛ إما أن يكون تقديره أنزل مع نبوته ، وإما أن يكون التقدير مع اتباعه .

وقيل : لأنه فيما وقع به الاشتراك دون الزمان ، وتقديره : واتبعوا معه النور .

وقد تكون المصاحبة فى الاشتراك بين المفعول وبين المضاف ، كقوله : شممت طيباً مع زيد .

ويجوز أن يكون منه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً ﴾(٢) ، نقل ذلك أبو الفتح القشيرى فى شرح « الإلمام » عن بعضهم ، ثم قال : وقد ورد فى الشعر استعمال « مع » فى معنًى ينبغى أن يتأمّل ليلحق بأحد الأقسام ، وهو قوله :

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِىِّ قَامَةً ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نجادِ

* * *

وقال الراغب : مع تقتضى الاجتماع ، إمّا فى المكان ، نحو : هما معا فى الدار ، أو فى الزمان ، نحو : ولدا معا ، أو فى المعنى كالمتضايفيْن ؛ نحو : الأخ والأب ، فإن أحدهما صار أخا للآخر فى حالِ ما صار الآخر أخاه ، وإمّا فى الشرف والرتبة ، نحو : هما معا فى العلوّ ، وتقتضى « مع » النصرة والمضاف إليه لفظ « مع » هو المنصور ، نحو : قوله تعالى : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(٣) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾(٤) .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾(٥) ، ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٦) ، ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾(٧) . انتهى .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ — (٢) سورة الكهف ٦٧
(٣) سورة التوبة ٤٠ — (٤) سورة النحل ١٢٨
(٥) سورة الحديد ٤ — (٦) سورة البقرة ١٩٤
(٧) سورة الشعراء ٦١

وقال ابن مالك : إن « معا » إذا أفردت تساوى « جميعا » معنى .

ورد عليه الشيخ أبو حيان بأن بينهما فرقا . قال ثعلب : إذا قلت : قام زيد وعمرو جميعا احتمل أن يكون القيام فى وقتين ، وأن يكون فى واحد ، وإذا قلت : قام زيد وعمرو معاً ؛ فلا يكون إلا فى وقت واحد .

والتحقيق ما سبق .

ويكون بمعنى النصرة والمعونة والحضور ، كقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ ؛ أى ناصركما.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ (١) أى معينهم .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ (٢) ، أى عالم بكم ومشاهدكم ؛ فكأنه حاضر معهم ؛ وهو ظرف زمان عند الأكثرين ، إذا قلت : كان زيد مع عمرو ، أى زمن مجىء عمرو ، ثم حذف الزمن والمجىء وقامت « مع » مقامهما .

---

(١) سورة النحل ١٢٨

(٢) سورة الحديد ٤

النون

للتأكيد ، وهى إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين ، أو شديدة فمنزلة تأكيده ثلاثا ، وأما قوله تعالى : ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ ﴾(١) ، من حيث أكدت السجن بالشدة دون ما بعده إعظاما .

ولم يقع التأكيد بالخفيفة فى القرآن إلا فى موضعين : هذا ، وقوله : ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾(٢) .

وفى القواعد أنها إذا دخلت على فعل الجماعة الذكور كان ماقبلها مضموما ، نحو : يارجالُ اضربُنّ زيدا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾(٣) ، فأما قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٤) ، فإنما جاء قبلها مفتوحا ، لأنها دخلت على فعل الجماعة المتكلمين ، وهو بمنزلة الواحد ، ولا تلحقه واو الجماعة ، لأن الجماعة إذا أخبروا عن أنفسهم قالوا : نحن نقوم ، ليكون فعلُهم كفعل الواحد ، والرجل الرئيس إذا أخبر عن نفسه قال كقولهم ، فلما دخلت النون هذا الفعل مرة أخرى بُنِي آخره معها على الفتح لمّا كان لا يلحقه واو الجمع ، وإنّما يَضُمُّون ما قبلَ النون فى الأفعال التى تكون للجماعة ، ويلحقها واو الجمع التى هى ضميرهم ، وذلك أن واو الجمع يكون ما قبلها مضموما ، نحو قولك : يضربون ، فإذا دخلت النون حذفت نون الإعراب لدخولها ، وحذف الواو لسكونها وسكون النون ، وبقى ما قبل الواو مضموما ، ليدل عليه .

ومثله : ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٥) .

فإن كان ماقبل الواو مفتوحا لم يحذفها ، ولكنها تحركها لالتقاء الساكنين ، نحو اخشونّ زيدا .

---

(١) سورة يوسف ٣٢ (٢) سورة العلق ١٥

(٣) سورة آل عمران ٨١ ، وقبلها : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ .

(٤) سورة الأعراف ١٣٤ (٥) سورة الأعراف ١٤٩

الهاء

تكون ضميراً للغائب ، وتستعمل فى موضع الجرّ والنصب ، نحو : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾[1] . وتكون لبيان السكت . وتلحق وقفا لبيان الحركة ، وإنما تلحق بحركة بناء ، لا تشبه حركة الإعراب ، نحو ﴿ مَاهِيَهْ ﴾[2] ، وكالهاء فى ﴿ كِتَابِيَهْ ﴾[3] ، و ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾[4] ، و ﴿ سُلْطَانِيَهْ ﴾[5] ، و ﴿ مَالِيَهْ ﴾[6] .

وكان حقها أن تحذف وصلا وتثبت وقفا ، وإنما أجرى الوصل مجرى الوقف ، أوْ وصل بنيّة الوقف فى : ﴿ كتابيه ﴾ و ﴿ حسابيه ﴾ إتفاقا ، فأثبتت الهاء كذا عند جميع القراء إلا حمزة ؛ فإنه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث ، وأثبتها وقفا . أعنى فى « ماليه » و « سلطانيه » و « ماهيه » فى القارعة ؛ لأنها فى الوقف يُحتاج إليها لتحصين حركة الموقوف عليه ، وفى الوصل يستغنى عنه .

فإن قيل : فلم لا يفعل ذلك فى « كتابيه » و « حسابيه » ؟ قيل : إنه جمع بين اللغتين .

---

(١) سورة الكهف ٣٧

(٢) سورة القارعة ١٠ ، والآية : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴾ .

(٣) سورة الحاقة ٢٥ ، والآية : ﴿ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ .

(٤) سورة الحاقة ٢٠ : ﴿ إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ .

(٥) سورة الحاقة ٢٩ ، والآية : ﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴾ .

(٦) سورة الحاقة ٢٨ ، والآية : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾ .

ها

كلمة تستعمل على ضربين :

أحدها : أن تكون اسما سمى به الفعل(١) .

وثانيها : للتنبيه ، ولها موضعان :

أحدها : أن تلحق الأسماء المبهمة المفردة ، نحو : هذا ، وتتنزل منزلة حرف من الكلمة، ولهذا يدخل حرف الجر عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾(٢) . ويفصل به بين المضاف والمضاف إليه، كقوله: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾(٣) .

الثانى : أن تدخل على الجملة ، كقوله : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾(٤) .

﴿ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾(٥) .

ويدلّ على دخول حرف التنبيه على الجملة ، أنه لا يخلو إمّا أن يُقدّر به الدخول على الاسم المفرد ، أو الجملة ؛ لا يجوز الأول ، لأن المبهم فى الآيتين دخل عليهما حرف الإشارة ؛ فعلم أنّ دخولها إنما هو الجملة . ذكره أبو على .

---

(١) قال ابن فارس : « معناها : خذ . تناول ، تقول: « هايارجل » ويؤمر بها ، ولا ينهى بها وفى كتاب الله جل ثناؤه : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٧ (٣) سورة الصافات ٦١

(٤) سورة آل عمران ١١٩ (٥) سورة النساء ١٠٩

هل

للاستفهام ، قيل : ولا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن له فيه البتة ؛ بخلاف الهمزة، فإنه لابدّ أن يكون معه إثبات . فإذا قلت : أعندك زيد ؟ فقد هجس فى نفسك أنه عنده فأردت أن تستثبته ؛ بخلاف « هل » . حكاه ابن الدّهان .

وقد سبق فروق فى الكلام على معنى الاستفهام .

وقد تأتى بمعنى « قد » ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾(١) ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾(٢) ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾(٣) .

وذكر بعضهم أن « هل » تأتى للتقرير والإثبات ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾(٤) ، أى فى ذلك قَسَم . وكذا قوله ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾(٣) ، على القول بأن المراد آدم ، فإنه توبيخ لمن ادّعى ذلك .

وتأتى بمعنى « ما » كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾(٥).

وبمعنى « ألا » كقوله : ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾(٦) .

وبمعنى الأمر ، نحو : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾(٧) .

وبمعنى السؤال : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾(٨) .

---

(١) سورة طه ٩
(٢) سورة الغاشية ١
(٣) سورة الإنسان ١
(٤) سورة الفجر ٥
(٥) سورة البقرة ٢١٠
(٦) سورة الكهف ١٠٣
(٧) سورة المائدة ٩١
(٨) سورة ق ٣٠

وبمعنى التمنّى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾[١] .

وبمعنى « أدعوك » ، نحو : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾[٢] ؛ فالجار والمجرور متعلّق به .

هيهات

لتبعيد الشيء ؛ ومنه ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[٣] ، قال الزجاج : البعد لما توعدون .

قيل : وهذا غلط من الزجاج أوقعه فيه اللام ؛ فإن تقديره : بَعُدَ الأمر لما توعدون، أى لأجله .

---

(١) سورة الفجر ٥

(٢) سورة النازعات ١٨

(٣) سورة المؤمنون ٣٦

الواو

[الواو العاملة]

حرف يكون عاملا وغير عامل .

فالعامل قسمان : جار وناصب .

فالجار واو القَسَم ، نحو : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾(١) .

وواو « ربّ » على قول كوفيّ . والصحيح أن الجر بـ « ربّ » المحذوفة لا بالواو .

والناصب ثنتان : واو « مع » فتنصب المفعول معه عند قوم ، والصحيح أنه منصوب بما قبل الواو من فعل أو شبهه بواسطة الواو .

والواو التي ينتصب المضارع بعدها في موضعين : في الأجوبة الثمانية ، وأن يعطف بها الفعل على المصدر ، على قول كوفي .

والصحيح أن الواو فيه عاطفة والفعل منصوب بأن مضمرة .

ولها قسم آخر عند الكوفيين ؛ تسمى واو الصرف ، ومعناها : أن الفعل كان يقتضي إعرابًا فصرفته الواو عنه إلى النصب ، كقوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكَ ٱلدِّمَاءَ ﴾(٢) على قراءة النصب .

[الواو غير العاملة]

وأما غير العاملة فلها معان :

* * *

(١) سورة الأنعام ٢٣

(٢) سورة البقرة ٣٠

الأول : وهو أصلها - العاطفة تُشرك فى الإعراب والحكم . وهى لمطلق الجمع على الصحيح ، ولا تدلّ على أنّ الثانىَ بعد الأول ، بل قد يكون كذلك ، وقد يكون قبله وقد يكون معه ، فمن الأول : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[1] ؛ فإنّ الإخراجَ متأخر عن الزلزال ؛ وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو .

ومن الثانى : ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ﴾[2] ، والركوع قبل السجود، ولم يُنقل أنّ شرعهم كان مخالفا لشرعنا فى ذلك .

وقوله تعالى مخبرا عن منكرى البعث: ﴿مَاهِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[3] أى نحيا ونموت .

وقوله : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾[4]، والأيام هنا قبل الليالى ، إذ لو كانت الليالى قبل الأيام كانت الأيام مساوية لليالى وأقلّ .

قال الصفار : ولو كان على ظاهره لقال : « سبع ليال وستة أيام» ، أو «سبعة أيام» ، وأما « ثمانية » فلا يصح على جعل الواو للترتيب .

***

فائدة: قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[5] ، ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[6] أجاز أبو البقاء كونَ الواو عاطفة ، وهو فاسد ؛ لأنّه يلزم فيه أن يكون الله تعالى أمرَ نبيه عليه السلام أن يتركه ، وكأنه قال : اتركنى واترك مَنْ خلقت وحيدا ، وكذلك :اتركنى واترك المكذبين ، فتعيّن أن يكون المراد : خلِّ بينى وبينهم ، وهو واو « مع » كقولك: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها .

***

(١) سورة الزلزال ١ ، ٢
(٢) سورة آل عمران ٤٣
(٣) سورة الجاثية ٢٤
(٤) سورة الحاقة ٧
(٥) سورة المدثر ١١
(٦) سورة المزمل ١١

والثانى : واو الاستئناف ، وتسمى واو القطع والابتداء ؛ وهى التى يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها فى المعنى ، ولا مشاركة فى الإعراب ، ويكون بعدها الجملتان .

فالاسمية ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾[1] .

والفعلية ، كقوله : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ﴾[2] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ﴾[3] والظاهر أنها الواو العاطفة ؛ لكنها تعطف الجمل التى لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط ؛ وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها .

* * *

الثالث : واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية ؛ وهى عندهم مغنية عن ضمير صاحبها ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾[6] .

وقد يجتمعان نحو : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[7] .

﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾[8] .

---

(١) سورة الأنعام ٢
(٢) سورة الحج ٥
(٣) سورة مريم ٦٥ ، ٦٦
(٤) سورة آل عمران ١٥٤
(٥) سورة يوسف ١٤
(٦) سورة الأنفال ٥
(٧) سورة البقرة ٢٢
(٨) سورة البقرة ٤٤

﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[1] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[2] .

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾[3] .

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4] .

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾[5] .

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[6] .

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[7] .

* * *

الرابع : للإباحة ، نحو جالس الحسن وابن سيرين ؛ لأنك أمرت بمجالستهما معا .

قال : وعلى هذا أخـــذ مالك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ . . . ﴾[8] الآية .

* * *

الخامس : واو الثمانية ، والعرب تدخل الواو بعـد السبعة إيذانا بتمام العدد ؛ فإنّ السبعة عندهم هي العقد التامّ كالعشرة عندنا فيأتون بحرف العطف الدالّ على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فتقول : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، فيزيدون الواو إذا بلغوا الثمانية .

---

(١) سورة البقرة ١٨٧
(٢) سورة البقرة ٢٤٣
(٣) سورة آل عمران ٩٨
(٤) سورة آل عمران ١٠٢
(٥) سورة البقرة ٢٦٧
(٦) سورة الأنعام ٩٣
(٧) سورة مريم ٢٠
(٨) سورة التوبة ٦٠

حكاه البغوى عن عبد الله بن جابر عن أبى بكر بن عبدوس ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾(١) .

ونقل عن ابن خالويه وغيره ، ومثلوه بقوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾(٢) بعد ما ذكر العدد مرتين بغير واو .

وقوله تعالى فى صفة الجنة : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾(٣) ، بالواو لأنها ثمانية ، وقال تعالى فى صفة النار : ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾(٣) ، بغير واو لأنها سبعة ، وفُعِل ذلك فرقا بينهما .

وقوله : ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(٤) ، بعد ما ذكر قبلها من الصفات بغير واو .

وقيل : دخلت فيه إعلاما بأن الآمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر فى حال أمره بالمعروف ، فهما حقيقتان متلازمتان .

وليس قوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾(٥) من هذا القبيل ، خلافا لبعضهم ؛ لأن الواو لو أسقطت منه لاستحال المعنى ، لتناقض الصفتين .

ولم يثبت المحققون واو الثمانية ، وأوّلوا ما سبق على العطف أو واو الحال وإن دخلت فى آية الجنة ، لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم ، وحذفت فى الأول لأنها كانت مغلقة قبل مجيئهم .

وقيل : زيدت فى صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته ، وفيها زيادة كلام سبق فى مباحث الحذف .

وزعم بعضهم أنها لا تأتى فى الصفات إلا إذا تكررت النعوت ، وليس كذلك

---

(١) سورة الحاقة ٧

(٢) سورة الكهف ٢٢

(٣) سورة الزمر ٧١ ، ٧٣

(٤) سورة التوبة ١١٢

(٥) سورة التحريم ٥

بل يجوز دخولها من غير تكرار ؛ قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾(١)
وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) .
وتقول : جاءنى زيد والعالم .

* * *

السادس : الزيادة للتأكيد ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾(٣)، بدليل الآية(٤) الأخرى .

قال الزمخشرى : دخلت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، الدالة على أنّ اتصافَه بها أمر ثابت مستقر(٥) .

وضابطه أن تدخل على جملة صفة للنكرة ، نحو جاءنى رجل ومعه ثوب آخر، وكذا ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾(١) .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك فى باب الاستثناء من شرح « التسهيل » ، وتابعه الشيخ أثير الدين : إنّ الزمخشرى تفرّد بهذا القول ؛ وليس كذلك ؛ فقد ذكر الأزهرىّ فى « الأزهريّة » ؛ فقال : وتأتى الواو للتأكيد ، نحو : ما رأيت رجلا إلا وعليه ثوب حسن . وفى القرآن منه :﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾(٣)،وقال: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾(٦) . انتهى .

وأجازه أبو البقاء أيضا فى الآية ، وفى قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(٧) ، فقال : يجوز أن تكون الجملة فى موضع نصب صفة لـ« شىء » وساغ دخول الواو ، لمّا كانت صورة الجملة هنا كصورتها إذا كانت حالا(٨)

---

(١) سورة الكهف ٢٣
(٢) سورة الأنبياء ٤٨
(٣) سورة الحجر ٤
(٤) هى ما يأتى آية الشعراء ٢٠٨
(٥) الكشاف ٢ : ٤٤٤
(٦) سورة الشعراء ٢٠٨
(٧) سورة البقرة ٢١٦
(٨) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٥٤

وأجاز أيضا فى قوله تعالى : ﴿ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾(١) ، فقال : الجملة فى موضع جرّ صفة لـ « قريةٍ »(٢) .

وأما قوله : ﴿ فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾(٣) ، فقيل : الواو زائدة ، ويحتمل أن يكون مجزوما جواب الأمر ، بتقدير : اضرب به ولا تحنث .

ويحتمل أن يكون نهيا .

قال ابن فارس(٤) : والأول أجود .

وكذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ﴾(٥) ، قيل : الواو زائدة

وقيل : ولنعلّمه(٦) فعلنا ذلك .

كذلك : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾(٧) أى وحفظا فعلنا ذلك(٨) .

وقيل فى قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾(٩) : إنها زائدة للتأكيد ، والصحيح أنها عاطفة ، وجواب « إذا » محذوف ، أى سعدوا وأدخلوا .

وقيل : وليعلم فعلنا ذلك ، وكذلك : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾(٧) ، أى وحفظا فعلنا ذلك .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٢) إملاء مامن به الرحمن ١ : ٦٤

(٣) سورة ص ٤٤

(٤) فقه اللغة ٩١ ، وعبارته : « وتكون الواو مقحمة ، كقوله جل ثناؤه : ﴿ فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾، أراد — والله أعلم — فاضرب به لاتحنث ، جزماً على جواب الأمر ، وقد تكون نهيا ، والأول أجود » .

(٥) سورة يوسف ٢١

(٦) فى الأصلين : « ولنعلم » وصوابه من ابن فارس .

(٧) سورة الصافات ٧

(٨) فقه اللغة ٩١

(٩) سورة الزمر ٧٣

وقيل فى قوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[١] ، أى ناديناه . والصحيح أنها عاطفة، والتقدير: عرف صبره وناديناه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ﴾[٤] ، أى لنعلم .

وقوله : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾[٥] .

وزعم الأخفش أن « إذا » من قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾[٦]، مبتدأ وخبرها « إذا » فى قوله : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾[٦]، والواو زائدة ، والمعنى أن وقت انشقاق السماء هو وقت مد الأرض وانشقاقها ، واستبعده أبو البقاء ؛ لوجهين :

أحدهما : أن الخبر محطّ الفائدة ، ولا فائدة فى إعلامنا بأن وقت الانشقاق فى وقت المدّ ، بل الغرض من الآية عظم الأمر يوم القيامة .

والثانى : بأن زيادة الواو تغلب فى القياس والاستعمال .

* * *

وقد تحذف كثيرا من الجمل، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ ﴾[٧] ، أى « وقلت » ، والجواب قوله تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ :

وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[٨] ، وفى القول أكثر : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾[٩] الآية .

وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴾[١٠]

---

(١) سورة الصافات ١٠٣ ، ١٠٤
(٢) سورة الأنعام ٧٥
(٣) سورة الأنبياء ٤٨
(٤) سورة آل عمران ١٤٠
(٥) سورة آل عمران ٩١
(٦) الانشقاق ١ ، ٣
(٧) سورة التوبة ٩٢
(٨) سورة الرعد ٢
(٩) سورة الشعراء ٢٣ ، ٢٤
(١٠) سورة الواقعة ٤٥ ، ٤٦

ويكأن

قال الكسائي: كلمة تندمٍ وتعجب، قال تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾[1]، ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

وقيل: إنه صوت لا يقصد به الإخبار عن التندم. ويحتمل أنه اسم فعل مسماه «ندمت» أو «تعجّبت».

وقال الصفار: قال المفسرون معناه: ألم تر، فإن أرادوا به تفسير المعنى فسلّم، وإن أرادوا تفسير الإعراب فلم يثبت ذلك.

وقيل بمعنى «ويلك» فكان ينبغي كسر «إن».

وقيل «وى» تنبيه، وكأن للتشبيه وهو الذى نص عليه سيبويه.

ومنهم من جعل كأنّ زائدة لا تفيد تشبيها . . . . .[3] ولم يثبت، فلم يبق إلا أنها للتشبيه، الأمر يشبه هذا، بل هو كذا.

قلت: عن هذا اعتذر سيبويه، فقال: المعنى[4] على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نُبِّهُوا، فقيل لهم: أما يُشبه أن يكون ذا عندكم هكذا!

وهذا بديع جدا كأنهم لم يحققوا هـذا الأمر، فلم يكن عندهم إلا ظن، فقالوا نشبه أن يكون الأمر كذا، ونبهوا. ثم قيل لهم: يشبه أن يكون الأمر هكذا على وجه التقرير انتهى.

وقال صاحب «البسيط» كأنه على مذهب البصريين، لا يراد به التشبيه بل القطع واليقين،

---

(١) سورة القصص ٨٢

(٢) سورة القصص ٨٢

(٣) بياض بالأصول وفى بقية العبارة غموض.

(٤) الكتاب ١ : ٢٩٠

وعلى مذهب الكوفيين يحتمل أن تكون الكاف حرفا للخطاب ؛ لأنه إذا كان اسم فعل لم يضف .

وذهب بعضهم إلى أنه بكماله اسم .

وذهب الكسائي إلى أن أصله « ويلك » فحذفت اللام وفتحت على مذهبه أن ، باسم الفعل قبلها .

وأما الوقف فأبو عمرو ويعقوب يقفان على الكاف على موافقة مذهب الكوفيين، والكسائي يقف على الياء ؛ وهو مذهب البصريين ؛ وهذا يدلّ على أنهم لم يأخذوا قراءتهم من نحوهم ، وإنما أخذوها نقلا ، وإن خالف مذهبهم في النحو ولم يكتبوها منفصلة ، لأنه لما كثُر بها الكلام وصلت .

ويل

قال الأصمعي : « ويل » تقبيح ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[1] .

وقد توضع موضع التحسّر والتفجع منه ، كقوله : ﴿ يَاوَيْلَتَنَا ﴾[2] ، ﴿ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنبياء ١٨

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٣) سورة المائدة ٣١

يا

لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، ومنه قول الداعى : يا ألله ؛ وهو ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، استصغارا لنفسه ، واستبعادا لها من مظان الزلفى .

وقد ينادى بها القريب إذا كان ساهيا أو غافلا ؛ تنزيلا لها منزلة البعيد .

وقد ينادى بها القريب الذى ليس بساهٍ ولا غافل ؛ إذا كان الخطاب المرتّب على النداء فى محل الاعتناء بشأن المنادى .

وقد تحذف ، نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[1] . ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾[2] ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾[3] .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ ﴾[4] فى قراءة تخفيف «من» : إنّ الهمزة فيه للنداء ؛ أى يا صاحب هذه الصفات .

قال ابن فارس : تأتى للتأسف والتلهف ؛ نحو : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾[5] . وقيل للتنبيه .

قال : وللتلذذ ؛ نحو :

* يا بَرْدَها عَلَى ٱلْفُؤَادِ لَوْ تَقِفْ *

* * *

* وَهَذا مع التوفيق كافٍ لِحُصّلا *

* * *

---

(١) سورة يوسف ٢٩ — (٢) سورة يونس ٨٨

(٣) سورة الأعراف ١٥٠ — (٤) سورة الزمر ٩

(٥) سورة النمل ٢٥

فى آخر النسخة المنقول منها ما مثاله :

تمت النسخة المباركة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، ونسأل الله العظيم ، ربّ العرش العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم مقربا بالفوز فى جنات النعيم ، وذلك فى اليوم المبارك السعيد ، رابع عشر شهر شعبان الفرد ، من شهور سنة تسع وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين والحمد لله ربّ العالمين .

وإن تجد عَيباً فَسُدّ الخَلَلا   فجلّ من لا فيهِ عَيْبٌ وعَلَا[1]

---

(١) كذا فى آخر نسخة م، وفى آخر ت: «نجز الكتاب بعون الملك الوهاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم مقربا بالفوز إلى جنات النعيم، وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء المبارك الموافق لإحدى عشر من ذى القعدة سنة خمسة وثلاثين بعد الثلثمائة والألف أحسن الله عاقبته بحمد الله وآله وصحبه وسلم آمين» .

فهرس الموضوعات

صفحة

الفهارس العامة

١ — فهرس الأعلام(*)

(*) النجمة بجوار الرقم هى علامة موضع الترجمة بالحواشى .

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(ن)

٢ — فهرس الأمم والقبائل والفرق

٣ — فهرس الأماكن

(د)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

٤ — فهرس الكتب(*)

(*) هى الكتب التى نقل عنها المؤلف أو أشار إليها فى كتابه .

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(١) الجزء الأول منه نسخة بمكتبة مراد ملا باستانبول ، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ والبرهان لإمام الحرمين .

(١) كذا ذكره المؤلف وانظر التحقيق فى الحاشية .

(ن)

٥ — فهرس الأشعار

٦ — فهرس الأرجاز

٧ — مراجع التحقيق

إتحاف فضلاء البشر للدمياطى ، مطبعة عبد الحميد حنفى بمصر سنة ١٣٥٩ .
الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، طبع مصر سنة ١٢٧٨ .
أحكام القرآن لابن عربى ، بتحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى الحلبى سنه ١٩٥٧ م .
الأدب المفرد للبخارى ، طبع الهند سنة ١٣٠٦ .
أسباب النزول للواحدى ، مطبعة هندية بمصر سنة ١٣١٥
أسرار البلاغة للجرجانى ، تحقيق ه . ر يتر ، مطبعة وزارة المعارف باستانبول سنة ١٩٥٤ م .
إعجاز القرآن للباقلانى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٤ م .
إعراب القرآن للعكبرى = إملاء ما من به الرحمن
الأعلام لخير الدين الزركلى ، المطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٧ .
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ .
أمالى المرتضى ، للشريف المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٥٤ .
أمالى القالى ، مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٤ .
إملاء مامن به الرحمن للعكبرى ، المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢١ ه .
إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠ م.
الانتصاف لابن المنير ، حاشيته على الكشاف ، مطبعة الاستقامة سنة ١٩٥٣ م .
الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، مطبعة السنة المحمدية (بدون تاريخ)
الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير ، مطبعة صبيح سنة ١٩٥١ .
البحر المحيط لأبى حيان ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .
بديع القرآن، لابن أبى الإصبع المصرى، تحقيق حفنى محمد شرف، طبع مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٧ م .
البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٥٧ م .
بغية الوعاة للسيوطى ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .
بيان إعجاز القرآن للخطابى ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، مطبعة دار المعارف بمصر ، (من مجموعة ذخائر العرب رقم ١٦) .
البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف سنة ١٣٦٩ .
تاج العروس للزبيدى ، القاهرة سنة ١٣٠٦ .
تاريخ الإسلام للذهبى ، القدسى من سنة ١٣٦٧ .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، القاهرة سنة ١٣٤٩ .
تاريخ الطبرى ، المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ .

تبيين كذب المفترى ، لابن عساكر ، القدسى سنة ١٣٤٧ .
تذكرة الحفاظ للذهبي ، حيدر آباد سنة ١٣٣٣ .
التعريف والإعلام للسهيلى ، مكتبة الأزهر سنة ١٣٥٦ .
تفسير أبى حيان = البحر المحيط .
تفسير الطبرى ، بتحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .
تفسير الفخر الرازى ، بولاق سنة ١٢٧٩ .
تفسير القرطبى ، طبع دار الكتب المصرية .
تفسير ابن كثير ، مطبعة عيسى الحلبي .
تهذيب التهذيب لابن حجر ، مطبعة حيدر آباد سنة ١٣٢٥ .
الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبى .
الجامع الصغير للسيوطى ، مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٧٣ .
جذوة المقتبس للحميدى ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، مطبعة السعادة سنة ١٣٧١ .
الجمهرة لابن دريد ، حيدر آباد سنة ١٣٥١ .
حسن المحاضرة للسيوطى ، المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٧ .
خزانة الأدب للبغدادى ، بولاق سنة ١٢٩٩ .
الخصائص لابن جنى ، مطبعة دار الكتب المصرية .
خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى ، المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ .
ابن خلكان ، المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ .
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ، حيدر آباد سنة ١٣٥٠ .
درة الغواص للحريرى ، مطبعة الجوائب سنة ١٣٥٠ .
دلائل الإعجاز للجرجانى ، مطبعة المنار سنة ١٣٣١ .
الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد سنة ١٣٥١ .
ديوان رؤبة ، ليبسك سنة ١٩٠٢ م .
ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ .
الرسالة للإمام الشافعى ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٨ .
الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، ط
(مجموعة الذخائر رقم ١٦) .
رسالة ابن الخشاب فى نقد الحريرى ، المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ .
روضات الجنات لمحمد باقر ، طبع العجم سنة ١٣٤٧ .
سر الفصاحة للخفاجى ، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٢ م .
سنن أبى داود ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين ، مطبعة السعادة سنة ١٣٦٩ .

سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق ، مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٧٢ .
سيرة ابن هشام ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين ، مطبعة حجازى سنة ١٣٥٦ .
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، القدسي سنة ١٣٥١ .
شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى ، تحقيق محمد نور الحسن،ومحمد الزفزاف ومحمد محي عبد الحميد، مطبعة حجازى بالقاهرة .
شرح شواهد المغنى للسيوطى ، المطبعة البهية سنة ١٣٢٢ .
الصاحبي = فقه اللغة .
الصحاح للجوهرى ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، دار الكتاب العربى سنة ١٣٧٦ .
صحيح البخارى ، بحاشية السندى ، مطبعة عيسى الحلبي.
صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة عيسى الحلبى ، سنة ١٣٧٤ .
صفة الصفوة لابن الجوزى ، حيدر آباد ١٣٥٦ .
الصلة لابن بشكوال ، مطبعة السعادة سنة ١٣٧٤ .
كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٧١
طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة السعادة سنة ١٣٧٣ .
طبقات الشافعية للسبكى ، المطبعة الحسينية .
طبقات الصوفية للسلمى ، تحقيق نور الدين شريبة ، دار الكتاب العربى ، ١٣٧١ .
طبقات القراء لابن الجزرى ، نشره ح ، براجستراسر ، مطبعة السعادة سنة ١٣٥٢ .
العمدة لابن رشيق، مكتبة هندية سنة ١٣٤٤.
غرر الفوائد = أمالى المرتضى.
غريب القرآن لابن عزيز السجستانى ، مطبعة حجازى سنة ١٣٥٥ .
الفائق للزمخشرى ، على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤
الفرق بين الفرق للبغدادى ، المعارف سنة ١٣٢٨ .
فضائل القرآن لأبى عبيد ، مصورة دار الكتب المصرية برقم ٢٠١٠١ ب .
فقه اللغة لأحمد بن فارس ، المكتبة السلفية ١٣٢٨ .
الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى الحديد ، طبع الهند سنة ١٣٠٩ .
الفهرست لابن النديم ، نشرة فلوغل سنة ١٨٧١ .
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين ، مطبعة السعادة .
قواعد التحديث للقاسمى ، مطبعة ابن زيدون بدمشق سنة ١٩٢٥ م .
الكتاب لسيبويه ، بولاق سنة ١٣١٦ .

كتاب الكتاب لابن درستويه ، بيروت سنة ١٩٢٧ م .
الكشاف للزمخشرى ، مطبعة الاستقامة سنة ١٣٧٣ .
كشف الظنون لحاجى خليفة ، وكالة المعارف باستانبول سنة ١٣٦٠ .
اللآلىء الفريدة فى شرح القصيدة للفاسى ، مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٥٠ قراءات .
اللباب لأبى البقاء العكبرى ، مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٤٢٣ نحو .
اللباب فى الأنساب لابن الأثير ، القدسى سنة ١٣٥٧ .
لسان العرب لابن منظور ، بولاق سنة ١٣٠٠ .
لسان الميزان لابن حجر ، حيدر آباد سنة ١٣٢٩ .
المثل السائر لابن الأثير ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى الحلبي ، سنة ١٣٥٨ .
مجاز القرآن لأبى عبيدة ، بتحقيق محمد فؤاد سزكين مطبعة السعادة سنة ١٣٧٤ .
المحتسب لابن جنى، مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٧٨ قراءات.
معانى القرآن للفراء ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٥ .
معجم الأدباء لياقوت ، دار المأمون سنة ١٣٥٥ .
معجم البلدان لياقوت ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ .
معجم المطبوعات لسركيس ، مطبعة سركيس ١٣٤٦ .
المعرب للجواليقى ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب سنة ١٣٦١ .
المغنى لابن هشام ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين ، مطبعة السعادة .
مفتاح العلوم للسكاكى ، المطبعة الأدبية بمصر .
مفردات الراغب الأصبهانى ، المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٤ .
المفصل للزمخشرى ، مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ .
المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، مطبعة المعارف سنة ١٣٦١
مقامات الحريرى ، المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ .
مقدمة التفسير لابن عطية ، مطبعةالسنة المحمدية ١٩٥٤ م .
المقنع لأبى عمرو الدانى ، طبع استانبول سنة ١٩٣٢ م .
الملل والنحل للشهرستانى ، مطبعة مخيمر سنة ١٣٧٥ .
منار الهدى فى الوقف والابتدا للأشمونى ؛ مطبعة مصطفى الحلبى ، سنة ١٣٧٣ .
الموشح للمرزبانى ، السلفية سنة ١٣٤٣ .
الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ، مكتبة هندية سنة ١٣١٥ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، مطبعة دار الكتب المصرية .
النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، المكتبة التجارية .

نقد الشعر لقدامة ، المطبعة المليجية سنة ١٣٥٢ .
نكت الهميان للصفدى القاهرة سنة ١٩١٠ م
النهاية لابن الأثير ، المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ .
الهاشميات للكميت ، شركة التمدن سنة ١٣٣٠ .
يتيمة الدهر للثعالبي ، مطبعة الصاوى سنة ١٣٥٢ .
ابن يعيش على المفصل ، المطبعة المنيرية بمصر .